

جامعة الأردن
كلية الدراسات العليا
قسم الدراسات العليا
للسنوات الإنسانية والاجتماعية

٢٠٠٣
٢٠٠٢
٢٠٠١
٢٠٠٠

أدب الرسائل الديوانية في المغرب والأندلس في عهد الموحدين

إعداد

محمود محمد عبد الرحمن خياري

إشراف

الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة

رئيس مجمع اللغة العربية الأردني

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير
في اللغة العربية وأدابها بكلية الدراسات العليا
في الجامعة الأردنية

١٩٩١

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ١٩٩١/٥/٢٩

وأجازت


مشرفاً

عضوًا

عضوًا

الاستاذ الدكتور / عبد الكريم خليفية

الاستاذ الدكتور / عبد الجليل عبد المهدى

الدكتور / م. لاج جرار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

" مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ مَدْفَعُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهُ عَلَيْهِ
فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَقِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا "

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

آيَةٌ ٢٣ سُورَةُ الْأَحْزَابِ

١٥

إلى رئيس الراحل هواري بومدين

إلى الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليلة

من أجل أن تبقى اللغة العربية معززة مكرمة في الجزائر

محمود

المحتويات

<u>المقدمة</u>	<u>الموضوع</u>
	مقدمة
الفصل الاول : الاطار السياسي ١	الاطار الاجتماعي ١٩
	الاطار الثقافي ٣٠
	الفصل الثاني : موضوعات الرسائل الديوانية الموحدية ٤٩
	رسائل البيعة ٥١
	تقاديم الولاة وقادة العسكر والقضاة ٦١
	رسائل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ٧٢
	رسائل الاعتداءات والشكایات ٨٥
	رسائل التوقيعات ٩٠
	المعاهدات ٩٤
	رسائل الجهاد ١٠٣
	الفصل الثالث : الخصائص الفنية للرسائل الديوانية ~
البدء في الرسائل والعرض والختام ١٠٩	اقتباس ١٢٠
ـ تضمين الاحاديث ١٢٥	ـ التنويع بين الشعر والنشر ١٢٩
ـ الامثال العربية القديمة ١٣٤	ـ الايجاز والاطناب ١٣٧
ـ الاساليب ١٥٠	ـ الجمل الدعائية والمعترفة ١٤٥
ـ الجنس ١٥٧	ـ الازدواج ١٦٠
	ـ الطلاق ١٦٢

الموضوع

المحتوي

١٦٥	المقابلة
١٦٦	الخيال والصور البيانية
الفصل الرابع: - أهم كتاب الرسائل الديوانية الموحدية	
١٧٠	أبو جعفر بن عطية
١٧٢	أبو الفضل بن مبشرة
١٨٥	أبو الحسن بن عياش
١٩٨	خاتمة
٢٠٨	قائمة الممادر والمراجع
٢١٠	

مقدمة

لقد كانت الفترة الزمنية الطويلة والغنية التي حكم خلالها الموحدون المغرب والأندلس حافزاً لي في البحث عن موضوع جديد يملئ لأن يكون دراسة أكاديمية لاسيماً في الدراسات في آداب العدوتين تنتظر من الباحثين عناية كبيرة في إحياء تراثها الحفاري الإسلامي ، الذي لا يزال أكثره مخطوطاً .

وقد سافرت بطلب من استاذي المشرف - إلى المغرب ، ثم الجزائر فساطلت على مخطوطات هذه الفترة، وازداد اهتمامي بموضوع الرسائل الديوانية في عهد الموحدين عندما عثرت على مخطوطة العطاء الجليل في كشف غطاء الترسيل " بالخزانة الحسنية تحت رقم ٦٤٨ ، وتبين لي أن بعض الرسائل التي حققها بروفنصال Provencal غير أصلية ، بل أعيد كتابتها ، بعد أن حذفت منها العلامة السلطانية - والحمد لله وحده - والخاتمة ، فاعدت النظر في دراسات بروفنصال provencal ومحبت بعض الأخطاء التي وقع فيها .

وإذا كانت هذه الدراسة تبحث في أدب الرسائل الديوانية في المغرب والأندلس ، فقد تبين لي أن المحرك الأساسي للرسالة الديوانية هو الحادثة التاريخية ، التي كانت سبباً في مدورها لذا رأيت أنه لا يمكن الفصل بين الأدب والتاريخ في هذه الدراسة .

وقد جاءت هذه الدراسة في أربعة فصول وخاتمة وقد حاولت في الفصل الأول " الإطار السياسي - أن أكشف الأحداث وأربطها بالرسالة الديوانية الموحدية ، واقتصرت على فترة ابن تومرت ، وعبد المؤمن ، ويوسف ، والمنصور ، وأعدت تشكيلاً القبائل الموحدية في الإطار الاجتماعي معتمداً على تمنيف ابن تومرت ، ثم الرسالة الثالثة عشرة في مجموعة بروفنصال Provencal ، كما تطرقت إلى ذكر سكان المغرب خلال القرن السادس ونصف السابع ، نظراً لمشاركة البربر ، والعرب ، والغز في الجهاد بالعدوة الاندلسية وهو ما تمثله بعض رسائل المن

بالماممة ومجموعة بروفنسال *provencal*، كما تناولت الجانب القهافي معتمدا على مخطوط الخزانة الحسنية رقم ٤٧٥٢ ، ثم موضوع المرأة عند الموحدين معتمدا في ذلك على بعض ما ورد في مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل و مجموعة بروفنسال *provencal*، وختمه بالجانب الحفاري الذي يمثله بيمارستان مراكش . ثم تكلمت عن تطور الثقافة عند الموحدين ، واستشهدت ببعض الشخصيات التي كان لها الفضل في تطور الحركة الفكرية الموحدية .

وأما الفصل الثاني، فقد صفت فيه الرسائل الديوانية الموحدية إلى سبعة محاور ، وهي : رسائل البيعة ، رسائل التقاضي ، رسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، رسائل الاعتداءات والشكایات رسائل التوقيعات، رسائل المعاهدات ورسائل الجهاد، واستشهدت بمعظم النصوص المهمة في الرسالة ، التي لها صلة وثيقة بالموضوع ، فازت بعض الالتباس عنها ، كما اضفت إلى رسائل العدوتين بعض الرسائل التي تناولت موضوع العلاقات بين الموحدين وبعض الجمهوريات الإيطالية كما حاولت أن تشمل هذه الدراسة الفترة الموحدية كلها في المغرب والأندلس ، وذلك من نشأة الدولة إلى سقوطها .

وأما الدراسة الفنية لهذه الرسائل ، فقد جعلتها في الفصل الثالث بعد دراسة معظم الرسائل ، فدرست بنية الرسالة الديوانية الموحدية ، كما استخرجت بعض القضايا البلاغية التي تناولتها الرسالة الديوانية في عهد الموحدين كما حاولت أن أركز على الرسائل المخطوطة وطبقتها على نص القلقشندي ، وإن كنت قد خرجت بعده نتائج هي لا تزال حتى الآن نسبية .

أما الفصل الرابع فقد درست فيه ثلاثة من أشهر كتاب الرسالة الديوانية في المغرب والأندلس في عهد الموحدين .

وأما الخاتمة فقد اختصرت فيها بعض النتائج التي توصلت إليها الدراسة .

وكما تنوعت موضوعات الرسائل الديوانية الموحدية في العدوتين فقد تنوعت ممادرها ، وتأتي على رأسها دراسة المستشرق الفرنسي بروفنسال *provencal*، فقد كان له الفضل في تحقيق هذه الرسائل ودراساتها ، وإن لم يسعفه الحظ في الوقوف على أكثر من سبع وثلاثين رسالة .

واما مخطوط العطاء الجليل في كشف غطاء الترسيل فقد جمع رسائله أحمد بن محمد البلوي بين عامي ٦١٠ ، ٦١٣ وإن كانت معظم الرسائل التي تهمنا تلك التي وردت في زوايد العطاء والمخطوط لا توجد منه إلا نسخة واحدة ، أكلت منه الأرفة قسماً كبيراً ، ومست الرطوبة الجزء العلوي من أوراقه ، ولم أتمكن من قراءة كلماته ، وفك رموزه ، إلا بصعوبة كبيرة .

واما مخطوط الخزانة الحسنية رقم ٤٧٥٢ فقد وردت فيه بعض تقاديم القضاة ، والولاة ، وقادة العسكر ، ولا توجد منه إلا هذه النسخة، وعند تصويره لم استطع قراءة بعض العناوين التي كتبت بالحبر الأحمر - لأن اللون الأحمر لا يظهر عند التصوير - وقد وردت فيه بعض الوظائف الإدارية في الأندلس في بداية القرن السابع الهجري .

اما الرسائل المطبوعة ، فاذكر منها كتاب أعز ما يطلب - الطبعة الجديدة - فقد وردت فيه رسالتان ، الأولى عن ابن تومرت التي فضح فيها سياسة المرابطين ، والثانية عن عبد المؤمن ، التي حيث فيها قبيلة كزولة على التخلص عن دعوة المرابطين ، وإلى جانب هذا قمت بدراسة بعض الرسائل في البيان المغرب والمن بالإمامية والروفي المعطار ، والذيل والتكميلة السفر ٦ والإحاطة ، واعتبار الكتاب وغيرها من الممادر .

ولقد حرصت في دراستي هذه أن أحافظ على الحياد قدر المستطاع خذل الواقع في انحياز أو تعصب الرأي أو اتجاه معين .

واما المراجع الحديثة ، فلم اقف على دراسة واحدة تناولت الرسائل الديوانية عند الموحدين ، باستثناء دراسة المستشرق الفرنسي بروفنسال *provencal* ، التي جعلتني اشك في كل ما كتب ، فقد صرخ قبل دراسته لمخطوط القرويين عام ١٩٤١ - ان المخطوط غير متوفّر لديه لذا فإنه لن يستطيع ان يقدم وثيقته ، واستنتجت من كلامه انه كان يكتب من ذاكرته ، فقد نسب الرسالة التاسعة عشرة المؤرخة في العشرين من ذي القعدة عام ٤٥٤ هـ إلى أبي جعفر بن عطية ، ورسالة الفصول المؤرخة في الثالث من ربیع الاول عام ٤٥٦ هـ إلى الكاتب نفسه ، مع انه قتل في التاسع والعشرين من شهر صفر عام ٤٥٣ هـ .

وقد كانت مجموعة بروفنسال اول مشكلة تواجهني عند دراستي لهذه المجموعة ، وقد سالت عن مخطوط القرويين بالخزانة العامة ، والخزانة الحسنية بالقمر الملكي في الرباط ، فلم اجد جوابا عن سؤالي .

واما المعوبات التي واجهت البحث فتكمّن في فك رموز مخطوط العطاء وقراءاته ، فمعظم الكلمات غير واضحة ، وبعضاها الآخر اكمل منه الارضه قسما كبيرا ، وقد كان من المعب جدا ان اجد بقية الرسالة في الورقة التالية ، لأن اوراق المخطوط رتبة ترتيبا خطأ ، فضمن الزواائد وردت رسالة وجهت إلى الخليفة محمد الناصر على الورقة ٢٥ وتاتي بقيتها على الورقة ٢٨ كما وجهت رسالة أخرى إلى الخليفة نفسه على الورقة ٢٦ و ٢٧ ثم ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٣ ، وقد استغرقت مني هذه العملية مدة طويلة حتى اكتشفت ان بعض الاوراق رتبة ترتيبا معكوسا . وإلى جانب هذا ، فإن هناك بعض اسماء الاعلام حذفت واستبدلت برموز كفان وابي فلان وهذا ما تشمل عليه كل رسائل التقاضي المبتورة ، وزيادة على هذا ، فإن تعدد المصادر المخطوطة النادرة يجعل من الصعب التعريف بها والخروج بنتائج نهائية ، وقد كان لزوما على ان اسافر إلى المغرب والجزائر وتونس ودمشق لاحصل على المادة الخام -

المخطوطات - وبخاصة الممادر الفرنسية التي تفتقر إليها مكتبة
الجامعة الأردنية .

ولا يسعني في الختام ، إلا أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى استاذي
الفاضل الاستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة الذي غمرني بفضله وعطافه
ورعايته وحلمه وتوجيهاته القيمة وآرائه السديدة ، فقوم اعوجاجي
وسدد خطاي وتحمل اخطائي بمصدر رحبا فجزاه الله عن كل الخير .

كما اتقدم بالشكر الجزيل إلى الاستاذ الدكتور عبد الجليل
عبدالله ، الذي قرأ الرسالة مخطوطة فلم يترك خطأ إلا وصححه
وكانت له انتقادات قيمة في توجيهه مسار الرسالة ، والاستاذ الدكتور
صلاح جرار الذي قرأ الرسالة فكانت له آراء قيمة نبهتني إلى كثير
من القضايا المهمة .

فإن تكون إصابة في توفيق من الله عزوجل والاستاذ المشرف ، وإن
 يكن تقصير فقد اجتهدت والله شاهدي .

المملكة الأردنية الهاشمية

١٩٩١/٥/٧

شهد مطلع القرن السادس الهجري ميلاد حركة اصلاحية ، قامت لجمع كلمة المسلمين وحثهم على جهاد "الكافر الملثمين" (١) وإعادة الهيبة والوقار، لمنطقة المغرب والأندلس أيام معركة الزلاقة* ، بعد أن حل الفوضى بالدولة المرابطية - ٤٨٨ هـ - نتيجة عوامل عديدة (٢) ، وذلك أواخر عهد علي بن يوسف بن تاشفين ، (٣) لتحول محلها دولة شنت ثورة شاسعة ضد الصوفية ، والمدارس الفقهية الجامدة ، التي تعمل بالغروع ونادت بالتوحيد، وصفاء العقيدة الإسلامية ، (٤)

(١) اتهم ابن تومرت - المؤسس الروحي لدولة الموحدين - حكام المرابطين بالكفر وتسادي بإسقاط دولتهم ، انظر ممار طالبي ، رسائلان موسيقيان ، ص ١٠٥ ، أهْفَالِ الْمُؤْتَمِرِ الْأَوَّلِ لِتَارِيَخِ الْمَغْرِبِ الْعَرَبِيِّ وَهَمَارِتَهِ ، مركز الدراسات ، والابحاث الاقتصادية ، والاجتماعية ١٩٧٩ ، محمد بن تومرت ، أمن ما يطلب ، ص ٢٦٥ ، تحق ، ممار طالبي الجزائر ١٩٨٥ .

(*) **الزلاقة (SAGRAJAS)** تقع في الهمال من بطيروس ، وفيها انتصر المسلمون بزمامته يوسف بن تاشفين (٥٠٠ هـ) ، والمعتمد بن مهسا (٦٤٨ هـ) ، على ملك الأفرنج بالأندلس الفونس السادس ابن فردانيل الأول وذلك عام ٤٧٩ (٩٧٩ هـ) ، انظر الحميري ، الروض المسطار في خبر الاقطان مادة (الزلاقة) تحقق إحسان هباس بيروت مد ٢ ، ١٩٨٤ ، ابن خلكان ، وفيات الاميان ، ج ٧ ، ص ١١٧-١١٥ ، تحقق دإحسان هباس ، دار صادر ، ابن الاخير الكامل في التاريخ ٧٦ ص ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٩٨٦ ، ط ٦ ، ١٩٨٦ ، ابن البار ، الحلقة السابعة ، ص ٥٥ ، تحق حسين مؤمني ١٥٦ ، ١٩٦٣ .

(٢) انظر ميد الواحد المراكيش ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ١٧٧ تحق محمد سعيد العربيان ، ومحمد العربي العلمي ، ط ١ ، ١٩٤٩ ، سعد زهليو ميد الحميد ، محمد بن تومرت ١٩٧٢ ، وحركة التجديد في المغرب والأندلس ، ص ٨٧ ، جامعة بيروت ١٩٧٢ ، محمد ميد الله مقان ، مصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، ٣ ١ ص ٨٧ ، ط ١ القاهرة ١٩٦٤ .

(٣) هو ابوالحسن ملي بن محمد بن يوسف بن تاشفين اللمتونى امير المسلمين بمرانى ولد عام ٤٤٧ هـ توفي عام ٥٣٧ هـ ، انظر ابن القاسم المكتناس ، جذوة الاقتباس ، ص ٤٥٩ الرباط ، مؤلف مجھول ، الحسلل الموهشية في ذكر أخبار المرأكشة ، ص ٨٤ تحق ، سهيل ادريين ، ميد القادر زمانة ، الدار البيضاء ١٩٩٠ ، ملي بن ابي ذرع ، الانبياء المطروب بروض القرطاجن في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، ص ١٥٧ ، الرباط ١٩٢٣ ، الناصرى الاستقصاء لأخبار دول المغرب الاقصى ، ج ٢ ، ص ٦١ ، الدار البيضاء ١٩٥٤ .

(٤) مصر المرابطين والموحدين ، ق ١ ص ١٧٨ ابن تومرت من ٨٠٧ .

كان مرجع هذه الحركة الإصلاحية ، التي قامت في المغرب الأقصى ببلاد السوس *، إلى محمد بن تومرت ، مهدي الموحدين ، الذي قدر لدعوته في عهد الخليفة الأول عبد المؤمن بن علي أن "تملك إفريقيا ... وأكثر جزيرة الاندلس" (١) على حد قول عبد الواحد المراكشي .

ولد محمد بن عبد الله (٢) بن تومرت (٣) الملقب بأسافو (٤) بقرية أيجلي آن وارغن (٥) ببلاد السوس بال المغرب الأقصى من قبيلة

(*) هي مجموعة من المدن هامدتها قرية ابن تومرت أيجلي آن وارغن ، وأخرها بلاد السوس مدينة نول نعمة في بادية الصحراء الكبيرى ويخترق بلاد السوس نهر كبير يصب في المحيط الأطلسي يسمى وادي ماسة أو ماسة ، الروض المعطر ، مادة (السوس) ، مولف مجهول كتاب الاستحسان في مجالب الامصار ، من ٢١١ ، ٢١٢ تحق ، سعد زهلوں عبد الحميد ، الدار البيضاء ١٩٨٥ ، الاوريسي ، نزهة المحتشى في اختراق الافق ، ج ٣ ص ٢٢١ ، ٢٢٢ .
OPVS.GEOGRAPHICM.NAPOLI ROMA

(١) المعجب ، ص ٢٣٠ .

(٢) يذكر بروفيتال . أنه كان يسمى باسم بربيري ، ولم يستبدل اسم محمد به إلا بعدما أراد أن يتأسى ، بكل اعمال الرسول وقد امطئ لسه اسم محلى منذ ميلاده . وبعد موته من رحلته المشرقية رأى أنه مدام قد استخد سقمه اسم محمد ، يجب أن يكون اسم والده عبد الله P٢٦٧ , LEVI PROVENCAL , ISLAM , DOCCIDENT . HENRI BASSET ET HENRI TERRASSE . SANCTUAIRES ET FORTERESSES ALMOHADES P13 , COLLECTION . HESPERIS , NO 5 , 1932 .

(٣) يذكر بروفيتال ، أن تومرت هو اسم امرأة ، وربما كان اسم أحدي جداته إحياء لنظام الأئمة القديم . OP , CIT , P٢٦٧ . ويذكر مارسي أن كلمة تومرت معناها البهجة أو الفرج . وذلك لفرحة أمها بم منذ ميلاده . فغلبت عليه هذه الصفة . G , MARCY , LES PHRASES , BERBERES DES DOCUMENTS INEDITS D HISTOIRES ALMOHADES , P 65 HESPERIS T 14 , 1932 .

وامتنع أن مدلول الكلمة الصحيح يعني ابن بلدي . وذلك للبروج القبلية والإسلامية المعروفة منذ البربر . وإن نعمة الشاه سقطت ، وتغير موقع الميم فاصبحت تومرت بدلاً من شمورت .

(٤) كلمة ببريرية . معناها الشياطين . لقب بها لكثرة ما كان يسرج من القناديل بالمسجد للقراءة والصلوة . ابن القطان ،نظم الجنان ، ص ٣٧ تحق على مكي ، الرباط ، تاريخ ابن خلدون ج ٦ ص ٤٦٥ .

(٥) المعجب ص ١٧٨ عبد الله ملام ، الدولة الموحدية بال المغرب في عهد عبد المؤمن بن مللي مللي ص ٤٤ دار المعارف ١٩٧١ .

هرغة (١) ، إحدى بطون قبيلة مصمودة ، أكثر القبائل البربرية عدداً وعدة (٢) عام ٤٨٥هـ ، باتفاق معظم المؤرخين (٣) .

اتجه ابن تومرت في طلب العلم من قريته إلى مراكش * ثم جزيرة الأندلس ، فقرأ على يد علماء (٤) قرطبة ** ، ومن المرية *** شد الرحال إلى المشرق (٥) على عادة المغاربة ، والأندلسيين ، وشاهد أثنا ، رحلته المشرقة ما كان عليه العالم الإسلامي من ضعف .

(١) المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب من ٢٦ طبع فممن DOCUMENTS INEDITS D HISTOIRE ALMOHADE , LEVI كتاب PROVENCAL , PARIS 1928 , TEXTE ARABE

المحجب ، ص ١٧٨ ، تواریخ ابن خلدون ، ج ٦ ص ٥٦١ ، التویری ، تاریخ المفسوب الإسلامي في العصر الوسيط ، من كتاب نهاية الارب في فنون الادب من ٣٩٥ تحق ، مصطفى ابو شيف ، وجدة ، ISLAM D OCCIDENT 263 ، 262 P . ويدکر برواقنصال ان هرفة اهلها ارفن ، وهي كلمة بربرية ، ومررت بعد ذلك وامباحت هرفة ، اما ابن ابي زرع هبعد ان ذكر هرفة امساف ، وقيل من كنهیسة .

(٢) المحجب من ١٧٨ ، الدولة الموحدية بالمغرب ، ص ٤٥ .

(٣) انظر متألهة ، وتحليل الاراء منذ RACHID BOUROUIBA . IBN TUMART . P 12 - 15 2ER . EDITION . SNED . ALGER 1982.

(*) مراكش ، من مدن المغرب الأقصى ، وعاصمتها بالبربرية اسرع المهي نظراً للخبرة بسوى الطوائف بما في ذلك ، وكان اهلها يهربون من ماء البار ، ثم جلب إليها الماء بعد تحديدها من طرف يوسف بن تاشقين ، ملكها بنو مبد المؤمن بعد زوال دولة المرابطين ، الرووف المعطار ، مادة (مراكش) ، درعة المختار ، من ٢٢٣ - ٢٤٥ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٥٤ ص ١٩٣ ، دار صادر ١٩٧٩ ، ومن مراكش انظر GASTON DEVERDUM MARRAKECH DES ORIGINES A 1912 . EDITION TECHNIQUE . NORD AFRICAINE . RABAT 1959 .

(٤) نظم الجمان ، ص ٤ ، الحل المويهية ، ص ١٠٤ .

(**) قوطبه CORDOBA ، من امظمه المدن الاندلسية ، سورها من الحجارة وبها جامع كبير مشهور ونهرها مليء قنطرة مظيمه ، وكان بها أكبر ملماه المسلمين ، انظر الرووف المعطار مادة (قطبه) ، ابن حوقل ، صورة الأرض ، من ١٠٨ بيروت ، صبح الامضي ٥ ، ٢١٩ - ٢١٨ ، ٢١٩ .

(***) المرية ALMERIA ، أسسها أمير المسلمين الشامر لدرين الله بن مبد الرحمن بن محمد عام ٣٤٤هـ . يحدها البحر من شاهية الشرق ، وهي مركز للتجارة ، اهم منتوجاتها الحوافر وصناعة النحاس ، الرووف المعطار مادة (المرية) .

(٥) المحجب من ١٧٨ ، وقيات الامميان ، ج ٥ ص ٤٦ ، نهاية الارب ، من ٣٩٦ ، الاندلس المفسوب ، من ١٧٣ ، لسان الدين بن الخطيب ، رقم الحالل فس نظم الدول ، من ٥٧ ، المحمدية ، ط ١٣١٦هـ ، الزركشي تونس ط ٢ ، تاریخ ابن خلدون ٥ ج ٦ ص ٤٦٥ .

فالخلافة العباسية تلفظ آخر انفاسها ، والفاتمية تتختبط بين السنين والشيعيين ، فقد جاء على لسان ابن جبیر (١) في رحلته (٢) : "... انه لا اسلام الا ببلاد المغرب لأنهم على جادة واضحة لا بنيات لها ، وما سوى ذلك مما بهذه الجهات المشرقية ، فاهواه ، وبدع ، وفرق فالة ، وشیع الا من عصم الله عزوجل من اهلها كما انه لا عدل ولا حق ، ولا دین على وجهه الا عند الموحدین اعزهم الله ... اللهم الا هذا السلطان العادل صلاح الدين (٣) لو كان له اعوان على الحق" .

اما المغرب فلم يكن في رأي ابن تومرت باحسن حال من المشرق فقد افتى فقهاء قرطبة بحرق كتب أبي حامد الغزالى (٤) وبالذات "إحياء علوم الدين" (٥) .

(١) هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبیر الغنائی ، ولد بيتنسيا مام ٥٣٩ هـ او ٤٤٠ هـ ، برع في الفقه والحديث والدھر ، ولكن شهرته جاءت من خلال رحلته إلى المھرق (ت ٥٦١ هـ) بالاسكندرية ، انظر جدودة الاقتباس من ١٧٣، ميدالحي بن العماد ، هدرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ٥ ص ٦٠ ، طدار إحياء المخطوطات العربي ، لسان الدين بن الخطيب ، الإحاطة في أخبار هرقلاته ، تحقیق محمد عبد الله علام ج ٢ ص ١٦٨ القاهرة ١٩٧٣ ، وانظر مقدمة رحلة ابن جبیر من ٥٥٠ هـ ، دار صادر ، ط ٢ ، ١٩٨٣ .

(٢) رحلة ابن جبیر ص ٥٥ - ٥٦ .

(٣) هو أبو المظفر صلاح الدين الأيوبي ، ولد مام ٥٣٢ هـ ، سلطان مصر والشام ، من أقطّن قادة المسلمين في القرن السادس الهجري . انتمس على الإقبرنج بارث فلسطين ، بصرى حطين ، واسترجع مدينة يافا وطبرية ومكنا ، وكان فتحه القدس مام ٥٨٣ هـ ، انظر ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج ٩ ، ص ٩٥ وما بعدها ، وفيات الأئميان ج ٧ ص ٣٩ ، هدرات الذهب ج ٤ ص ٢٩٨ .

(٤) هو أبو حامد بن محمد الغزالى نسبة إلى منشأة الغزل من يقول به مدحه حرف الزانى ، أو إلى فراة وهي قرية من قرى طومن ، ولد مام ٤٥٠ هـ وكانت وفاته مام ٥٥٥ هـ ، وهو حجة الإسلام فيلسوف متصرف لله حوالى مئتا مصنف ، رحل إلى نيسابور ، ثم بدداد والجذار والشام ومصر ، من اشاراته إحياء علوم الدين ، تعافت الغلافة ، وله كتب بالفارسية ، انظر منه وفيات الأئميان ج ٤ ص ٤١٦ - ٤١٩ ، هدرات الذهب ج ٤ ص ١٠ .

(٥) انظر الاستقصاء ، ج ٢ ص ٧٥ ،نظم الجمان ، ص ١٥ ، الحال الموثوقة ، ص ١٠٤ ، المعجب ص ١٧٨ ، ١٧٩ ، حسين مؤمن ، تصویص سیاسیة من فترة الانقلاب من المرابطین الى الموحدین ص ١٠٧-١٠٩ ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، م ٣ العدد ١ مام ١٩٥٥ ، سعد فسراپ ، حول احزان المرابطین لإحياء الغزالى ، ص ١٣٣ ، ١٣٤ ، اعمال الملتقى الاول الاسیانی التونسي مام ١٩٧٩ .

فحرمت الدراسات الكلامية واعتبرت سبيلاً إلى الكفر ، وببدعة في الدين ، لكن كل هذه الخلافات بين الفقهاء لم تكن لتفيد الناس في تلك الفترة ، وبناء على هذه الأحداث وغيرها اعتبرت دولة المرابطين مجسدة كافرة في رأية (١) .

وفي رسالة شاهفين بن علي بن شاهفين (٢) الموجهة إلى أهل بلنسية * يؤكد فيها الالتزام بمذهب الإمام مالك ، ونبذ كتب الغزالى ، فقد جاء في الرسالة (٣) : "... ومتى عثرتم على كتاب بدعة أو صاحب بدعة فإياكم وإيماه ، وخاصة - وفقكم الله - كتب أبي حامد الغزالى فليتبعوا أشرها ، ولقطع بالحرق المتتابع خبرها وتغلظ الأيمان على من يتهم بكتمانها " .

ويبدو أن ابن تومرت بحث وهو بالشرق عن الطريقة التي يمكن من خلالها الوصول إلى هدفه بأقصى سرعة ، ودفع دولة المرابطين فاتخذ المهدوية قناعاً والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيلاً لتحقيق هدفه .

(١) أمر ما يطلب ، ص ٢٦٠ .

(٢) هو أبو المعز ، وقيل أبو عمر ، شاهفين بن ملي بن يوسف بن شاهفين الصنهاجي ، بوييع عام ٣٥٧ هـ ، كانت أيامه عده حروب ، وانشئت بمقتله بمدينته وهران ، انظر الآتيين المطروب ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ ، جذوة الاقتباس ، ص ١٧٠ ، ١٧١ ، الحلول الموعية ، ص ١٢١ .

(*) بلنسية VALENCIA هي مدينة سهلية ، وقادمة من قوامى الأندلس . يصب فيها نهر يجري في ناحية الهمال ويحدها من ناحية الهرق مرسيّة ، ومن الغرب طرطوش ، وهي مليء جانب بحيرة حسنة قرب بحر الرقراق ، الروض المختار ، مادة (بلنسية) ، صبح الامضى ، ٩٥ ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(٣) مخطوط الأسكندرية ، رقم ٥٣٨ ، ورقة ١٢ ب ، هذه الرسالة كتبت في العصر الأول من جمادى الأولى عام (٥٣٨ هـ) ، أما حرق كتاب إحياء ملوك الدين ، فقد كان عام (٥٠٢ هـ) أو (٥٠٣ هـ) في حياة الغزالى مثلما يؤكد صاحب الاستفتاء (٢) من ٧٥ ص ٢ ، أما الرسالة الحسيني بما ثبت بها شاهفين بن ملي بن شاهفين ، فهي تؤكّد حرق كتاب إحياء ، والبحث عنه ، ملي الرهيم من مرور مدة طويلة على هذه الحادثة ، وقارن نفس الرسالة بما ورد منذ حمد حسين مؤمن ، تصريح سياسية من فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين في ١١٢ مجلة المعهد المصري ٣ العدد ١ عام ١٩٥٥ .

وبيدا البيدق (١) في سرد أخبار ابن تومرت ابتداء من دخوله مدينة تونس ، فكان كلما مر بمدينة (٢) يامر بالمعروف وينهى عن المنكر بالوعظ والإرشاد مرة وبالقوة إن وجد سبيلاً لذلك ، مثلاً فعل يوم عيد الفطر ببجاية * (٣) ، حيث وجد النساء قد اختلطن بالرجال ففرقهم بعضاه .

وبدخوله مدينة مراكش اتجه مع أصحابه نحو "مسجد مومعة الطوب فمكثنا إلى يوم الجمعة ، ثم أقبل إلى جامع علي بن يوسف بن تاشفين ، فوجد علي بن يوسف قاعداً ... والوزراء واقفون ، فقال له الوزراء الق (٤) السلام على الأمير فقال لهم واين الأمير ؟ إنما أرى جواري منقبات فلما سمع ذلك علي بن يوسف حطَّ النقاب عن وجهه وقال لهم مدق ، فلما رأه المعموم قال له : الخلافة لله وليس لك يا علي بن يوسف " (٥) .

(١) هو أبو بكر ملى المذهباني الملقب بالبيدق من أصحاب ابن تومرت ، وهو صاحب كتاب أخبار المهدى بن شومرت ، وكلمة البيدق تدل على إحدى قطع نعجة الخطرونج ، وهي تستعمل ومفهومها للرجل الصغير

DOCUMENTS INEDITS D HISTOIRE ALMOHADES , INTRODUCTION P 11

(٢) من المدن التي مر بها ابن تومرت بعد موته من المهرق ، انظر كتاب المهدى بن شومرت وبداية دولة الموحدين ، حتى ، مبد الحميد حاجيات ، من ٣٤ - ٣٦ ص ٤٦ ، من ٥١ ، من ٥٣ ، من ٥٥ ، الجزائر ١٩٧٤ ، الحفل الموهية ، من ١٠٦ ، ١٠٧ ، تجربة الارب ، من ٤٩٦ - ٤٩٧ ، تاريخ ابن خلدون ج ٦ ، من ٤٦٧ ، IBN TUMART PP 33-45 ، تاريخ ابن خلدون ج ٦ ، من ٤٦٧ ، MARRAKECH DES ORIGINES A 1912 P 153 .

(٣) أخبار المهدى بين تومرت من ٣٦ تاريخ ابن خلدون ج ٦ من ٤٦٧ .

(*) بجاية هي مدينة من المدن الجزائرية ، تقع بين جبال هامة ويحيط بها البحر من ثلاث جهات وأهلها يجالسون شجار المغرب الأقصى وتجار المغاربة والمهرق وبها دار لصناعة الاساطيل ، الاستعمار في مجائب الامصار من من ١٢٧ - ١٢٩ ، ترجمة المهاجري في اختراق الواقع من من ٢٥٩ - ٢٦١ .

(٤) في الأصل ود .

(٥) أخبار المهدى بين تومرت من ٥٦ ، ٥٧ ، لم نجد اثراً لهذه الرواية في المصادر التي رجعنا إليها باستثناء البيدي المختوم للدموحة الموحدية ، وبذاته على ذلك فلا يمكن الاعتماد عليها . وقد أشار إلى ذلك مبد الله ملام ، في كتابه الدولة الموحدية بالمغرب ، من ٥٩ .

يبدو أن المقام لم يطيب له بمراكب فشل الرجال إلى أغمات*
شم بلاد السوين حيث قبيلة هرقة ، والمحاكمة فوافت عليه الجموع
تستمع إليه ، فراح يحدثهم عن حالهم ، وعما يحدث تحت حكم وسيطرة
المرابطين ، ويستشهد لهم بادلة من القرآن الكريم والحديث النبوي
ويبدو أن ابن تومرت كان مقتنعاً أشد الاقتناع بنفسه ، وبنجاح
دعوته ، وبخاصة سكان منطقة المغرب العربي ، لما عرفوا به من تعبد ،
وتقوى وصلاح وتمسكهم بكل شيء يمتد بصلة إلى دينهم ، فلن يتزدروا في
التشكيك بأي دعوة كونها تهدف إلى صلاح عقيدتهم وإصلاح معتقداتهم (١)
وفي عام ٥١٥ هـ (٢) تمت بيعته على أنه المهدى الذي سيملأ
الارض عدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً وأطلق على اصحابه اسم "الموحدين"
لأنهم يوحدون الله الواحد القهار (٣) .

ويستمر في مهمته التربوية ، من آمن به من المصادمة باللسان
العربي أو البربرى ممن لا يفهم غيره ، حيث أصبح في هذه السنة يشكل
خطراً على المرابطين المتهمين بالكفر والانحراف عن سنة النبي صلى
الله عليه وسلم ، وهذه النقطة، التي ركز عليها في بداية دعوته
ستبقى سائرة المفعول إلى نهاية الدولة ، حيث نجد الرسائل
الموحدية تستمرة على المنهج نفسه الذي نادى به ، وهو العودة إلى
الكتاب والسنة (٤) .

(*) أغمات : تقع جنوب المغرب الأقصى ، وهي مدینة متوسطة بين
ويفصلها جبل درن فإذا كان زمن الهجنة تحليت الشفاعة في سبيل
دوبارتها على مدينة أغمات ، صبح الامضي ٥٥ هـ ، مجم
البلدان ١٥ من ٢٢٥ ، ذرة المهاجرين ٣ من ٢٣١ .

(١) الفرد بل BEL ALFRED ، الفرق الإسلامية في العمل الإفريقي من
الفتح العربي إلى اليوم ص ٢٥٩ تر . ميدالرحمن بدوى ط ٢
بيروت ١٩٨١ ، ISLAM D OCCIDENT P 26 .

(٢) العدل الموهبة ، ص ١٠٧ ، نظم الجمان ، ص ٢٧ ، الآتيس المطربي
ص ١٢٦ ، تاريخ ابن خلدون ٦ من ٤٦٩ ، تاريخ الدولتين ص ٦ ،
ابن القتيبة ، الشارعية في ميدان الدولة الحفصية ، ص ١٠٠
تقديم و تحق . محمد العادلى التيفير ، وميدالمجيد الخرى ، تونس .

(٣) حسن ابراهيم حسن ، التاريخ السياسي والديني والثقافي
والاجتماعي ، ٤ من ٤ ط ٢٩٦ ط القاهرة ١٩٦٧ .

(٤) انظر مخطوط الخزانة الحسنية ، رقم ٤٧٥٢ (الرباط) ، الرسالة
مؤرخة بتاريخ مفتتح شهر هوال مام ٦٦٦ هـ ، ورقة ٦٩ ، والنظر
كل ذلك ورقة ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، وورقة ٧٥ ، الرسالة مؤرخة
بتاريخ هرة ذي القعدة مام ٦٣٠ .

لكن ابن تومرت لم يتوقف عند مرحلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بل تجاوزها إلى مرحلة التهديد والإذار ، واستعمال القوة (١) ووجه جيشا في تسعة غزوات (٢) لجهاد المرابطين تغلب عليهم في معظمها ، وزادته هذه الانتصارات طمعا في فتح مراكش ، فبعث إلى القبائل المجاورة يستنفرهم لذلك وجعل الونشريسي (٣) على رأس الجيش ولكن الكفة مالت لصالح غيره ، وانتهت المعركة بمقتل الونشريسي نفسه ، وأربعة من اصحابه ، وكانت هزيمة البحيرة (٤) أول هزيمة يتلقاها الجيش الموحدى في حياة ابن تومرت ، وكانت إيدانا ب نهايته (٥) ، وببداية عهد جديد بحكم عبد المؤمن بن علي (٦) عام ٥٥٢هـ ، فغزا غزوه الطويلة التي دامت سبع سنوات (٥٣٤-٥٤١هـ) وانتهت بفتح المغرب الأوسط والأقصى معا (٧) .

بعد وصول خبر هزيمة الموحدين بمعركة البحيرة سُئل ابن تومرت عن عبد المؤمن ، ولما عرف انه حي يرزق طلب من البيدق ان يخبره (١) انظر الرسالة الموجعة الى المرابطين في الحال الموهية ص ١١١ .
(٢) انظر أخبار المهدى بن تومرت . ص ص ٦٥ - ٧١ .

(٣) هو ابو محمد عبد الله بن محسن الونشريسي المعروف بالبهير من اصحاب ابن تومرت ، المعروف باللونشريسي نسبة الى جبال الونشريس بال المغرب الأوسط ، قُتل عام ٥٢٤هـ ، أخبار المهدى بن تومرت ص ٦٤ ص ٧١ - ٧٢ ، نهاية الارب ، ص ٤٠٠ ، ٤٠١ ، الحال الموهية ، ص ص ١٠٦ - ١٠٨ documents inedits d'histoire almohade . p 27 - 28 , Texte Arabe .

(٤) يقصد بالبحيرة البستان انظر أخبار المهدى بن تومرت ص ٧٣ ، ٧٤ ، نظم الجمان ص ١١٩-١١٨ ، نهاية الارب ص ٤٠٤ .
Ibn tumart . p. 70. Marrakech des origines A 1912 P 155, 156

(٥) تتحقق معظم المصادر على ان ابن تومرت توفي عام ٥٥٤هـ ، بعد معركة البحيرة بفترة قصيرة ، انظر ذلك في op. cit. p p 73-76 .

(٦) هو ابو محمد عبد المؤمن بن هلي بن مخلوف بن يعلى بن مروان الشاجري الحنومي النندرومى مؤسس دولة الموحدين في المغرب والأندلس - ٤٨٤-٥٥٨هـ ، انظر ترجمته في الانبياء المطروب ص ١٧٣ وما بعدها ، المعجب ص ٧٠ ، ٧١ وقيات الانبياء ص ٣ ص ٢٣٧ - ٢٤١ . تاريخ ابن خلدون ص ٦ ص ٤٧٨ وما بعدها .

(٧) الانبياء المطروب ص ١٧٦ ، ابن هذاري ، البيان المغرب (قسم الموحدين) حق الاساتذة محمد بن تاویت ، محمد ابراهيم الكشانی ، محمد زلیپیر ، عبد القادر زمانة ص ص ٣٠-١٥ ، دار المغرب الاسلامي ببيروت دار الثقافة ، الدار البيضاء . p 26 .
Sanctuaires et forteresses Almohades .

بيان أمر الموحدين باقي إلى قيام الساعة (١) فقد كان عبد المؤمن من أكثر المقربين من ابن تومرت لذا أمر بطاعته "ما دام مطيناً لربه" (٢) واستخلفه للصلة (٣) ، وعيشه على أن يتولى أمر الموحدين من بعده (٤) .

ونظراً لاقتئاع عبد المؤمن بإمامية المهدي بن تومرت، اتخذ لنفسه لقب أمير المؤمنين كما اتخذه أبو بكر الصديق من قبله (٥) وكان - ابن تومرت - يرى أن الحكم من بعده سيستمر على النحو الذي سار عليه الخلفاء الراشدون (٦) لكن بدلاً من استمرار الحكم الموحدى على المنهج نفسه الذي رسمه ابن تومرت ، قام الخليفة الجديد بتحفيير نظام الحكم في حياته من نظام الشورى إلى نظام الوراثة يرثه أبناءه من بعده ، ويستمر حكم الموحدين للمغرب ثم الاندلس بيد أبناء عبد المؤمن ، وينتقل من يد الممادمة إلى قبيلة كومية بال المغرب الأوسط .

(١) أخبار المهدي بن تومرت من ٧٤٠، ٧٥٠، ٧٦٠، نظم الجمان من ١٢٣، الحل الموسوية من ١١٦ ، الاستعاصات من ٢ ، من ٨٩ ، Sancturaires et fortresses Almohades p . 23 . Marrakech des origines A 1912 p 157 ، charle andre julien, histoire de la frigue du nord. p 101. paris 1966 .

(٢) المعجب ، من ١٩٦ .

(٣) الانبياء المطروب ، من ١٨١ . histoire de la ville de rabat . من ٥٢ .

(٤) تاريخ ابن خلدون ، من ٦٦ ، من ٤٧٢ . Marrakech des origines . A 1912 , p 157 , sancturaires et fortresses Almohades , P24.

(٥) حسين مؤمن ، وقد بيّن بولاية العهد ، لأبي عبد الله محمدالمعروف بالخليفة التاجر ، من ١٥٠ ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة م ١٢ ح ٢ ديسمبر ١٩٥٠ ، وقارن ما ورد في الانبياء المطروب ، من ١٨٥ ، و أمر ما يطلب ، من ٢٣١ . La bergerie musulmane . ٢٣٢ . La bergerie musulmane . ٢٣١ . Jean, brignon, et lorian au moyen age . 2en chapitre . p 253 . Jean, brignon, histoire du maroc . p 98 .

١٩٧٥٤

(٦) أمر ما يطلب ، من ٢٣١ .

-١٠-

لقد عين عبد المؤمن عام ٥٤٩هـ ابنه محمدأ ولية للعهد (١) وجعل أولاده ولة على البلاد ، ووضع لكل منهم وزيرا يساعدة في إدارة اعماله (٢) وعلى الرغم من ذلك فقد كان عبد المؤمن يشترط الكفاية ، والصلاح في ولی العهد ، لذا أسرع في خلع ابنه محمد لما ظهر منه من شرب الخمر على مرأى من أشياخ الموحدين (٣) وعيّن بدلا منه أخيه يوسف (٤) .

هذه الأحداث فجرت غضب بعض القبائل الموحدية ، وعلى رأسها عبد العزيز ، وعيسى أخيه ابن تومرت ، فخرجا من فاس * إلى مراكش ، وعبد المؤمن يومئذ بسلا ** ، فقام بتدبیر انقلاب لكنه فشل ، وقبض الخليفة عبد المؤمن عليهما وقتلا ، وشركائهما في هذه العملية (٥) .

(١) الانبياء المطروب ، ص ١٩٤ ، البيان المغرب (قسم الموحدين) ، ص ٢٩ ، الاستقامة ٢ ، ص ١٢٣ ، جعلها التوسيري عام ٥٥١هـ ، نهاية الارب ، ص ٤٨ ، Robert Bruschvic , la barberie orientale sous les hafsidés 2en chapitre , p 263 .

(٢) الانبياء المطروب ، ص ١٤٩ ، البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٥٠ ، تاريخ ابن خلدون ٢ ، ص ٤١ ، ص ٦ ، الاستقامة ٢ ، ص ١٢٣ ، Marrakech des origines A 1912 ، p 168 .

(٣) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٧ ، ٨ ، مصر المغاربة والمغاربة والموحدين في ١ ، ص ٣٩٢ .

(٤) هو أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن ملي ولد عام ٥٣٣هـ وتوفي بمراكش عام ٥٨٠هـ ولـي الخلافة بعد وفاة والده عام ٥٥٨هـ . انتظر ترجمته في الحليل الموهبي من ١٥٧ ، ١٥٨ ، الانبياء المطروب ، ص ٢٠٥ وما بعدها ، المعجب ، ص ٢٣٦ وما بعدها ، وفيات الانبياء ٧ ص ١٣١ ، وما بعدها .

(*) قيام مدينة فاس مدینة بنـيـهمـ نـهـرـ كـبـيرـ يـادـىـ منـ مـيـونـ صـنـاعـةـ ، وـمـلـيـهـ فـيـ دـاخـلـ الـمـدـنـيـةـ أـرـحـاءـ كـثـيـرـ تـطـحـنـ بـهـ الـحـنـطةـ أـمـاـ الـمـدـنـيـةـ الـشـمـالـيـةـ فـهـيـ لـقـرـوـيـنـ ، وـتـسـمـيـ الـجـنـوـبـيـةـ الـانـبـيـاءـ نـزـهـةـ الـمـهـشـاقـ ص ٢٤٢ ، معجم الـبـلـدـانـ ، ٢ ، ص ٥ ، ص ٢٣١ ، مـيـهـ الـامـشـيـهـ ٥ ، ص ١٤٨ .

(**) سلا الحديقة تقع على هضبة البحر ، وكانت في القديم من الزمان مدينة هامة مثل ميلان من البحر وبها مرسى كبير ، نزهة المهاشقا ٢ ، ص ٢٤٠ ، ٢٤١ .

(٥) البيان المغرب (قسم الموحدين) ، ص ٥ ، الانبياء المطروب ، ص ١٩٥ ، الاستقامة ٢ ، ص ١٢١ ، مجموع رسائل المغاربة من من sancturaires et forteresses Almohades ، الرسالة الحادية عشرة ، p 27 .

لقد كانت أخبار المغرب كالعادة تصل مسامع أهل الأندلس، فقد اتصل علي بن عيسى بن ميمون المتنزي قائد الأسطول المرابطي (١) في قادس * بعد المؤمن عام ٥٤١ هـ ، أثناء حصاره لمدينة فاس (٢) ، وقدم له الطاعة بعد شيوخ خبره بجزيرة الأندلس ، وخطب للموحدين بجامع قادس ، وكانت لأول مرة يخطب فيها للموحدين بجزيرة الأندلس . كما وفد عليه أثناء حصاره لمراكش زعماء الأندلس ومعهم كتاب يتضمن بيعة أهل الأندلس ، وطلبو منه جهاد التنصاري ، واسترجاع ما أخذ من الأراضي الإسلامية بسبب ما حدث من انقسام بين صنوف المسلمين (٣) ، ورغبة في توسيع ملك الموحدين أرسل الخليفة عبد المؤمن في شعبان عام ٥٤١ هـ ، ثلاثة جيوش إلى جزيرة الأندلس (٤) ، فتحرك الأسطول المودي ، وقصد شريش ** ، وكانت أول مدينة أندلسية تدخل زمرة الموحدين على ملها عام ٥٣٩ هـ ، لذا سموا سكانها بالسابقين في الدعوة الموحدية من أهل الأندلس (٥) .

ودخل الموحدون إشبيلية * بعد محاصرتها براً وبحراً ، ودانوا لها للموحدين عام ٥٤١ هـ (٦) وأدرك الخليفة عبد المؤمن الموقع (٧) هو قائد الأسطول المرابطي بجزيرة الأندلس مامة ، وجزيرة قادس خامساً .

(*) قادس Gadir. جزيرة بالأندلس طولها من القبة إلى الجوف أهنا عشر ميلاً . ومرصدها في أوسع المواجه ميل . وبها صنم سميت به الجزيرة ، وقد هدمه ملي بن عيسى بن ميمون ، الروحي المعطار . مادة (قادس) .

(٢) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٣٤، ٣٥، ٣٥. تاريخ ابن خلدون ج ٦ ص ٤٨٥ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٥ . نهاية الرب ، ص ٤٠٣ .

(**) هريش ، jerez . كورة من كور شذوذة بالأندلس ، وهي هريشة من البحر ، الروحي المعطار مادة (هريش) .

(٥) الاثنين المطرب ، ص ١٨٨ ، البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٣٥ . تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٨٧ ، الاستقصاء ، ج ٢ ص ١١٦ .

(*) إشبيلية Sevilla من المدن الأندلسية بيتهما وبين قرطبة مسيرة شانتية أيام ويعتمد أهلها على تجارة الزيت ، الروحي المعطار مادة (إشبيلية) .

(٦) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٣٥ .

الاستراتيجي الذي يحتمله جبل طارق، فبعث برسالتين الاولى مؤرخة في العشرين من ذي القعدة عام ٥٥٤ هـ وجهما إلى الطلبة والموحدين يأمرهم ببناء مدينة عتيقة عند سفح جبل طارق (١) تكون منطلقاً للجيوش الموحدية ، وقاعدة حصينة لهم ، والرسالة الثانية مؤرخة في التاسع من ربیع الأول عام ٥٥٥ هـ (٢) .

وعلى الرغم من اهتمام عبد المؤمن بن امر الاندلس، فإنه لم يفكر في الجواز إليها إلا بعد خضوع إفريقيا، وفي شهر ذي القعدة من عام ٥٥٥ هـ، عبر الخليفة بحر الزقاق ** ونزل بجبل طارق (٣)، وسماه جبل الفتح كما سمى المدينة مدينة الفتح نسبة منه في إعادة ما فقده المسلمين من أراضي الاندلس (٤)، ولكن المنية وافته دون أن يكون له ذلك .

خلفه ابنه أبو يعقوب يوسف، لكن الخليفة الجديد ظل يلقب بالامير لمدة خمس سنوات نظراً لعدم موافقة إخوته على توليته الحكم بعد وفاة والدهم الخليفة عبد المؤمن عام ٥٦٣ هـ حيث أصبحت الرسائل تنتهي بلقب أمير المؤمنين (٥) .

(١) مجموع رسائل الموحدية . ص ٩٧ ، الرسالة الخامسة مهرة .

(٢) اليمن بالامامة . ص ١٢٩ .

(**) بحر الزقاق هو الداخل بين البحر والمحيط الذي عليه سبتة، وييفيك من ساحلية الشرق إلى الغرب حتى يكون مرأمة شهانية مهر ميلاً وموقعه الساحل الاندلسي يمكن يقال له الخبراء ما بين طنجة من أرض المغرب وبين الاندلس ، الروض المسطار مادة (الزقاق) .

(٣) الاندلس المطربي . ص ٢٠٠ ، البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٦٩ ، اليمن بالامامة . ص ٩٢ ، الحال الموهية ، ص ١١٥ ، ١١٤ ، وجعلها التويري عام ٥٥٦ هـ ، نهاية الارب . ص ٤٢٧ .

(٤) أمين توثيق طيب ، جبل طارق معلم إسلامي مهم القرون الوسطى ، الحلقة ١ . ص ٧ ، مجلة تاريخ العرب والعالم السنة ١٥ العدد ٥١ كانون الاول ١٩٨٣ ، بيروت .

(٥) انظر الاستدعاء . ج ٢ ، ص ١٤٦ ، تاريخ الاندلس في مهد المراطيين والموحدين ، ص ٣١٥ ، وقارن الرسائل الواردة بالمن بالامامة ص ٢٠١ ، ص ٢٣٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، حيث لقب بالامير إلى عام ٥٦٣ هـ حيث أصبح أميراً للمؤمنين . انظر الرسائل الواردة بالمصدر نفسه ص ٢٧٥ ، ص ٢٧٩ ، ص ٢٩٢ .

اهبة ولا استعداد " (١) فهلك يوم السبت الثامن عشر لربيع الاول عام ٥٨٠ هـ .

خلفه ابنه يعقوب الملقب بالمنصور (٢)، وقد تميزت أيامه بالخير والاستقرار والأمن "فكانت الظعينة تخرج من بلاد نول (لمطة حتى تصل) (٣) برقة * وحدها لا ترى من (يعارضها) (٤) ولا من (يكلمها) (٥) " (٦).

وفي عهده فتحت قصمة ** ، وقلعة رباح **، وجريط ***،
وأشبيلية وكانت وقعة الأرك **** عام ٥٩١ هـ اعظم انتصار حققه
(١) شاريع ابن خلدون، ٢٦٥، من ٥٠٤ .

(٢) المصدر السابق. (قسم الموحدين) ، ص ١٦٤ ، نهاية الارب، من ٤٣٣
وذكر ابن ابي ذرع انه توفي في ربیع الثاني، من ٢١٥، رقم الحل،
من ٨٥، وذكر ميدالواحد السراکشی انه توفي في السابع من ربیع من وجب، من ٢٦١.

(٣) هو ابو يوسف يعقوب المنصور بن يوسف بن مهد المولمن بن على،
ولد بمراکش عام ٥٥٤ او ٥٥٥ هـ، وتمت بيته بعد وفاة والده
يوسف يوم الاحد التاسع لربیع الاول عام ٥٨٠ هـ، اتظر الانبياء المنطر
من ٢١٦، المعجب، ص ٢٦١ ، البيان المقرب (قسم الموحدين) من ١٠٧ .

(*) برقة . من المدن الليبية ، كانت تعرف بانطباطها ولما دخلها
العرب أصبحت تسمى ببرقة نظراً لكثره حجارتها المختلطة بالرمل ،
وتقع على البحر وتعدّها العصراء الكبرى من تاحية الجنوب، كتاب
الجغرافيا ، ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

(٤) في الاستثناء، فتنتمي إلى . (٥) في المصدر نفسه ، يعرف لها .

(٦) في المصدر نفسه ، يسموها بسو .

(٧) الانبياء المنطر ، ص ٢١٧ ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٩٨ .

(**) قصمة ، من المدن التونسية وهي مدينة حسنة ذات سور ونهر جار
بها وتشتهر بزراعة الحناء والقطن ، زرعة المشتاق ، ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

(***) قلعة رباح . Calatrava ، من المدن الاندلسية ، شق بين
قرطبة . وطليطلة بنيت في مهد بني امية . الروض المغطّر مادة
(قلعة رباح) .

(****) Madrid . من المدن الاندلسية بناها محمد بن
عبد الرحمن وهي مدينة صغيرة وقلعة متينة ومكان لها زمان الاسلام
مسجد ، وتقع على مقربة من طليطلة . وهي اليوم عاصمة إسبانيا
الروض المغطّر مادة (جريط) .

(*****) الارك Alarcos هو اسم لسهل واسع يقع خلف جبال Sierra Morena . وكانت حاجزاً كبيراً بين الاندلس ودولة طليطلة القصرانية . وحسن الارك حصن متربع يقع قرب قلعة رباح . وهو أول حصن لليوناني الشام ويسمي الان sta maria de Alarcos ، الحائل الموهبة ، ص ١٥٩ . هامش رقم ٥ ، الروض المغطّر مادة (الارك) .

الموحدين ، ببلاد الاندلس ، حيث كانت اشبه بمعركة الزلاقة في مهد يوسف بن تاشفين (١) عام ٤٧٩ هـ ، وكانت بينهما اثنا عشر و مائة عام ، وبينها وبين حطين ***** سبع سنوات بزعامة ملاح الدين الايوبي سلطان مصر والشام وبلغ صدی وقعة الارک ان "أغرب وشرق وغرّب وأعرق ، واشأم ، وأنجد ، في معمور الأرض واتهم ... (و) لم يسمع في سلف ؟ بشبهه ، ولا تقدمه مثيل يقاس عليه " (٢) .

وذهب سيركور sirkore إلى أن الموحدين ابرزوا قوة لا مثيل لها في معركة الارک ، اذ لم تتلق الجيوش المسيحية هزيمة مماثلة منذ ثلاثة قرون (٣) ، ويضيف المؤرخ الالماني يوسف اشباح انه " لم يبلغ سلطان الموحدين قط ما بلغه عقب موقعة الارک " (٤) .

ودعا الخليفة يعقوب المنصور إلى حرق كتب الفروع والاعتماد على الكتاب والسنة ، وجمع الأحاديث من المصنفات العشر ، فكان بعمله هذا يكمل ما ابتدأه ابن تومرت من قبل ولكن على الرغم من هذا العمل الذي قام به وакمله الخليفة الجديد سيرا على سبيل من سبقه ، فقد قام بتغيير جذري في اتجاه الدعوة الموحدية حيث تذكر لعمة ومهدوية ابن تومرت (٥) وكان يسأل الناس عما يقرأون ، فيغضب إذا رأهم

(١) هو يوسف بن تاشفين بن ابراهيم بن خروقون سلطان المرابطين .
وأول من تلقب منهم بأمير المسلمين . بطل معركة الزلاقة (ت ٥٨٣ هـ) انظر الانبياء المطروب ، ص ١٣٦ - ١٣٧ ، وفيات الانبياء ، ج ٧ ص ١١٢ - ١٣٠ .

(*****) حطين تقع بارض فلسطين ، وموقعها بين طبريا وعكا ، وتتضمن معركة حطين بالمعنى الذي وقعت عام ٥٨٣ هـ بين ملاح الدين الايوبي سلطان مصر والشام وملوك الإفرنج وكانت نتفيجة لاقتحام الجيش الإسلامي الساحل الفلسطيني ، صبح الامضي ، ج ٥ ص ٥٢٩-٥٢٦ .

(٢) أبو القاسم البلاوي ، مخطوط العطا ، الجزير في عهد هدا ، الترسيل ، ورقة ٣٠ ، الخزانة الحسينية (الرباط) رقم ٦١٤٨ .

(٣) تاريخ الاندلس في مهد المرابطين والموحدين ، ص ٣٣٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٣٨ .

(٥) المتعجب ، ص ١٩١ .

يهمون بتأليف ابن تومرت ويستهربون عن الكتاب والسنة (١) ، وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على فساد عقيدة ابن تومرت ، وتنكر الناس لها ابتداء من المشاكل الداخلية التي واجهتها الدولة في بدايتها اي بعد وفاة داعيיתה مباشرة ، إلى درجة أن الخليفة المأمون (٢) امر بإسقاط إمام المهدى ، فبعث برسالة ، إلى الموحدين يخبرهم بذلك ، فقد جاء في الرسالة "... ولتعلموا اننا نبذنا الباطل واظهرنا الحق وان لا مهدي إلا عيسى بن مريم ، وما سمي مهديا إلا انه تكلم في المهد وتلك بدعة قد أزلناها ، والله يعيينا على القلادة التي تقلدناها ، وقد أزلينا العصمة من لا تثبت له عصمة ، فلذلك أزلينا عنه رسمه ، فتسقط وتبت وتمحي ولا تثبت ، وقد كان سيدنا المنصور رضي الله عنه هم ان يمدع بما به الان صدعنـا وان يرفع للامة الخرق الذي رقعناه " (٣) .

وامر المأمون بمحو اسم ابن تومرت من السكة الموحدية (٤) وتدويرها بعد ان كانت مربعة في عهد ابن تومرت وإلغاء ذكر اسمه من الخطبة بالذهبانية إلى قطع النداء بعد الصلاة والنداء عليها بتامليت الاسلام ، وهي إقامة الصلاة باللسان البربرى وكذلك سودود وناردي وأصبح والحمد لله . (٥)

(١) المصدر نفسه . ص ١٩٢ .

(٢) هو أبو العلاء ادريين المأمون بن يعقوب المنصور بن يوسف بن مبد المولمن . كانت خلافته خمس سنين وثلاثة أشهر ، ولد بمدinet مام ٥٨١ هـ وتووفي عام ٦٢٩ هـ انظر ترجمته في الحل المويهية ، ص ٦٣ - ٦٦ - ١٦٦ ، الانجليز المصطرب ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ ، تاريخ ابن خلدون ٦٢ ، ص ٥٢٨ .

(٣) الحل المويهية . ص ٤٥١ . الاستقمار . ص ٢٥ . ص ٢٢٨ ، تاريخ ابن خلدون .

(٤) الحل المويهية . ص ١٦٤ ، المؤمن ، ص ١٢٦ . رقم الحل .
Alfred bel, contribution, مقال
A l'étude des dirhems de l'époque Almohade PP 1-68 Hesperis
T 16 Année 1933.

(٥) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٢٨٦ . تاريخ ابن خلدون .

ولم يكتف بكل ما فعله بل لعن المهدى بن تومرت على منبر جامع المنصور بـ «مراكش قائلًا» ... يا أيها الناس لا تدعوه بالمهدي المعصوم وادعوه بالغوى المدموم ، فإنه لا معصوم إلا الأنبياء ولا مهدي إلا عيسى ، وإنما قد نبذنا أمره التحريم .^(١)

لكن هذا الانتصار الذي أحرزه المسلمون في الأرك لم يكن الفوز الأخير على النصارى في الأندلس ، بل كان بمثابة الاستعداد لجولة أخرى عام ٦٠٩ ، وانكسار شوكتهم في معركة العقاب * ، حيث "لم تقم لأهل المغرب بعد ذلك قائمة"^(٢) .

ففي الأندلس بذات المدن الإسلامية تقع فريسة بيد الإسبان ، في بينما كانت الدولة الموحدية تعاني من الغوضى ، والضعف الذي تسرب إليها نتيجة للصراعات بين القادة الموحدين الشعاف ، وتسلط الأشياخ ، كانت الدول النصرانية ، في تلك الفترة تسعى لتشكيل قوة واحدة^(٣) فيما بينها .

اما العامل الأساسي لسقوط اعظم دولة إسلامية قامت في المغرب والأندلس فلا يمكن في نتائج معركة العقاب وحدها بل في عوامل عديدة^(٤) . اما المغرب ، فانقسم على نفسه بعدما كان يشكل وحدة متكاملة شملت المغرب والأندلس معاً .

(١) الانبياء المطربي ، من ٢٥١ ، الاستفتاء ، ج ٢ ، من ٢٣٨ .

(٢) الروض المختار ، مادة (العقاب) .

(٣) تاريخ الأندلس في مهد المراقبين والمودعين ، من ٤٠٢ .

(٤) انظر ، روجي ليغورنو ، حركة الموحدين ، في المغرب في القرنين السادس عشر والثالث عشر ، من من ١٢٥-١٤٢ ، ترجمة أمين طيبى - ليبيا تونس - ١٩٨٢ . تاريخ المغرب العربي العصر الإسلامي ٢ ، من ٨٢٨ - ٨٢٩ . محمد المتونى ورقات من الحمارية المغاربية في مصر بيتي مرين ، من من ٨-٥ ، الرباط ١٩٧٩ .

(*) العقاب . ذكرت بكسر العين وهمه ، ودفع بين جياب ، وقلعة رباج ، وتعرف في المراجع الغربية باسم هفاب تولوسا las navas de tolosa ، وردت في المصادر العربية باسم العقاب أو حصن العقاب ، الروض المختار مادة (العقاب) محمد بن عبد العزيز ، موقعة أو هفاب تولوسا ، من ٨٧ . مجلة تاريخ العرب والعالم السنة ١٥ ، العدد ٥٧ ، يونيو ، ١٩٨٣ .

وفي عام ٦٤٥ قام أبو الحسن السعيد بن علي بن إدريس المأمون بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي (١) " يريد مكتنasse ** وبنـي مـريـن أولا ثم تلمسـان *** ، ويـفـمـراـسـنـ ثـانـيـاـ ثم إـفـرـيقـيـةـ وـابـنـ حـفـنـ شـالـثـاـ لـكـنـ مـشـروـعـهـ بـاءـ بـالـفـشـلـ ،ـ وـقـتـلـ في صـفـرـ عـامـ ٦٤٦ـ هـ .ـ (٢)

"واضـحتـ تـيـنـمـلـ ***ـ مـسـرـحاـ لـمـاسـاـةـ شـائـكـةـ كـانـ هـذـاـ فـيـ عـهـدـ قـرـرـ فـيـهـ الـمـرـيـنـيـوـنـ الـثـائـرـوـنـ الـقـفـاءـ عـلـىـ آـخـرـ مـاـ بـقـيـ مـنـ الـصـامـدـيـنـ الـمـوـحـدـيـنـ الـذـيـنـ هـمـوـاـ بـالـصـمـودـ فـيـ وـجـهـهـمـ ،ـ وـكـانـ آـخـرـ بـقـايـاـ هـذـهـ الـسـلاـلـةـ أـنـ أـلـقـتـ بـتـيـنـمـلـ الـتـيـ كـانـتـ مـهـدـ سـلـطـانـهـ "ـ (٣)ـ .ـ

(١) بـوـيـعـ يـوـمـ الجـمـعـةـ العـاـشـرـ مـنـ جـمـادـيـ الـثـانـيـ مـاـمـ ٦٤٠ـ هـ وـتـوـفـيـ فـيـ منـسـلـخـ مـفـرـ مـاـمـ ٦٤٦ـ هـ ،ـ اـنـظـرـ تـرـجـمـتـهـ فـيـ الـأـنـيـنـ الـمـطـرـبـ ،ـ صـ ٢٥٦ـ .ـ وـالـمـسـلـمـ ،ـ جـ ٢ـ ،ـ صـ ٢٤٦ـ ،ـ وـمـاـ بـعـدـهـ .ـ

(**) مـكـنـاسـ تـلـقـعـ بـالـمـغـرـبـ الـاـلـصـيـ وـهـيـ مـجـمـوـعـةـ مـنـ الـمـدـنـ تـحـدـلـ بـاـرـبـعـةـ مـنـ الـمـدـنـ وـتـلـقـعـ فـيـ طـرـيـقـ سـلـ ،ـ الـاـسـتـبـصـارـ ،ـ صـ ١٨٧ـ ،ـ نـرـةـ الـمـهـنـقـ .ـ صـ ٢٤٥ـ ،ـ ٢٤٤ـ .ـ

(***) تـلـمـسـانـ مـدـيـنـةـ بـشـرـبـ الـمـغـرـبـ الـاـوـسـطـ ،ـ وـالـبـعـضـ يـقـسـمـ يـقـسـمـ تـلـمـسـانـ بـالـثـلـاثـونـ مـوـهـاـ مـنـ الـلـامـ ،ـ وـهـيـ قـامـدـةـ بـنـيـ مـبـدـالـوـادـ زـنـاثـةـ وـتـهـبـهـ الـمـدـنـ الـاـنـدـلـسـيـةـ إـلـىـ حدـ كـبـيرـ .ـ نـرـةـ الـمـهـنـقـ .ـ صـ ٢٤٨ـ ،ـ كـتـابـ الـجـفـرـافـيـ ،ـ صـ ١٤٠ـ ،ـ مـعـجمـ الـبـلـدـانـ .ـ جـ ١ـ ،ـ صـ ٤٤ـ .ـ

(٢) الـاـسـتـقـصـاءـ ،ـ جـ ٢ـ ،ـ صـ ٢٤٩ـ ،ـ اـنـظـرـ تـفـاصـيلـ دـلـكـ فـيـ الـأـنـيـنـ الـمـطـرـبـ ،ـ صـ ٢٧٥ـ ،ـ وـالـدـخـيـرـةـ الـسـنـيـةـ تـسـمـوـلـفـ فـيـسـهـ .ـ صـ ٧٣ـ٧١ـ ،ـ طـ الـرـيـاطـ .ـ ١٩٧٢ـ .ـ

(***) تـيـنـمـلـ وـتـكـتـبـ تـيـنـمـالـ وـتـيـنـمـلـ وـتـيـنـ مـلـ ،ـ وـهـيـ قـرـيةـ بـجـنـوبـ الـمـغـرـبـ الـاـلـصـيـ ،ـ وـتـقـعـ مـلـىـ جـبـلـ مـالـ ،ـ إـذـاـ كـانـ فـعـلـ الـهـنـاـ صـعـبـ الـصـمـودـ إـلـيـهـ ،ـ وـبـعـدـ يـقـعـ قـبـرـ اـبـنـ ثـوـمـرـ وـمـبـدـالـوـادـ ،ـ وـابـدـهـ يـوسـفـ ،ـ وـيـذـكـرـ مـبـدـالـهـادـيـ الـثـائـرـيـ أـنـ تـيـنـ مـلـ كـمـاـ ذـكـرـهـ اـبـنـ صـاحـبـ الـعـلـةـ مـعـلـاهـاـ بـالـبـرـبرـيـةـ "ـشـيـنـ"ـ وـيـقـمـدـ بـهـاـ الـدـاـتـ وـ "ـإـيمـلـ"ـ وـمـعـنـاهـاـ الـحـوـاجـزـ ،ـ الـمـنـ بـالـأـمـامـةـ ،ـ صـ ١٤٩ـ ،ـ هـامـشـ ١ـ ،ـ نـرـةـ الـمـهـنـقـ صـ ٢٢٠ـ ،ـ الـاـسـتـبـصـارـ ،ـ ٢٠٨ـ .ـ

الإطار الاجتماعي

قام هيكل دولة الموحدين في اساسه على نظام الطبقات الشعبية فقد رتب ابن تومرت المجتمع الموحدي على هذا الاساس ، وذلك حسب اسقافية كل فرد ، وكل قبيلة في استقبال الاراء التومرية ، وهذا قبل إعلان الدعوة ، او بعد إعلانها لذا قام مؤسسها بتشكيل دولة بنيت في اساسها على نظام الجماعات الشعبية والطبقات القبلية .

لكن معظم المصادر التي تناولت هذه القضية لا تتفق في ذكر اسماء القبائل الموحدية او اسماء الاشخاص ، وفبطها اثناء ترجمتها من البربرية الى العربية ، وأسقفيتها في استقبال الدعوة وعددها والعمل الذي كلف به كل شخص ، فقد ورد اختلاف كبير في ذكر اسماء العشرة او اهل الجماعة ، وهم أول من بايع المهدى بن تومرت ، فعدادهم سبعة عند اليسع الذي اخذ عنه ابن القطن (١) ، وعشرة عند ابن القطن (٢) واثنا عشر في رواية المقتبس (٣) ولا يمكن الاعتماد على رواية المقتبس او المعجب في ذكر القبائل الموحدية في فترتها الاولى ، نظراً لإدماجها لقبيلة كومية ، وهي القبيلة التي ينتمي إليها عبد المؤمن بن علي ، ومقرها ندرومة قرب تلمسان (٤) ، ولو صح ذلك لوجودنا ذكراً لقبيلة البشير الونشريسي (٥) وهو الآخر من المغرب الأوسط لانتسابه إلى سلسلة جبال الونشريين أو عبد الواحد الشرقي (٦) وهو الآخر من المنطقة الشرقية للمغرب الأوسط أو المغرب الأدنى ، وهؤلاء الثلاثة صاحبو ابن تومرت من المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى . وهم من اهل الجماعة العشرة إن مع عدد الذين بايعوا ابن تومرت عام ٥١٥ هـ تحت شجرة الخروب (٧) .

(١) نظم الجمان . ص ٧٦ . (٢) المصدر نفسه . ص ٨٠-٧٧ .

(٣) documents inédits d'histoire almohade p 32 , 33 texte arabe .

(٤) أخبار المهدى بن تومرت . ص ٤١ .

(٥) نهاية الارب ، ص 403-400 ibid p 27 texte arabe .

(٦) المصدر السابق . ص ٤٣ .

(٧) المصدر نفسه . ص ٦٤ . الحليل الموهبة ص ١٠٨ . تاريخ الدولتين La berberie Musulmane et l'orient au moyen age p 259 .

وبناء على تضارب الروايات سنعتمد في ذلك على رواية ابن القطان ، لتوافقها مع مصادر أخرى من ناحية ضبط العدد الكامل لأهل الجماعة واتفاقها بعض الشئ مع ذكر القبائل الموحدية (١) .

فأولها العشرة أو أهل الجماعة ، وهم أول من بايع ابن تومرت من السابقين الأولين (٢) ويليهم أهل الخمسين ، وأهل السبعين ، وهم بمثابة مجلس الأمة والطلبة ، وهم علماء الموحدين والحفاظ ، وهم صغار الطلبة وأهل الدار ، وي يعني بهم أهل بيت ابن تومرت وهزارة ، وهي قبيلة ابن تومرت ، وأهل تينمل ، وهم بطون متعددة من قبيلة مصمودة وغيرها وجديروه ويكتون بعضها من الرعية ، وجنتيصة وهي أقصى القبائل البربرية واكثرها عدداً وهنئاتة وهي كثيرة العدد ايفا وأهل القبائل ، وهم هزميرة وهيلانة وهزركة (٣) وهي القبائل التي فاجرت ابن تومرت في بداية الدعوة ، والجند وهم المتطوعون والفرات (٤) .

لكن اثناء معركة البحيرة عام ٥٢٤ هـ قتل اربعة من أهل الجماعة والكثير من طبقة الخمسين والسبعين ، وكانت عملية التمييز الدموية (٥) التي قام بها الونشريسي عام ٥١٩ هـ حيث قتل فيها الكثير من دخل الدعوة الموحدية واستمرت هذه العملية اربعين يوماً لتمييز الخبيث من الطيب .

(١) الانبياء المطروب من ١٧٦٠ . الحلال الموحية من ١٠٩ ، ١٠٨ .
La berberie musulmane et l'orient au moyen age p 260
Histoire du Maroc p 30.

(٢) المصادر نفسها ونظم الجمان ، من م ٨٠-٧٧ .
op. cit p 260 , ibid p 30 .

(٣) الممحج ، من ٢٤١ .

(٤) هم الاحداث المصمار الاميين ، نظم الجمان ، من ٢٨ ، او الغرارة وهم الرماة ، الحلال الموحية ، من ١٠٩ ، او الفرات جمع فر وهو العبي الصغير ، نظم الجمان من ٢٨ ، هامش ٣ .

(٥) من عملية التمييز التي قام بها الونشريسي ، انظر ، نظم الجمان من ١٠٢ ، ١٠٣ ، اخبار المهدى بن تومرت ، من ٢٢،٧١ ، نهاية الارب من documents inedita d'histoire almohadie ، ٤٠٢ - ٤٠١
p p 35-37. texte arabe , ibn tumart, pp 68-70.

ونظراً للعدم اطمئنان ابن تومرت لقبيلة هزميره قتل منهم خمسة عشر ألفاً حسب ابن القطان وجردهم من كل ممتلكاتهم وزوّعها على الموحدين . (١)

وكان ارتداد بعض القبائل عن الدعوة الموحدية بعد وفاة ابن تومرت ، زيادة على الثورات التي واجهتها الدولة في عهد عبد المؤمن ، ومحاولة اغتيال عبد المؤمن من طرف أخيه ابن تومرت .

وقام عبد المؤمن بقتل كثير من أهل قبيلة منانة الجبل عام ٥٣٣ هـ نظراً لدخولها في الدعوة الموحدية ، وارتدادها ثلاث مرات واستمرت العملية شهراً وثلاثة أيام حسب ابن قطان (٢) .

ودخول العنصر الجديد المتمثل في القبائل العربية في الدعوة خاتمة ان عبد المؤمن اعتمد عليهم عام ٤٨هـ ، اثناء تعيين ابنه ولیاً للعهد (٣) وجلب عبد المؤمن أربعين ألف فارس من قبيلة كومية وجعلهم حرسه الخاص . (٤)

كل هذه الأحداث، وغيرها أدت بال الخليفة عبد المؤمن للتغيير النظام الذي وضعه ابن تومرت من قبل ، فبعث برسالة إلى طيبة تلمسان يخبرهم بإعادة تقسيم طبقات الموحدين إلى ثلاث طبقات ، وذلك حسب اقديمية كل قبيلة وكل شخص في دخله الدعوة الموحدية ، فكان التمييز الجديد مخالفًا لترتيب ابن تومرت .

فالطبقة الأولى تشمل كل من دخل في الدعوة الموحدية والمشاركين في البحريّة أو الذين صلوا خلف ابن تومرت وصحابه ، الطبقة الثانية وتشمل كل من دخل في الدعوة الموحدية بعد البحيرة أي بعد عام ٥٢٤

(١) نظم الجمان ص ٩٤، ٩٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٤١ ، وانظر نهاية الارب ، ص ٣٩٩ .

(٣) البيان المقرب (القسم الموحدي) ص ٤٩ .

(٤) الآتيين المطروب ، ص ٢٠٢، ٢٠١ .

هـ حتى فتح مدينة وهران * وتشمل سكان الناحية الغربية من المغرب الأوسط ، وبعضاً المدن الأندلسية التي قدمت البيعة لعبد المؤمن والطبقة الثالثة وهي أوسع الطبقات حيث تشمل كل من دخل في الدعوة الموحدية ، ابتداءً من عام ٥٤٠ هـ أي بعد فتح وهران إلى يوم صدور المرسوم بما فوق ذلك دون تحديد (١) .

وبمصدر هذه الرسالة ، يمكن الاعتماد على رواية المقتبس (٢) ورواية المعجب (٣) حيث أثبتت كومية تمثل الدرجة الثانية بعد قبيلة ابن تومرت ، (٤) وزيادة على هذه الأحداث والتغييرات التي أحدثها الخليفة عبد المؤمن ظهر عنصر جديد في الدولة الموحدية ، وهو عنصر أشياخ الجماعة الذين استولوا على منصب أهل الجماعة في الترتيب الأول فاصبح الخليفة عبد المؤمن يعتمد عليهم في تسيير شؤون الدولة واستشارتهم في معظم الأمور ، وتفاوض نفوذ الأشياخ إلى درجة أن أحد أبناء أشياخ ، قتل إبراهيم أبا عبد المؤمن ، فغضب الخليفة ، وطلب أن يقتل القاتل ، لكن طلبه قوبل بالرفض من طرف الأشياخ (٥) ، وتفاوض نفوذهم وازدادت أهميتهم ، وتدخلهم في كل شؤون الدولة ، حتى مجئ المأمون الذي طلب محو اسمهم من المراسيم (٦) .

اما سكان المغرب والأندلس خلال القرن السادس ، ونصف السابع ، فقد شملت البربر ، والعرب ، وأهل الذمة ، والغز وهم الاتراك .

(*) وهران مدينة كبيرة تقع غرب المغرب الأوسط ، قال الحميري أنها است في عام ٢٩٠ هـ وبعها مرسى كبير ، السروف المطرار مادة (وهران) الاستبيان ، ص ١٣١ .

(١) مجموع رسائل موحدية ، ص ٤٤ الرسالة الثانية مهره .

(٢) documents inédits d'histoire almohade p 44 texte arabe.

(٣) المعجب ، ص ٣٣٩ .

(٤) الانبياء المطرب ، ص ٢٠٢ ، وانتظر أخبار المهدى بن تومرت ، ص ١٠١ .

(٥) أخبار المهدى بن تومرت ، ص ٩٩ .

(٦) الإحاطة ١٥ ، ص ٤١٣ ، ٤١٤ .

البربر هم سكان المغرب الأمازيغ ، لذا لن نتعرض لهم هنا وأما العرب فعلى الرغم من وجودهم بالمغرب والأندلس فقد قام عبد المؤمن بجلب عدد كبير منهم إلى جنوب المغرب الأقصى للتخفيف من حدة العصبية القبلية ، ودمجهم في القبائل البربرية ، والاعتماد عليهم في الحروب بالأندلس نظراً للعدم تمكن القبائل البربرية من القيام بذلك ، أثناء توسيع الرقعة الجغرافية الموحدية ، فشارك العرب في الجهاد بالأندلس أيام الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ، واعتبروا من الجيوش المحررة للمدن الأندلسية وحمايتها (١) .

ونقل الخليفة المنصور عام ٩٨٤ مـ عدداً كبيراً منهم إلى المغرب الأقصى (٢) ، فكان لهذا العدد الغفير الذي تواجد على المغرب الأقصى الفضل الكبير في تعريب القبائل البربرية وانتشار اللغة العربية في هذه المنطقة . (٣)

اما أهل الذمة فإذا كان ابن تومرت قد اعتبر أهل اللشام كفراً ، فكيف هو الحال بالنسبة لأهل الذمة من اليهود والنصارى ؟ فقد كان عبد المؤمن متزمناً تجاههم لذا خيرهم عام ٩٥٤ هـ بعد فتحه تونس ، بين الإسلام أو السيف (٤) وامر جميع عمال بلاده أن يترك لهم الاختيار بين مغادرة البلاد أو اعتناق الإسلام فمن أسلم فلا فرق بينه وبين المسلمين ومن امتنع عن ذلك فقد أدخل دمه وماله ، وكان نتيجة هذا الاختلاط أن قتل عدد من مسلمي الأندلس من قبل اليهود الذين يدعون الإسلام (٥) .

لكن بمجرد المنصور ميز اليهود بلباس يعرفون به ، وهو عبارة عن ثياب كحلية ذات أكمام طويلة تصل إلى أقدامهم ، وأما العمائم التي عرموا بها فجعلها "كلوتوتات" في ابشع صورة (٦) .

(١) المصن بالامامة . ص ٢٠٣ .

(٢) la berberie musulmane et ... p ٢٤ ، ص ١٦٢ .
Lorient au moyen age p 263 .

(٣) الدولة الموحدية بالمغرب ، ص ٢٥٨ .

(٤) الاستقمام ، ج ٢ ، ص ١٣٧ . ibid p 269 .

(٥) انظر المصن بالامامة ، ص ١٢٩ .

(٦) المعجب ، ص ٣٠٤ . ibid p 269 . ٢٧٠ .

ويقول الزركشي (١) بأنه " في سنة خمس وسبعين أمر المنصور اليهود بعمل الشكّلة وجعل قممهم طول ذراع في مرض ، وجعل لهم برائحة وقلائل زرقة " .

لكن عبد الواحد المراكشي بعد انتهاءه من كلامه السابق يضيف " ولم تتعقد عندنا دمة ليهودي ولا نصراوي، منذ قام أمر المهامدة ولا في جميع بلاد المسلمين بال المغرب بيعة ولا كنيسة إنما اليهود عندنا يظهرون الإسلام ، ويصلون في المساجد ، ويقرئون أولادهم القرآن جارين على ملتنا وسنتنا والله أعلم بما تكون صدورهم وتحويه بيوبتهم" (٢) . ولكن في عهد الخليفة المأمون نال أهل الذمة - النماري - قسطا كبيرا من الحرية ، فاسترجعوا بعض ما افتقدوا في بداية الدولة حيث سمح لهم بإقامة شعائرهم الدينية فقامت بمراكن كنيسة تغرب فيها النواقيس (٣) .

أما الغز فهم الاتراك الذين استعملهم الخليفة يوسف في الجهاد بالأندلس (٤) وربما كانت الطبقة الرابعة عشرة التي اختلف في تسميتها فمن طبقات الموحدين هم الغز نظرا لتنميتهم بصفار الاميين، ربما كان هذا لعدم معرفتهم باللغة العربية أو البربرية، لذا منفوا في آخر طبقة كونهم أغراباً عن المنطقة ، ولكن ليس هناك اي دليل يثبت صحة هذا الافتراض او عدم صحته .

وأوصى المنصور بالغز قبل وفاته (٥) نظرا للدور الكبير الذي لعبوه في الجهاد بالأندلس ، فعبد الواحد المراكشي يقول إن المنصور أكرمهم (٦) " وبالغ في تكريمتهم ، وجعل لهم مزية ظاهرة على

(١) تاريخ الدولتين ، ص ١٦ . (٢) المعجب ، ص ٣٥٥ .

(٣) تاريخ ابن خلدون ٩٠٦ ص ٥٣٠، ٥٣١، الاستفهام ٥٢٦
pierre de cenival, leglise chretienne de marakech .
a4 13 siecle p 74, Hesperis annes 1927, 1 er triestre

(٤) الانبياء المطروب ، ص ٢١٣ ، ص ٣٢٦ .

(٥) البيان المقرب (قسم الموحدين) ، ص ٢٣٦ .

(٦) المعجب ، ص ٢٨٩ .

الموحدين ، وذلك ان الموحدين يأخذون الجامكية ثلاث مرات في كل سنة ، في كل اربعة اشهر مرة ، وجامكية الفز مستمرة في كل شهر لا تختل وقال : الفرق بين هؤلاء وبين الموحدين ان هؤلاء غرباء ، لا شئ لهم في البلاد يرجعون إليه سوى هذه الجامكية ، والموحدون لهم اقطاع واموال متصلة، هذا مع انه اقطع اعيانهم اقطاعاً كاسطاع الموحدين او أوسع " .

واهتمت الدولة الموحدية بالسلطة التشريعية ، واولتها اهمية في اختيار القضاة وتقديمهم حيث يعين القاضي مباشرة من قبل الخليفة نفسه ، فاحتل القضاة المكانة المرموقة عند الموحدين فيختار لهذه المهمة احسنهم واعددهم لأن " الاحكام الشرعية احق ما قدم احكامه وحفظ بجميل الاعتناء نظامه لانها القطب الذي تدور عليه مصالح الامة والملجا الذي يفرج اليه بالأمور المهمة لم نزل نتخير لها من نظن به الاستقلال ونحمد منه المناحي والخلال ، بادلين اقصى الوسع في الانتقاء موشرين من اجتمع في اوصاف الذكاء والنقاء" (١) .

ويؤمر القاضي بان يحكم بما جاء في الكتاب والسنة (٢) والامر بالمعروف والنهي عن المنكر (٣) والسير على سبيل السلف الصالح (٤) وما اجتمع عليه الامة (٥) .

وفي السادس عشر من شهر ربیع الاول عام ثلاثة وأربعين وخمسماةبعث الخليفة عبد المؤمن رسالة الى الطلبة والشيوخ والاعيان بالandalus شملت معظم القوانین الشرعية من رفع احكام القتل إلى الخليفة قبل إصدار الحكم الاخير فيها ، وظلم بعض الولاة ، وفرض النافذ بالسياط (٦)

(١) مخطوط الخزانة العامة (الرباط) رقم ٧٥٢ ، ورقة ٦٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ورقة ٦١ ، ورقة ٦٤ ، ورقة ٦٩ ، ورقة ٧٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ورقة ٦٧ ، ورقة ٧٢ ، ورقة ٧٥ ، ورقة ٧٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ورقة ٧١ ، ورقة ٨٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ورقة ٦٤ .

(٦) انظر المتن بالامامة ص ٢٢٨ . ومخطوط العطاء الجزيل في كشف مخطوطة الترسيل ورقة ١٣٧ .

وتزويج المرأة دون استبراء) ومحاربة كل أنواع المسكرات، والبحث عن الأماكن المشبوهة في صنعها والتتأكد مما يحل شربه من الرب^(١) وما يمنع^(٢).

اما المرأة الموحدية فقد كانت أقل ظهوراً واحتلاطاً في المجتمع ، إذا قورنت بالمرأة المرابطية ، ويعود ذلك في رأي عبد الله علام ، إلى مكونات البيئة الاجتماعية التي فرضتها عليها الحياة المحراوية التي عاشها المجتمع المرابطي ، فالمرأة الصحراوية هي عماد الأسرة حيث تتحمل أعباء الحياة الاجتماعية والاقتصادية في حين يقتصر عمل الرجل على حماية القبيلة^(٣).

لكن هذا الأمر لم يؤد إلى الانتقاص من حريتها ، بل على العكس من ذلك ، فابن رشد^(٤) يرى أنه ليس هناك أي فرق بين الرجل والمرأة اللهم إلا أنها أضعف منه في العمل ، فطبيعة المرأة هي نفسها عند الرجل وإنما يمكن الاختلاف في الأعمال لا غير ، والبرهان على ذلك في رأيه ، أنها قادرة على المشاركة في الحروب والفلسفة^(٥).

وبعدات قمة المرأة الموحدية بدخول ابن تومرت مراكش ، وذلك أنه التقى اخت السلطان علي بن يوسف ، وهي مسيرة ، صحبة جواريها فوبخها ، و Herb دوابهن إلى أن وقعت اخت الأمير على الأرض^(٦).

(١) الرب هو نوع من الهراب يتناوله سكان السجالي بالخصوص لمواجهة البرد ، الاستبصار من ٢١١ ، النظر مجموع رسائل موحدية ، من ١٦٦٠-١٦٥٠ ، الرسالة الثالثة والعشرون .

(٢) نظم الجمان ، من ١٥٠-١٦٧ .

(٣) الدولة الموحدية بال المغرب ، ص ٢٤٣ .

(٤) هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رهد من أهل قرطبة انظر منه ، ابن أبي مسيحة ميسون الاتبا ، في طبقات الاطباء ، من ٥٣٢-٥٣٠ ، ميدالملك المراكش ، الدليل والحكمة ، السفر ٦ ، ص ٣١-٣١ ، تحق احسان ميسان دار الثقافة بيروت ١٩٧٣ ، ١٩٨٦ .

(٥) احمد امين ظهر الاسلام ، ج ٣ ، ص ٢٧١-٢٧٢ ، ط المصرية ١٩٥٢ ، حسن المسائي الحمارية الاسلامية في المغرب ، ص ٢٣٤ ، الدار البيضاء ط ٢ ١٩٨٦ .

(٦) نهاية الرب ، ص ٣٩٧ .
La berberie musulmane et l'orient
Au moyen age p 256 .

وكان لهذا أن منع اختلاط النساء بالرجال ، ومنع سفورهن خارج بيوتهن، ولما كان عبد المؤمن قد فرض التعليم وجعله اجبارياً ومجانياً (١) لكل الموحدين بحيث يشمل النساء والرجال ، شاركت المرأة في هذا الميدان ، وأبادعت فيه إلى درجة أن بعض المثقفات نلن تقديرها واسعاً ففتحت أمامهن أبواب القمر ليعلمن فيهم (٢) .

وتذكر لنا بعض المصادر ، أسماء النساء اللاتي برزن في هذا الميدان مثل أسماء العاشرية التي مدحت عبد المؤمن و قولها :

عَرَقَنَا التَّقْرَرُ وَالْفَتْحُ الْمُؤْمِنَةُ
إِذَا كَانَ الْحَدِيثُ عَنِ الْمُعَالَىِ رَأَيْتُ حَدِيثَكُمْ فِينَا هَجَوْنَا (٣)

وحفصة بنت الحاج الركونية ، المشهورة بجمالها وحبها ، التي علمت النساء بدار الخليفة المنصور بن يوسف (٤) ، وهي الثالثة (٥)
 آثارَ عَلَيْكَ مِنْ عَيْنِي (رقبي) (٦) وَمِنْكَ وَمِنْ زَمَانِكَ وَالْمَكَانِ
 وَلَوْ أَنِّي كَبَانْتُكَ فِي عَيْوَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا كَفَانِي.

وبلغت الأميرة زينب بنت يوسف بن عبد المؤمن درجة عالية من علم الكلام ، ولمعت إلى جانب ذلك في ميدان الثقافة والعلم (٧) .

(١) مجموع رسائل موحديّة ، ص ١٣٢ . المرسال الثالثة والمعروون.

(٢) محمد المدوني العلوم والآداب والفنون على مهد الموحدين ، ص ٣٣ ط ٢ الرباط ١٩٧٧ .

(٣) المقري ، شفاعة الطيب في مصنف الاندلس الرطب ، ج ٦ ص ٧٢ ، حق ، يوسف الصديق محمد البغدادي ، دار الفكر بيروت ط ١ ، ١٩٨٦ ، انظر منها ومن غيرها عبد العزيز بن ميدالله المرأة المرا migliحة في الحقائق الفكري صحيحة ممدوحة في مدرید م ٦ العدد ٢-١ ص ٢٦٠ .

(٤) العلوم والآداب والفنون ص ٣٤ ، الدول الموحدية بال المغرب ص ٢٤٤ .

(٥) النفح ، ج ٥ ص ٣٠٩ ، ترجمتها في التكميل رقم ٢١٢٢ .

(٦) منشد louis di giacomo , une poetesse andalouse du temps des almohades hafsa bint alhdj ar - rukuniya p95 Hespenis annee t 347 . (ومن)

(٧) العلوم والآداب والفنون ، ص ٣٢ الدولة الموحدية بال المغرب ، ص ٢٤٤، ٢٤٢ .

وبلغت منزلة المرأة الموحدية درجة مرموقة حتى إن الرحالة ابن جبير روى زوجته أم المجد بأكثر من خمس مoshahat) وأفراد في رثائهما أكثر من ثلاثة بيت في ديوانه (١) .

ومن عادات النساء عند الموحدين استعمال التمام ، وتنزيين بطون الأكف و ظهور السواعد بالحناء (٢) .

وفي رسالة الفصول - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - أمر الخليفة عبد المؤمن بن علي رجال السلطة بالبحث عن المنكرات " والنساء المفسدات المتفننات في طرق الغواية" (٣) .

ويصف عبد الواحد المراكشي ببيمارستان (٤) مراكن الذي شيد في عهد الخليفة المنصور بأنه لا يعتقد " أن في الدنيا مثله ، وذلك أن - المنصور تخير ساحة فسيحة باعدل موضع في البلد وامر البنائيين بإتقانه على احسن الوجوه فاتقنوها فيه من النقوش البدعية والزخارف ، والماكولات واجرى فيه مياه كثيرة تدور على البيوت زيادة على اربع برك في وسطه احدها من رخام ابيض ثم امر له من الفرش النفيسة من انواع الصوف والكتان والحرير الاديم ، وغيره بما يزيد عن الوصف ، ويأتي فوق النعم واجرى له ثلاثين دينارا في كل يوم برسم الطعام ، وما ينفق عليه خامة ، خارجا مما جلب إليه من الادوية ، و اقام فيه من الميادة لعمل الاشربة والادهان والاكمال ، واعد فيه للمريض ثياب ليل ونهار للنوم من

(١) الدليل والتكاملة السفر ٥ ٠٢ ص ٦٠٨ شعر احسان مباس بيروت ١٩٦٥ .

(٢) مخطوط العطاء الجزيل في عهف مطراء الخرسيل ، ورقة ٤٤ .

(٣) مجموع رسائل موحدة ، ص ١٣٤ ، الرسالة الثالثة والمعهرون .

(٤) ببيمارستان علامة فارسية من علمتين بيمار وتعنى المريض ، واستان وتعنى المكان ... فعملتى ببيمارستان دار المريض " عبد الهادي التازى ، المذهبات الصحبية بال المغرب عبر التاريخ ، مجلة مجمع اللغة العربية الاردنى ، العدد ١٣ ، ١٤ ، السنة ٤ ، ص ٦٩ . تموز - كانون الاول ١٩٨١ .

جهاز الصيف والشتاء ، فإذا نقه المريض فإن كان فقيراً أمر له بمأكال يعيش به ريثما يستقل وإن كان غنياً دفع إليه ماله وترك وسبيبه ، ولم يقصره على الفقراء دون الأغنياء بل كل من مرض بمراكش من غريب حمل إليه وعولج إلى أن يستريح أو يموت ، وكان في كل جمعة بعد صلاة يركب ، ويدخله يعود المرضى ، ويسأل من أهل كل بيت يقول كيف حالكم ؟ وكيف القومة عليكم ؟ إلى غير ذلك من السؤال ثم يخرج ، لم يزل مستمراً على هذا إلى أن مات رحمة الله " (١) .

ونستخلص من كلام عبد الواحد المراكشي ، القيمة الحضارية للعمارة الموحدية ، في ترتيب بيمارستان مراكش واستخراجه ، وغيره من المنجزات الأخرى التي تشهد على تطور الفكر والطابع العمري الموحدي فيما يتعلق بشكله الخارجي والداخلي معاً ، من حيث اختيار الموضوع المناسب لبنائه ، وزخرفته بأجمل النقوش زيادة على تزيينه بالبرك المائية في وسطه ، وإذا كان شكله الخارجي يوحي بنوع من الشراء الذي وصلت إليه الدولة (٢) في عهد المنصور فإن ما يهمنا هنا هو التنسيق والتركيب الداخلي ، من حيث إدخال قنوات المياه لكل الحجرات ، وتوفير احسن فراش للمريض ، وإنفاق ثلاثين دينارا يومياً من أجل الطعام ، وما جلب إليه من الأدوية والميدالية والأطباء ، وتوفير لباس المريض ليلاً غير الذي يرتديه نهاراً ، وهذا حسب فصول السنة إلى آخر المaura التي قدمها عبد الواحد المراكشي في وصف بيمارستان مراكش لهذا قيل عنه " بأنه يخلف وراءه مصحات أوربا المسيحية ، وتخجل منه حتى اليوم - أي عام ١٩٢٦ - مستشفى باري (٣)" .

(١) المصتعب ، ص ٢٨٧ - ٢٨٨ .

(٢) انظر الآتي المطرد ، ص ٢١٧ - ٢١٨ .

(٣) ميد العزيز بن ميد الله تطور الفن في مهد الموحدين ، ص ٧٣ . مجلة البيئة السنة الأولى العدد ٩ يناير ١٩٦٣ .

الإطار الثقافي

لقد كانت الفترة الموحدية من الفترات المزدهرة حضارياً في تاريخ المغرب والأندلس حيث تذكر لنا المصادر أعداداً وافرة من العلماء والأدباء، والمفكريين في مختلف الميادين والعلوم، ولذلك فإن الفضل يرجع إليهم في إحياء الحركة الفكرية واستمرارها وانتعاشها خلال القرن السادس ونصف السابع، على الرغم من سقوط بعض المدن الأندلسية في يد التمارة، والهزيمة التي ابتلي بها المسلمين في معركة العقاب.

وتزخر كتب التراث بعدد كبير من الأدباء والمفكريين العاملين في مختلف المعارف العلمية، التي حفل بها البلاط الموحدي، وكان سباقاً إلى تشجيعها وإحيائها.

فأجريت المرتبات على "الأطباء والمهندسين، والكتاب والشراة" (١) وبدون شك أن المرتبات كانت تصرف على غير هؤلاء من المفكريين.

وبتشجيع الخلفاء للبحث، ازدهرت الثقافة، وأطلق عنان الفكر، وأحييت الفلسفة حيث بلغت "أوج نموها" (٢) بعد أن كانت محظورة عند المراقبين، وكان الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بن علي من المتحمسين لترجمة كتاب أرسطو طاليس الفيلسوف الإغريقي (٣).

وليم تكون هذه الحركة مقتصرة على أصحابها، والمحتملين بها فقط، بل شملت الخلفاء والأمراء.

فقد كان ابن تومرت محبًا للعلم، والعلماء متبحراً في الفقه، ورواية الحديث (٤) وكم خليفته، وتلميذه عبد المؤمن بن علي بالسفر إلى المشرق لطلب العلم لولا التفاوه بمعلمه، وكان هو الآخر محبًا

(١) المعجب ، ص ٢٤٠ .

(٢) نيفي بروفتسمان ، الشرق الإسلامي والحضارة العربية ، ص ٣٥ ، تطوان ١٩٥١.

(٣) المهدى نفسه ، ص ٢٤٣ .

للعلماء يطلبهم ، ويجري عليهم الرواتب (١) ، عالما بالفقه ، حافظا للحديث حجة في النحو ، واللغة والأدب إلى غير ذلك من المعارف الأخرى السائدة في عصره (٢)، أما ابنه الخليفة يوسف فكان هو الآخر متبحرا في النحو واللغة العربية (٣) إلى جانب مشاركته في الفلسفة والطب (٤) .

ونمت الفلسفة منذ المواردين وكان ابن تومرت قد اتخذ من قافية حرق كتب أبي حامد الغزالى أكبر حجة للقضاء على حكم المرابطين ، إلى جانب الإتهامات الأخرى التي وجهها إليهم كالكفر والخروج ، عن الدين ، ولذلك أُمِيدَت إلى الغزالى المكانة التي كان يجب أن يحظى بها عند المغاربة والأندلسيين ، وتقلص نفوذ الفقهاء الذين كانوا سببا في حرق كتبه ، فحد من حرريتهم على عكس ما كانوا يمتازون به أيام المرابطين ، وازدهرت الفلسفة أيام الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بن علي ، فقد حدا به شرف نفسه وعلو همةه إلى تعلم الفلسفة فجمع كثيرا من أجزائها ، وبدا من ذلك بعلم الطب ، فاستظهر من الكتاب المعروف بالملكي أكثره مما يتعلق بالعلم خامة دون العمل ، ثم تخاطر ذلك إلى ما هو أشرف منه من أنواع الفلسفة وامر بجمع كتبها (٥) .

ولم يقتصر إهتمام الخليفة يوسف على اقتداء الكتب الفلسفية ، لكنه سعى إلى جلب المختصين بها فحظي مجلسه بالفيلسوف أبي بكر بن طفيل ، ونساء إعجاب الخليفة إذ لم يكن يغادر مجلسه ليلولا نهارا (٦) ، وإليه يرجع الفضل في تقديم الفيلسوف ابن رشد إلى الخليفة .

(١) الحلى الموهبة ، ص ١٥٠ ، المعجب ، ص ٢٠٠ .

(٢) الانبياء المنطوب ، ص ٢٠٣ ، المؤمن ، ص ١١٧ .

(٣) المعجب ، ص ٢٣٨ . (٤) المصدر نفسه ، ص ٢٣٨ .

(٥) المعجب ، ص ٢٣٨ . (٦) المصدر نفسه ، ص ٢٤٠ .

ويذكر عبد الواحد المراكشي، أن أبا بكر بن طفيل قال لابن رشد (١)"(إن أمير المؤمنين) يتشكى من قلق عبارة أرسطو طاليس - أو عبارة المترجمين عنه - ويذكر عموم أغراضه، ويقول لو وقع لهذه الكتب من يلخصها ، ويقرب أغراضها بعد أن يفهمها فهما جيداً لقرب مأخذها على الناس، فإن كان فيك فضل قوة لذلك فافعل ، إنني لا رجو ان تفي به لما أعلمه من جودة ذهنك وصفاء قريحتك ، وقوية نزوحك إلى المناعة و ما يمتعني من ذلك إلا ما تعلمه من كبير (٢) سني و اشتغالك بالخدمة وصرف غايتي إلى ما هو اهم عندك منه ، قال أبو الوليد : فكان هذا الذي حملني على تلخيص مالختمه من كتب أرسطو طاليس ".

ويختتم عبد الواحد المراكشي كلامه عن الخليفة يوسف، ومدى شفته بتعلم الفلسفة وإعجاب ابن رشد به فيقول : (٣) " لم يكن فيبني عبد المؤمن فيما تقدم منهم وتاخر ملك بالحقيقة غير أبي يعقوب ". ولم يحد يعقوب المنصور عن سلفه بل شارك في معظم العلوم المنتشرة آنذاك (٤) وحرض عبد المؤمن على انتشار المعاهد العلمية في أرجاء المغرب والأندلس، فقد فرض التعليم (٥) مما ادى إلى انتشار العلم وكثير تردد عامة الناس على معاهد العلم سواء أكانتوا أحراراً أم عبيداً، ماداموا تحت الراية الموحدية .

وعين الخليفة عبد المؤمن بن علي الحفاظ، - صفار الطلبة - على حفظ مؤلفات ابن تومرت كتاب " اعز ما يطلب "، وكتاب الموطأ فكان يدخلهم كل يوم جمعة بعد الملاة داخل القصر، فيجتمع الحفاظ فيه، وهم نحو ثلاثة آلاف (٦) كافهم ابناء ليلة من المهامدة،

(١) المصدر نفسه . ص ٢٤٣ . (٢) هي الاصل . كبيرة .

(٣) المصدر نفسه . ص ٢٤٣ .

(٤) الآتيين المطروب، ص ٢١٥

(٥) مجموع رسائل موحدية ، ص ١٣٢ ، الرسالة الثانية والعشرون

(٦) ياتي صاحب الحليل الموهبة في ذكر المعهد، ويرجع de verendum marakech des origines a ١٩١٢ p ١٦٩ .

وغيرهم، فقدم لهم سرعة الحفظ، والتربية على ما يريد فيأخذهم يوماً بتعليم الركوب، ويوماً بالرمي بالقوس، ويوماً بالغوم في بحيرة صنعها خارج بستانه... ويوماً يأخذهم بستان. يجذبوا على قوارب، وزوارق صنعها لهم في تلك البحيرة، فتتدبروا بهذه الآداب تارة بالعطاء، وتارة باللادب، وكانت نفقتهم، وسائر مؤونتهم من عنده كذلك .^(١)

وأكمل يعقوب المنصور عمل جده، حيث بذل المدارس للطلاب، فانتشرت دور العلم في المغرب والأندلس ^(٢)، وكان والده الخليفة يوسف من المهتمين باقتناه أنفس الكتب، فعين من يسأل عنها ويجلبها له، وحفل مجلسه بعدد كبير من العلماء الذين كان يجلبهم إليه الفيلسوف أبو بكر بن طفيل ^(٣)، ومن بينهم ابن رشد ت ٥٩٥ هـ .^(٤)

وجلب الخليفة عبد المؤمن بن علي العلماء من الأندلس إلى المغرب الأقصى. ومن المدن المغربية الأخرى إلى مراكش، وهذا حذوه أبنه يوسف وحفيده المنصور فكانا يقيمان المجالس العلمية في قصورهم، ويختاران لها أحسنهم، وأرسخهم علمًا، وعادة ما يفتح المجلس بمسألة معينة يطرحها الخليفة لتناقش بين الحضور ^(٥).

وحفاظاً على نظام هذه المجالس، فقد رتبت حسب الاختصاصات والمواضيع، "فهناك مجلس للمذاكرة في الأدب، ومجلس للمذاكرة في العربية وهلم جرا" ^(٦) ووضع لهذه المجالس نظام معين لا تحيد عنه،
^(١) الحل الموسوي، ص ١٥٠ .

^(٢) انظر الآتي المطربي، ص ٢١٧، رقم الحل ص ٥٥ .

^(٣) انظر ترجمته في وفيات الأئميان ج ٤، ص ٥٦ المغرب في حل المقرب ص ١١٩ .

^(٤) المعجب، ص ٢٤٢، وانظر ترجمته عند ابن الأبار، الحكمة بالكتاب الصالحة، ص ٥٥٣ رقم ١٤٩٧ تحق السيد مرت المطراري الحسيني القاهرة ١٩٥٦، الدليل والتحكمة السفر ٦، ص ٢١، رقم ٥١.

^(٥) العلوم والآداب والفنون على مهد الموحدين، ص ٣٩ .

^(٦) المصدر نفسه، ص ٣٩ .

حيث يجلسن قساوسي الجماعة عادة إلى جانب الخليفة ويأتى بعده رئيßen الأطباء، فاكبر علماء الحفرة ثم باقي الاعلام الحاضرين على اختلاف مستوياتهم (١) .

وبلغت حرية القول في عهد الموحدين إلى درجة ان الشاعر الجراوي استطاع ان يخرج على الخليفة يوسف بقوله المشهور دون ان يرد عليه او ان يعاقبه (٢) .

ومدح أبو محمد عبدالله بن أبي العباس التيفاشي الخليفة عبد المؤمن بقوله :

ماهز عطفيه بين البيض والأسل مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي فأشار إليه الخليفة ان يقتصر على هذا البيت وامر له بالسفر دينار (٣) .

واعطى الخليفة يعقوب المنصور أحد الشعراء الفي دينار لبيتين انشدهما مهنتا إيهه بانتصاره في معركة الارك (٤) .

ونظرا لهذه التشجيعات المادية والمعنوية التي كان الخلفاء والأمراء يحيطون بها رجال العلم والأدب فقد شهدت الحركة الفكرية ازدهارا لا مثيل له في ظلبني عبد المؤمن وكان لهذا الازدهار ان ظهرت أسماء لامعة من العلماء والمفكريين في مختلف النشاطات .

وعلا صيت الفيلسوف ابن رشد عند الخليفة يوسف، وابنه يعقوب المنصور، إلا ان الايام تذكرت له بسبب الوشاة، والحساد، فابعده

(١) ميون الانبياء في طبقات الأطباء ، من ٥٢٩ .

(٢) انظر وفيات الانبياء ٢ ، ٣ ، من ١٣٧ .

(٣) المصدر نفسه ٢ ، ٣ ، من ٢٤٩ ، المؤسس من ١١٧ ، هجرة النور البرغشية . من ١١٧ ، تاريخ الدولتين من ١٤ ، وذكر اسمه "محمد بن عمر التيفاشي".
la poesie a l'epoque de abd al-mumin ٧ p

(٤) انجل جنتال بانديها ، تاريخ الفكر الاندلسي من ١٢٧ ترجمة حسين مؤنس ط ١ القاهرة ١٩٥٥ .

ال الخليفة المنصور، وأمر بحرق كتبه الفلسفية فحدث بذلك نكبة (١).

ويخبرنا ابن رشد عما لقيه أيام نكبة من العامة حيث يقول (٢) " أعظم ما طرأ علىي في النكبة أني دخلت أنا وولدي عبد الله مساجداً بقرطبة، وقد حانت ملاة العصر فثارت علينا بعض سفلة العامة فاخروننا منه ".

ولم يكن العداء الموروث للفلسفة مقتصرًا على العامة، والفقهاء فقط، فهذا ابن جبير الرحالة المشهور، نراه يطلق لسانه بالتشنيع على الفلسفة، خاصة أيام نكبة ابن رشد فمن قوله في هذا الميدان :

فَلَمْ يَأْفِعْ لَهَا الشَّرِيعَةُ
كَارِفَةٌ عَنْ هَذِي الْشَّرِيعَةِ
يَفْعُلُ شَيْئًا سَوْيَ الْطَّبِيعَةِ
كَيْسَنْ تَرَى قَاعِلًا حَكِيمًا

وقوله أيها :

يَا وَحْشَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ فِرْقَةِ
شَاغِلَةِ أَنْفُسَهَا بِالسَّفَرِ
وَأَدَمَتِ الْحِكْمَةَ وَالْفَلْسَفَةَ
قَدْ نَبَذَتِ دِينَ الْهَدِيَّ خَلْفَهَا

لكن الخليفة يعقوب المنصور تدارك بعد ذلك الخطأ الذي وقع فيه فاستدعاه إلى حضرة مراكش وعفا عنه .

وإلى جانب الفلسفة، برزت مجموعة كبيرة من المتصوفة الذين تحرروا من القيود السائدة عند المرابطين، وإن كانت آراؤهم متأثرة في أغلب الأحيان بالنظريات والأراء الفلسفية أيفا، ويأتي على رأسهم أبو بكر محمد بن علي بن محمد المعروف بابن العربي ت ٩٦٣ - " برع في علم التصوف، وله في ذلك تواليف جليلة (٥)، ومنهم احمد بن (٦) المعجب، ص ٣٠٥، وانتظر رسالة أبو مبدالله بن مياه في هذه القضية، الدليل والتكاملة السفر ٦ ص ٢٦-٢٨.

(٢) العمدر نفسه، السفر ٦ ص ٢٦.

(٣) النفي، ج ٠٣، ص ١٤٤، طهر الإسلام ص ٢٤٨.

(٤) العمدر السابق، ج ٠٧، ص ١٤٤.

(٥) التكميلة، ج ٢ ص ٤٥١، رقم ١٦٧٤، الدليل والتكاملة السفر ٦ ص ٤٩٣، رقم ١٢٧٧، في مذوان الدراسية أبو مبدالله ص ١٥٦، رقم ٣٢.

محمد مبشوتوت ت ٦٢٥ هـ " كان من اكابر مشايخ الصوفية في وقته "(١)، ومنهم ميمون بن محمد بن عبد الحق بن احمد ت ٥٦٥٦ (٢)، وعبد الجليل بن موسى الاوسي القمرى، ت ٦٠٦، (٣) . وابراهيم بن محمد بن خلف بن سوار بن احمد ت ٥٦١٦ (٤)، وأبو الحسن علي بن محمد الخزاجي ت ٦٦١ هـ . (٥)

ونشطت العلوم الدينية عند الموحدين فظرا لايمسان الخلفاء واهتمامهم بعقيدتهم ، فال الخليفة يوسف بن عبد المؤمن كان يحفظ أحد الصحيحين ومن المرجح انه صحيح البخاري (٦) اما كتب الفروع فقد احرقت في عهد الخليفة المنصور ، وعاد النام مرة اخرى إلى الكتاب و السنة (٧) ، وكان لهذا ان لمعت عدة اسماء عند الموحدين ، الذين داع صيّتهم في الفقه ، والحديث والقراءات ، إلى غير ذلك من العلوم الدينية ، فمن الفقهاء ظهر ابو محمد عبدالله بن محمد عبد السلام العذلي ت ٥٧٤ هـ " كان فقيها عالماً متقدماً كثيراً الانقباض والخير والدين والورع " (٨) ، ومنهم ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد السلام الفساني ت ٦١٩ هـ ، فإلى جانب تقدمه في علم الفقه كانت له معرفة جيدة بمختلف وجوه القراءات (٩) ومنهم ابو مروان عبد الملك ابن محمد بن عبد الملك الانصاري ت ٥٩١ ، (١٠) .

(١) المصدر السابق ، السفر ١ ف ٢ ص ٤٨٦ ، رقم ٧٥ تحق محمد بن هريفة بيروت .

(٢) الاحاطة ، نصوص جديدة لم تنشر من ٣٨ ، رقم ٢٦ ، رقم ٢٦ ، تحق عبد السلام شفوري ، المغرب ١٩٨٨ .

(٣) ابن ابيير صلة المصلة من ٣١ رقم ٤٤ .

(٤) التعمدة ، ج ١ ص ١٦٦ ، رقم ٤٣٤ .

(٥) المصدر السابق ، من ١١٩ ، رقم ٢٤٢ .

(٦) المعجب ، من ٢٣٨ . (٧) المصدر نفسه ، من ٢٧٨ .

(٨) الاحاطة نصوص جديدة لم تنشر ، من ٨٨ ، رقم ١٠٠ .

(٩) المصدر نفسه ، من ١٧١ ، رقم ١٧٦ .

(١٠) الدليل والتكميل السفر ٥ ف ٢ من ٣٥ ، رقم ٨٣ ، الاحاطة نصوص جديدة لم تنشر ، من ٢٤ ، رقم ٢٤٢ .

ومنهم ابو بكر محمد بن طاهر بن العامري ت ٥٥٧ هـ (١). وإلى جانب الفقه لمع كثير من المحدثين لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم فمن بينهم ابو عبدالله محمد بن احمد بن عبد الرحمن بن سعيد الفهري ت ٥٥٠ هـ الملقب ببابي هريرة لسعة حفظه للحديث، ومن مؤلفاته كتاب الأربعين حديثاً متنه على مذاهب أهل التموف وطرائق ذوي العبادات (٢)، ومنهم ابو بكر بيش محمد بن علي بيش العبدري ت ٦٨٢ هـ ي يقول عنه ابن الباري بانه " كان حافضاً للحديث . . . قلماً كان يغيب عنه شئ في صحيح البخاري لحظة . . . وalf على صحيح البخاري تاليفين الاول سماه بال صحيح والثاني جمع الاحاديث الذي زاد مسلم في تحريرها على البخاري (٣)، ومنهم ابو جعفر احمد الاذدي ت قبل ٤٨٠ هـ (٤).

وإلى جانب الفقه والحديث برع أبو محمد قاسم بن الحاج محمد بن المبارك ت ٥٥٩ هـ في علم القراءات والتجويد (٥)، وعبدالله بن محمد ابن علي بن عبدالله ت ٥٩١ هـ كان سكان المرية وماجاورها يزدحمون عليه في شهر رمضان لسماعه في المسجد، وعلا ذكره بالandalis ثم استدعاه الخليفة يعقوب المنصور عنده بمراكنش (٦)، ومنهم أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد السلام ت ٦١٩ هـ (٧).

أما اللغة العربية فعلى الرغم من اعتماد ابن تومرت في نشر دعوته على البربرية، بين سكان جبال المنطقة الجنوبية للمغرب

(١) ملحق الاحاطة الجديدة نصوص جديدة لم تنشر، ص ٢٦٢.

(٢) الدليل والحكمـة السفر ٥ ق ٢، من ٦٧١، رقم ١٢٦٧، الحكمـة، ٢٥، ص ٤٨٥، رقم ١٣٤.

(٣) المصدر نفسه في ١١ من ٢٢٨، رقم ٦٦٠ محمد مخلوف، شجرة الدور البركية، من ١٥٦، رقم ٤٧٩، بيروت ط ١٣٢٩.

(٤) الظبي، بقية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس، ص ١٧١، رقم ٢٨٣ ط ١٩٦٧.

(٥) الدليل والمتكلمة المفترض في مساعي رقم ١٥٧، ص ١١٤.

(٦) التكميلة ج ٢ ص ٨٢٧، رقم ٢٠٨٠.

(٧) الاحاطة نصوص جديدة لم تذهر، ص ١٧١، رقم ١٧٩.

الاقصى البعيدين عن المدن، فقد أصبح لسانها اللسان العربي منذ فترة وجيزة، وعمت اللغة العربية معظم المناطق الثانية بعد انتشار كلمة الموحدين بها، فازدهرت العلوم اللغوية أكثر في العدوتين وأمست اللغة العربية السائدة بين أوساط البربر.

فقد كان عبد المؤمن وابنه يوسف عالمين بال نحو واللغة مجيدين لهما، ويعد محمد بن احمد بن هشام بن ابراهيم بن خلفت ٥٥٧ هـ من أشهر النحويين في هذه الفترة ترك تصنیف کثيرة منها "تقویم اللسان وشرح مقصورة ابن درید ... إلى غير ذلك من المقالات الكثيرة في النحو واللغة" (١)، وبرز موسى بن عبد الرحمن بن يحيى المعروف بالحموي ت ٦٠٩ هـ "كان استاداً في اللغة والنحو" (٢)، ومنهم ابن خروف الاديب النحوي ت ٦٠٩ هـ له عدة مؤلفات منها كتابه "شرح على كتاب سيبويه" ، و"شرح لكتاب الجمل" (٣) . ومنهم ابو بكر محمد بن طلحة بن محمد بن عبد الملك (٤) .

ونظراً لكثرة النحويين ظهرت عدة مدارس نحوية . واستقلت كل واحدة برأيها في عدة قضايا إعرابية (٥) .

وأما الأدب فإننا لو استخرجنا كل الأبيات والمقطوع الشعرية من المصادر لتبيّن لنا أن معظم خلفاء وامراء دولة الموحدين، كانوا شعراء، أو ميلادين لقرض الشعر .

(١) الدليل والتكاملة، السفر ٦ ص ٧١٧٠، رقم ١٦٢، التكميلة، ٥، ٢ ص ٦٧٥، رقم ١٧٠٩.

(٢) الإحاطة بخصوص جديدة لم تنشر، ص ٢٣، رقم ١ .

(٣) السريفي، برنامج شیوخ السريفي، ص ٨١، رقم ٢٨، تحق ابراهيم هبوج، دمشق ١٩٦٢، هجرة النور الزكية، ص ١٧٢، رقم ٥٥ . جدورة الاقتباس ص ٤٨٤ - ٥٤٨، الدليل والتكاملة، السفر ٥، ٥ ص ١، رقم ٣١٩ .

(٤) برنامج شیوخ السريفي، ص ٧٩، رقم ٢٧ .

(٥) عبد الله قدون، النحو المغربي، ١٥، ص ١٢٦، ط ٢ بيروت ١٩٦١ .

ويذكر البيدق (١) ان ابن تومرت لما حضرته الوفاة سمع وهو
بمنزله موتا خلف الباب يقول :
كاني بهذا البيت قد باد اهله وقد درست اعلامه ومنازله
فرد ابن تومرت :

(كذاك) (٢) أُمُورُ الْفَارِسِ يَبْلَى جَدِيدُهَا
وَكُلُّ فَتَّى حَقًا سَتَبَلَى (خَصَائِلُهُ) (٣)

فاجابه الهاتف :
تَزَوَّدْ مِنَ الدُّنْيَا فِيَانَكَ رَاحِلٌ " وَإِنَّكَ مَسْؤُلٌ فَمَا أَنْتَ قَائِلٌ ؟
فرد ابن تومرت :

أَقُولُ بِيَانَ اللَّهِ حَقٌّ شَهَدْتُهُ " وَ(ذِيَكَ قَوْلٌ لَّيْسَ تَخْفِي) فَفَائِلٌ
فاجابه الهاتف :

فَخُذْ عِدَّةً لِّتَمُوتْ إِنَّكَ مَيِّتٌ " وَقَدْ أَرَفَ الْأَمْرُ الَّذِي أَنْتَ نَازِلٌ
فرد ابن تومرت :

كَمَّى ذَاكَ حَبْرِنِي هَدَيْتَ فِيَانِي
سَافَعْلُ مَا قَدْ (فَلَتَ لِي) وَأُعَاجِلُهُ
فاجابه الهاتف :

تَبَيَّنَتْ ثَلَاثَاتْ بَعْدَ عِشْرِينَ لَيْلَةً " إِلَى مُنْتَهِي شَفَرٍ فَمَا أَنْتَ كَارِمُهُ
ومدح ابن تومرت تلميذه عبد المؤمن بقوله :

(تَجَمَّعَتْ) (٨) فِيَكَ (أَشْيَاءً) (٩) خُمِضَتْ بِكَا
فَكُلَّنَّا بِكَ مَسْرُورٌ وَمُغْتَبِطٌ

(١) أخبار المهدى بن تومرت، ص ٧٨ .

(٢) في الانبياء المطروب (كتاب) .

(٣) المصدر نفسه (محاسن) .

(٤) في المصدر نفسه (كتاب) . (٥) الانبياء المطروب، ص ١٧٩، ١٨٠ .

(٦) الانبياء المطروب.

(٧) في المعجب وفيات الانبياء (تكاملت) .

(٨) في المعجب وفيات الانبياء (وصاف) .

(٩) في المعجب (الأخلاق) وفيات الانبياء (وصاف) .

(١) فَسِحْكَةٌ وَالْكُفُّ مَانِحَةٌ
 (٢) (وَالْمَدْرُ) (٤) (مَتَسِعٌ) وَالْتَوْجَهُ مُنْبَسِطٌ

وخرج عبد المؤمن بمحمدة وزيره أبي جعفر بن عطية إلى أحد بساتين مراكش فشاهد أجرافية فقال عبد المؤمن مرتجلا : (٥)

قَدَّتْ فُؤَاوِي مِنَ الشَّبَاكِ إِذْ نَظَرَتْ
 حَوْرَاءُ تَرْنُو إِلَى الْعَشَاقِ بِالْمَقْلِ
 كَانَمَا لَحَظَهَا فِي قَلْبِ عَاشِقِهَا
 سَيْفُ الْمُؤَيَّدِ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ عَلَيِّ
 فَقَالَ أَبْنُ عَطِيَّةَ :
 فَقَالَ عَبْدُ الْمُؤْمِنَ :
 فَقَالَ أَبْنُ عَطِيَّةَ :

وأورد ابن أبي زرع أبياتاً لل الخليفة المأمون بن يعقوب المنصور في مجزرة مراكش عام ٦٢٧ هـ يقول فيها (٦) :

أهلُ الْحَرَابَةِ وَالْفَسَادِ مِنَ الْوَارِي
 فَفَسَادُهُ فِيهِ الْمَسْلَاحُ لِغَيْرِهِ
 (فَتَرَاهُمْ) (٧) ذِكْرًا إِذَا مَا أَبْصَرُوا
 وَكَذَا الْقَصَاصُ حَيَاةً أَرْبَابِ النُّفَرِ
 لَوْعَمَ (حَلَمٌ) (٩) اللَّهُ سَاطِرُ خَلْقِهِ
 وَمِنْ شُعَرَاءِ هَذِهِ الْفَتْرَةِ، نَذْكُرُ أَبَا بَحْرٍ صَفَوَانَ بْنَ إِدْرِيسَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ
 أَبِنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَيْسَى بْنِ إِدْرِيسِ التَّجِيِّبِيِّ، صَاحِبِ زَادِ الْمَسَافَرِ، ت١٩٨

(٢) في وفيات الامميان (النفس) .

(٣) في المعجب (منخرج) وفي وفيات الامميان (واسعة) .

(٤) المعجب من الحال الموهية ، ص ١١٩ ، وفيات الامميان ، ج ٢ ، ص ٢٣٨ .

(٥) الامميين المطروب ، ص ٢٠٣ ، السفح ، ج ٧ ، ص ١٨٦ ، هجرة النور البرزقية ، ص ١٣٦ .

(٦) الاثنين المطروب، ص ٢٥٢

(٧) في الحال الموهبة (دعاهم) .

(٨) البيت ناقص في الحال الموهبة .

(٩) في المصدر نفسه . (حكم) . (١٠) المصدر نفسه ص ١٦٦ .

هـ قال عنه عبد الملك المراكشي انه كان "من جلة الادباء البلفاء ومهرة الشعراء ناقدا مدركا مفوها بلبيعا ممن جمع له التقدّم في النظم والشعر" (١) ومن شعره (٢) :

سقى مضرب الخيمات من علمي تجذر
أاسع غمامي أدمعي، وأحياناً (الرعد) (٣)
وقد كان من داعيِ إفشاء وإنما
يُجفِّنها ما بالفلوع من الوقود
فإن فقرت نار الفلوع هنيئة
فسوف ترى تفجيره لتحيا العهد
وإن فنَّ (موت) (٤) المزن يوماً فآدمعي
ثواب كما ثاب الجميع عن الفرد
وإن هطلا يوماً بساحتها معًا
(٥) فلأرواهُمَا مَا (هبيئه منشأ الود) (٦)

ومنهم أبو عبد الله محمد بن إدريس بن علي بن إبراهيم بن القاسم ابن مرج الكحل ت ٦٤٤ (٧) ومن شعره :

كأنظرةً أودت بشرخ شبابي وقضى على تعيمها بعذاب
ما كنت أحسب نظرةً من نظرةً تفضي على مشتاقها بعقاب (٨)

ومنهم ابسو بكر محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن عبد الله بن قسوم

ابن اصبع بن إبراهيم بن المهنوي التخمي ت ٦٣٩ (٩) ومن شعره :

(١) الدليل والحكمة ، السفر ٤ ص ١٤٠ رقم ٢٦٤ .

(٢) الاحاطة نصوص جديدة لم تنظر . ص ٥٦ .

(٣) في النفح . (الرهد) (٤) في المصدر نفسه (صوب) .

(٥) في المصدر نفسه (صاب من منتهى الود) .

(٦) المصدر نفسه ص ٦٥ . انظر ترجمة صفوان بن ادريس في المغرب ص ٢٥ . مقدمة زاد المسافر .

(٧) برنامج هيوج الرميمي ، ص ٢٠٨ ، رقم ١١١ . الدليل والحكمة ، السفر ٦ ص ١١٠ رقم ٣٩٧ . التكميل ٢ ص ٣٣٦ .

(٨) إبراهيم بن مراد ، مختارات من الشعر المغربي والأندلسي لم يسبق نشرها ، ص ٢٢٥ .

(٩) الدليل والحكمة السفر ٦ ص ٢٤٣ ، رقم ٧٠٥ . برنامج هيوج الرميمي ، ص ٩٢ . رقم ٣٤ . التكميل ٢ رقم ٦٤٩ . ١٦٦٩ م .

مَحْكُمٌ وَكَانَ الْفَحْكُ مِنَ سَفَاهَةً
 وَحَقُّ لَنَا أَهْلَ الْبَسِيْطَةِ أَنْ تَنْكِي
 أَلَمْ تَذَرِّ أَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ وَأَنَّا
 سَنْحِيَا لِمُلْكٍ أَوْ سَنْحِيَا إِلَى هَنْكِ
 هَلِ الْمَرْءُ إِلَّا كَالْزَجَاجَةِ كُلُّمَا
 تَخْلَلَهَا مَدْعٌ أُعِيدَتْ إِلَى الْسَّبِكِ (١)

وكان لكثرة الشعر والشعراء عند الموحدين أن جمعت بعض هذه الأشعار في دواوين كثيرة نذكر منها : ديوان ابن الإبار ت ٦٥٨ (٢) وديوان أبي القاسم محمد بن علي بن البراق الهمداني ت ٥٩٥ هـ (٣) وديوان أبي بكر محمد بن عبدالله بن إبراهيم ت ٦٤٩ هـ (٤) وديوان أبي العباس احمد بن علي بن عبد الملك ت ٥٧٨ (٥) وديوان أبي علي عمر بن شيخ المكرم أبي موسى (٦) وديوان أبي العباس احمد بن عبد السلام الجراوي ت ٦٠٩ (٧) ، وديوان أبي العباس احمد بن يعيش ت ٦٤٥ (٨) وديوان ابن هرج الكعمل (٩) ت ٦٣٤ .

اما الكتب الشهيرة التي ألفت خلال هذه الحقبة فياتي على رأسها الموسوعة الشهيرة التي الفها ابو الحجاج ابن يوسف الشیخ البلوی في جزئین وسماهما "ألف باء" وسعي فيها لتعليم ابنه المغیر ، حيث لم يترك علما إلا تناوله ، وقد تكلم فيها عن الحساب والطبيعة وعلم

(١) الدليل والتكاملة ، السفر ٦ ، ص ٢٤٨ .

(٢) المصدر نفسه ، السفر ٦ ، ص ٢٥٩ .

(٣) بقية الملحقين ، ص ١١٥ ، رقم ٢٤٥ .

(٤) الدليل والتكاملة ، السفر ٦ ، ص ٢٤٣ ، رقم ٧٠٥ .

(٥) التكميلة ، ج ١ ، ص ٨٠ ، رقم ٢١٢ .

(٦) الحلقة السير ، ٢٥١ ، ص ٢٨٤ .

(٧) التكميلة ، ج ١ ، ص ١٢٨ ، رقم ٢٢٣ .

(٨) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٩٧ ، رقم ٢٥٤ .

(٩) برنامج هیوچ الرمیضی ، ص ٢٠٩ ، التكميلة ٢٥ ، ص ٦٣٦ ، رقم ١٦٥٦ .

الاجتماع، وعلم الأديان، والنحو، والمصرف والفقه واللغة، والشعر إلى غير ذلك من المعارف الثقافية التي أوردها البلوي (١) .

والفت في هذه الفترة مجموعة قيمة من المصادر التي تناولت الفترة التي ساد فيها حكم بنى عبد المؤمن للعدوتين، أو الفت لاغراض دينية أخرى .

منها كتاب ابن تومرت "أعز ما يطلب، وأفضل ما يكتب وانفس ما يدخل واحسن ما يعلم العلم الذي جعله الله سبب الهدایة إلى كل خير، وأعز المطالب، وأفضل المكاسب وانفس الذخائر، وأحسن الاعمال" (٢)، واختصر عنوان الكتاب عند طبعه فكان "أعز ما يطلب" وله أيضا مختصر مهيب مسلم (٣) و "محاذي الموطأ" (٤) والجدير بالذكر أن كتاب "الإمامية" و "المرشدة" الفهما أول مرة بالبربرية ثم أعاد ترجمتهما بعد ذلك إلى اللغة العربية .

وكتاب أخبار المهدى بن تومرت وبداية دولة الموحدين، لأبي بكر بن علي المنهاجي المكنى بالبيدق (٥) .

كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب تاليف عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي ت ٦٢٥ هـ (٦) وكتاب "التشوف إلى رجال التموف"

(١) صلة المعلم، ص ٢١٧، رقم ٤٢٦، ظهر الإسلام، ص ٩١، تاريخ الفعر الاندلسي، ص ١٧٩.

(٢) نهر مرثين، الأولى عام ١٩٠٣، والثانية، عام ١٩٨٥، بالجزائر .

(٣) موجود بمكتبة ابن يوسف بمراسك، تحت رقم ٤٠٣ .

(٤) نهر بالجزائر عام ١٩٠٧ .

(٥) نهر أول مرة ١٩٢٨، باريس، تحقق بروفيسيونal provencal والثانية عام ١٩٧١، بالرباط، تحقق مبدالوهاب بن منصور، والثالثة عام ١٩٧٤، بالجزائر، تحقق مبدالحمدى حاجيات .

(٦) نهر أول مرة بسلا، المغرب عام ١٩٣٨، والثانية بالقاهرة، عام ١٩٤٩، وطبع مرة أخرى صام ١٩٦٣، تحقق محمد سعيد مريان بالقاهرة، والمرة الثالثة بدمشق عام ١٩٧٨، وهو مختصر كتاب المعجب .

لابن الزيات يوسف بن يحيى بن عيسى التادلى ت ٦٢٧ ، (١) وكتاب " زاد المسافر وغرة معيا الادب السافر " لمصوان بن إدريين ت ٥٩٨ هـ . (٢)

وإلى جانب العلوم اللغوية والأدبية اهتم الموحدون بالعلوم التطبيقية كالحساب والهندسة ، وعلم النبات ، والاعشاب ، والطب .

ومن الأطباء المشهورين نذكر أبا عبدالله محمد بن سحنون الكومي التندرومي ت ٦٣٤ هـ ، استغل بصناعة الطب مع الفيلسوف والطبيب ابن رشد واستدعاء الخليفة محمد الناصر (٣) فخدمه وخدم ابنه المستنصر (٤) من بعده (٥) .

ومنهم أبو بكر محمد بن علي بن احمد بن عبد الرحمن ت ٥٦٤ هـ (٦) ، وأبو عبدالله محمد بن الحسن بن ابراهيم ، كان حيا عام ٥٥٩ هـ (٧) ، ومحمد بن احمد بن عامر البلوي الطرطوشى ت ٥٥٥٩ هـ (٨) ، له كتاب

(١) نظر باليرباط عام ١٩٥٨.

(٢) نظر . بيروت ، عام ١٩٣٩.

(٣) هو أبو عبدالله محمد بن يعقوب المتصور بن يوسف بن ميد المؤمن لقب بالناصر للدين الله ، بويح في حياة أبيه وجدت له البيعة بعد وفاة والده عام ٥٩٥ هـ ، توفي عام ٦١٠ هـ ، بعد معركة العطاب ، انظر منه الآتيين المطروب ص من ٢٤١-٢٣١ ، تاريخ الدولتين ، من ١٨،١٧ . جذوة الاشتباكات ، ص من ١٦٤-١٦٢ . رقم ١١٤ ، رقم ١١٤ ، البيان المغارب (قسم الموحدين) ، ص من ٢٣٦-٢٣٦ ، تاريخ ابن خلدون ٦٥ ، ص من ٥٢٣-٥٢٥ .

(٤) هو أبو يعقوب يوسف بن محمد القاصر بن يعقوب المتصور بن يوسف ابن ميد المؤمن ، بويح بعد وفاة والده وتوفي عام ٦٢٠ ، انظر منه ، الآتيين المطروب ، ص من ٢٤٣-٢٤١ ، جذوة الاشتباكات ، رقم ٥٤٧ ، رقم ٦١٤ ، البيان المغارب (قسم الموحدين) ، ص من ٢٦٩-٢٦٥ ، تاريخ ابن خلدون ٦٦ ، ص من ٥٢٣-٥٢٥ .

(٥) ملحوظ الاتهام في طبقات الأطباء ، ص ٥٣٧ . معجم اعلام الجزائر من ٣٣ ،

(٦) التكميلة ، ج ١ ص ٦١٩ ، رقم ١٦١٨ ، الدليل والتكميلة السفر ٦ ، ص ٤٣٣ ، رقم ١١٦٥ .

(٧) التكميلة ج ٢ ص ٥٦١ ، رقم ١٥١٣ ، التشيل والتكميلة ، السفر ٦ ص ١٥٩ ، رقم ٤٢٧ .

(٨) التكميلة ، ج ٢ ص ٤٩٥ ، رقم ١٤٦٨ ، الدليل والتكميلة السفر ٦ ، ص ٧ ، رقم ٧ .

في الطب سماه " الشفاء " ومنهم ابو مروان عبد الله بن محمد بن عمر بن خلف الهمداني المعروف بابن قيلان ت ٥٦٩، بمعركة العقاب، تفوق في صناعة الطب، وقوائمه، وكان متوفقاً في علاج الناس (١) .

اما الصيدلة، وتركيب الأدوية وصناعتها من الأعشاب، والعاقير نذكر منهم ابا جعفر احمد بن السيد الفافقي ت ٥٥٩ له كتاب سماه الأدوية المفردة (٢) .

ومن الذين برعوا في صناعة الأدوية والطب، ابوالعباس احمد بن محمد المعروف بابن الرومية، ت ٥٦٤ له باع في صناعة الأدوية وإلى جانب ذلك كان طبيباً ماهراً، له معرفة جيدة بعلم النبات، وتمييز العشب (٣)، ومنهم يحيى بن بقي المعروف بالسلاوي " اشتغل بالطب وظهر فيه فكان يعيش نفسه مما يعود عليه منه " (٤) .

اما الهندسة، فبلغت اوج عظمتها عند الموحدين، والدليل على ذلك أن احمد بن باسة الذي كشف عنه ابن صاحب الملاة لأول مرة يعتبر من احسن المهندسين المعماريين الذين كان لهم الفضل في بناء مدينة جبل طارق مع المهندس ابن يعيش (٥) .

وبلغت العمارة الموحدية، من الدقة والضخامة إلى درجة ان ابن باسة المهندس عندما هم ببناء صومعة جامع الخير الدا giralda حفر الاساس إلى أن بلغ مكان الماء ثم ردم البئر بالحجارة ووضع البلاط على الماء ليتأكد من قوته، وتحمل الاساس لهذا البناء العظيم (٦) .

(١) الاخططة تصميم جديدة لسم تنهر ص ١٠٣ - رقم ١٣١، ابن الباري .
المعجم، ص ١٦٨، رقم ١٤٩ .

(٢) تاريخ الفكر الاندلسي ص ٤٨٢ .

(٣) التكميلية، ص ١٢١، رقم ٤٣٠٤، التعديل والتكميلية السفر ١ ق ٠٢٠ ص ٤٨٧، رقم ٧٥٨، تحق محمد بن هريفة .

(٤) بقية الملتحمن، ص ٤٩٨، رقم ١٤٦٥ .

(٥) انظر مجموع رسائل موحدية ص ٩٨،٩٧، الرسالة الخامسة مهرة ،
المن بالامامة، ص ٥١،٥٢، ص ٨٠ - ص ١٩٠، ص ٣٨٢، ص ٣٨٥، ص ٣٩١ .

(٦) المن بالامامة، ص ٤٩١ .

وعلى الرغم من أن الموحدين مالوا إلى التلقي في بداية مرحلة تأسيس الدولة، وقاموا بهدم العديد من المنشآت المرابطية نظراً لمظاهر الترف والزخرفات العديدة (١)، فقد شهدت العمارة والعلوم الهندسية تطوراً ملحوظاً خاصاً في منبر جامع عبد المؤمن بن علي بمراكنش، الذي صنعه الحاج يعيش، وإليه يرجع الفضل في بناء مدينة جبل طارق (٢) .

أما مسجد عبد المؤمن بن علي بمراكنش، فقد كان منبره ينفتح من ثلاثة نفسم، إذا صعد عليه الخطيب، أما مقصورة المسجد، فتتسع لـ ٥٠ شخص، وتتحرك بواسطة عجلات ثببت في أسفلها، وترتفع المقصورة لدخول الخليفة وخروجه كل هذايتم في هدوء تام (٣)، ويصف المقربي الطريقة الميكانيكية للتابوت الذي وضع بداخله مصحف عثمان بن أبي ذؤيب ببدفتين يفتح بمفتاح، حتى إذا فتح الباب، خرج الكرسي، ووقع عليه المصحف بطريقة آلية مركبة، ويبقى الكرسي يتحرك، فإذا عاد إلى مكانه غلق الباب تلقائياً (٤) .

ونختم قولنا عن الحركة الفكرية عند الموحدين بعلم الحساب، والرياضيات، ويأتي على رأس هؤلاء العلماء، أبو محمد عبدالله بن محمد المعروف بابن السعاسين ت ٦٠٠، أو ٦٠١ هـ هو صاحب الارجوزة المشهورة في علم الجبر (٥) .

وعبد الرحمن بن عيسى بن محمد بن الحسن بن عيسى ت ٥٥٧ هـ، له معرفة كبيرة بعلم الحساب والمساحة، والتكسير (٦)، ومنهم أبو

(١) الأنتيس المطروب، ص ٦٢.

(٢) مجموع رسائل موحدة، ص ٩٧، الرسامة التاسعة مهرة.

(٣) الحال الموثقة، ص ١٤٥، يقول gaston deverdum *Marakech des origines A ١٩١٢، w ١٨٠* يحتوي على أربع محفات بخط مثمنان فقط.

(٤) النفع، ٢٥، ص ١٤٥ . voir, ibid., p ١٧٦, ١٧٧.

(٥) التكمية ٢، ص ٩٢٣، رقم ١٥٦ .

(٦) الاحاطة دعوه جديدة لم تنشر، ص ١٩٩، رقم ٢١٧ .

العباس الفضل بن محمد بن احمد بن إسحاق ت ٥٥٦هـ (١)، ومنهم ابو عبدالله محمد بن بكر بن محمد بن عبد الرحمن ت ٦١٨هـ، (٢) .

وبلغت النهضة العلمية خلال هذه الفترة اوج عظمتها، الامر الذي جعل "هوليوناردو فيبوناتشي" Hilyonardo , fiponatchi صاحب برج بيشالiza، السفر إلى بجاية لدراسة الرياضيات على غير عادة الايطاليين، في ذلك الوقت " وتعلم الرياضيات والهندسة بالعربية والأرقام العربية ، وبالكسور ، والمفتر الذي كان ثورة في تاريخ الرياضيات والعلوم في مدينة بجاية " (٣) .

(١) الدليل والتكاملة السفر ٥٠٠ ق ١٠١ من ٥٤٠ رقم ١٦٦ .

(٢) التكميلة ج ٢ ٠٠٢ من ٦٠٨ ، رقم ١٦٠ ، الدليل والتكاملة السفر ٦ ، من ٣٧٣ رقم ١٤٤ .

(٣) مولود قاسم زايت بدعاسم ، مجلة الثقافة "الجزائر" ، من ٤٠٣٩ العدد ٩٩ ، عام ١٩٨٥ .

الفصل الثاني
موضوعات الرسائل الديوانية الموحدية

اعتمد الخلفاء الموحدون في نشر دعوتهم على الشعر، وأولوا النثر أهمية كبيرة لما يتضمنه من أساليب بلاغية في مخاطبة العقل، والوجودان معاً.

فقد كان للرسالة الموحدية المساعدة، عن ديوان الخليفة، وديوان الأمير، وديوان القاضي، وزن وصدى في مختلف الأماكن التي وضع بنو عبد المؤمن أيديهم عليها.

فكان الكتاب الديواني نشرة دعائية تبث من خلالها القوانين، وتعكس آراء الحكام في إصدارهم للقوانين، والتشريعات، وإذاعة الأخبار اليومية، التي تحمل إلى الأمة بشري الانتصارات، والفتورات، ولهذه الأسباب لم تألف السلطة جهداً في البحث عن الكاتب المناسب لهذه المهمة، فكم من كاتب "بلغ أصاب الغرض في كتابه فاغنى (صاحبها) ^(١) عن الكتاب، وأعمل القلم فكفاه إعمال البيض القواكب" ^(٢).

فالكاتب الديواني، إن لم يكن شاهد عيان للحادثة فهي قريبة منه، واقتصر نقل الرواية على شخص، أو شخصين، قبل أن تصل إليه فالرسالة الديوانية هي أقدم مصدر يجب العودة إليه لمعرفة الحادثة التاريخية كما حدثت في الأصل.

ولا تقتصر أهمية الرسالة الديوانية الموحدية على ما تحمله من سمات فنية انفردت بها عن قرينتها في مصر والشام ^(٣)، بل تتعدى ذلك، إلى إلقاء الضوء على مجموعة من الحوادث التاريخية الفامضة، التي نستخلص منها فضليات الأحداث التاريخية وجملة من الجوانب الحفارية، كالجانب الإداري واهتمام الوظائف التي سادت عند الموحدين، وأسلوب الحكم، والطريقة التي تم بوساطتها تعيين الولاة والقضاة والعمال وقادرة الجيش، إلى جانب هذا، فهي تبرز خط سير المجال الاقتصادي، والعلاقات الخارجية مع الدول المختلفة في حالتها السلم والحرب معاً.

(١) ناقصة في صبح الأمس، ج ١، ص ٩٨.

(٢) قانون ديوان الرسائل، ص ١٠٠، لابن الصيرفي، ج ١٦، مصر ١٩٥٥.

(٣) المصدر السابق، ج ٧، ص ٣٠.

ولم تقتصر الرسالة الديوانية الموحدية على كاتب الديوان، بل شارك الخلفاء والامراء، في تحبيرها.

فقد بعث الامير ابو الربيع سليمان الموحدى والى سجلماسة رسالة بخط يده الى ملك ثانية، يعاتبه فيها لقطع الطريق عن تجار المغرب^(١)، وكتب الخليفة المامون، رسالتين الاولى عام ٥٦٤ وجهاً الى الرعية، دار موضوعها، حول الامر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٢)، والثانية وجهاً بدورها الى الرعية ايفا، والمتمثلة في إسقاط اسم المهدى من المراسيم الموحدية^(٣).

وبعث الخليفة المرتضى^(٤) رسالتين بخط يده الى الخليفة الواشق^(٥) يستعطفه، وينفي عن نفسه الاتهام الموجه اليه، حول اخفاء اموال المسلمين^(٦).

وبعد دراسة هذه الكتب تبين لنا انها تدور في الفالب حول موضوعات عدة، كإعادة تقسيم طبقات الموحدين^(٧) واتهام حكام المرابطين بالكفر، وحضر الموحدين على جهادهم^(٨) واعتداء سفن البيشيين على سفن المسلمين قرب ميفاء تونس^(٩).

(١) النفع، ج ٤، ص ١٠٤ . ٤٢٢،٤٢١ .

(٢) الحلل الموهية ، ص ١٦٤ ، ١٦٥ ، البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٢٨٧،٢٨٦

(٣) هو ابو حفص عمر بن السيد اسحاق ابن امير المؤمنين يوسف بن ميد المؤمن، بويع بعد وفاة الخليفة السعيد ابن الخليفة المامون عام ٥٤٦هـ وخلج عام ٥٦٥هـ من طرف الواشق بالله، انظر الانبياء المطروب ٢٥٩،٢٥٨، البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٣٨٧، تاريخ ابن خلدون، ج ٦، ص ٥٤٢ . ٥٤٣،٥٤٢

(٤) هو ابو العلاء ادريس ابن السيد محمد ابن السيد عمر بن ميد المؤمن لقب بالواشق، بويع عام ٦٥٦، وقتل عام ٦٦٧، انظر الانبياء المطروب، ص ٢٦١ - ٢٥٩ ، البيان المغرب (قسم الموحدين) ، ص ٤٤٨،٤٤٧ ، تاريخ ابن خلدون ج ٦ ، ص ٥٤٨ - ٥٥١

(٥) الممدر السابق، ص ٤٤٣ .

(٦) مجموع رسائل الموحدية من من ٤٩ - ٥٥ . الرسالة الثانية مهرة .

(٧) Documents inédits d'histoire Almohade, pp ٨-١.
Texte Arabe.

اعز ما يطلب ص ص ٢٦٤ - ٢٥٧

(٩) المستاري البليوماسي للصقر، ج ٦، ص ١٨٨ ، من ١٩٢

اما الموضوعات المهمة التي تناولتها الرسالة الديوانية الموحدية بال المغرب والأندلس فقد اتسمت بصورة عامة بوحدة موضوعية ، بحيث نستطيع ان نفع لها عنوانا فستخلص منه محتوى الرسالة ، وقد حصرنا هذه العناوين في سبعة محاور أساسية .

رسائل البيعة :-

دخل نظام الحكم عند الموحدين طورا جديدا بعد وفاة ابن تومرت مهدي الموحدين ، فتحول من نظام اختياري إلى نظام وراثي ، فقد عين عبد المؤمن ابنه محمد^٩ ولacea للعهد ، ثم عدل عن ذلك قبيل وفاته فاعطاها لابنه يوسف ، وهكذا ، اضى الحكم وراثيا في بني عبد المؤمن ، ولم تشد هذه السنة مرة واحدة خلال حكمهم للأندلس والمغرب الكبير .

ونستهل هذا اللون من الرسائل ببيعة عبد المؤمن نفسه ، فمن الوفود التي وصلت إلى حفرة مراكش وفد بيعة الشيخ الفقيه القاضي أبي القاسم محمد بن الحاج وبعد ادائهم لمراسيم البيعة ، بعث الخليفة عبد المؤمن رسالة من إنشاء الكاتب أبي جعفر بن عطية ، موجهة إلى القاضي أبي القاسم يخبره فيها بوصول الوفد وادائهم للبيعة دون أن ينسى ذكر اسماء الوفد الذي ناب عنه في البيعة ، مقدرا الظروف التي حالت بينه ، وبين ترأسه للوفد حيث يقول "... وقد وصلنا أخوكم الشيخ أبو محمد ، وابنكم أبو الحسن ، وصاحبكم الشيخ الكاتب أبو عبدالله بن زرقون اكرمهم الله بتقواه - فادوا من حق هجرتهم البر ما قلدوه ، ونالوا من خير الزيارة والبيعة ما عقدوه ، ثم انصرفوا مبرورين مسوروين بما لقوه من بركة هذا الامر الكريم ، ووجوده ، وقام عذركم - وفقكم الله على ساقه فقبل ، ومثل ولاؤكم نائبا عن الوصول فوصل" (١٠) .

ومن هذا الضرب من الرسائل أيضا كتاب آخر بعث به الخليفة عبد المؤمن بن علي من إنشاء أبي جعفر بن عطية من حفرة مراكش ، المؤرخ في الثاني من صفر عام ٥٤٤هـ الموجه إلى الشيخ أبي فلان (١١) مجموع رسائل موحدية ، من ٤ ، الرسالة الثانية .

وجماعة المشيخة بقرطبة ، دون ذكر اسم الشيخ ، حيث يقول " ... وقد وفد لنا - اكرمكم الله - اصحابكم الشیوخ ، ابو محمد ، وابو الحسن ، وابو عبدالله - وفقدم الله - فألقوا بهذه الحضرة - حرسها الله - عصا تیسارهم ، ونالوا من الزيارة المبرورة والبیعة الكریمة منتهی طلبهم واحتیارهم " (١) .

وفي سياق الكلام اخبر ابا فلان والمشيخة بقرطبة بومول بيعتهم وشكراهم داعيا ، ونامعا لهم بالثبوت والتقرب من الله عزوجل بهذه البشري التي استمسكوا من خلالها بأمر ابن تومرت مهدي الموحدین .

والسوافع من خلال الرسائلتين أن الوفد الاول هو نفسه الوفد الثاني القادم من قرطبة ، فوفد القاضي ابي القاسم محمد بن الحاج يتكون من ثلاثة اعضاء وهم ، ابو محمد ، وابو الحسن ، وابو عبدالله بن زرقون (٢) ، والوفد الثاني يتكون من اعضاء الوفد الاول ، ومن خلال ذلك نستنتج ان الشيخ ابا فلان في الرسالة الثانية هو القاضي ، وابو القاسم محمد بن الحاج (٣) قاضي قرطبة في الرسالة الاولى .

بين عامي ٥٤٣ و ٥٤٤ ، بعث الخليفة عبد المؤمن بن علي رسالة من حضرة مراكش إلى طيبة سبتة * يخبرهم فيها بوصول خطابهم المبشر بانتصار الموحدین بمرسى المرية ، وحضارهم مدينة مالقة ** (٤) . وبعدها بمسنة يسيرة وصل وفد قرطبة ، وفي عام ٥٤٣هـ ، ملك الموحدون

(١) المصدر نفسه ، ص ١٦ ، الرسالة السادسة .

(٢) انظر ترجمته في التکملة رقم ٨٢٤ ، هجرة النور الزکیة ، ص ١٥٨ ، رقم ٤٨٦ .

(٣) انظر ترجمته في المصدر السابق رقم ٧٧ ، و هجرة النور الزکیة ، ص ١٥٢ ، رقم ٤٧٦ .

(*) سبتة . من المدن المغاربة الاقصى يحيط بها البحر من ثلاث جهات ، وتقابل جزيرة ال_andalus من ناحية الشمال وقد جلب اليها الخليفة يوسف الماء مام ٥٨٠ ، الاستبسار ص ١٣٧ ، الروض المعطار ، مادة (سبتة) . معجم البلدان ج ٣٥ ص ١٨٢ .

(**) مالقة ، malaga ، من مدن الاندلسية ، تقع على شاطئ البحر ، وهي كثيرة الديار ومن منتجاتها الذهب الذي يحمل إلى مصر والشام والمعراق ، الروض المعطار ، صفة جزيرة ال_andalus ، مادة (مالقة) .

(٤) مجموع رسائل موحدية ، ص من ١ - ١٣ ، الرسالة الخامسة .

قرطبة ، كما ذكر ذلك ابن ابي زرع (١) ، و نستنتج من ذلك ان بيعة اهل قرطبة الثانية هي تجديد عهد للبيعة الاولى، ويمكن ان نحصر تاريخ البيعة الاولى بين ١٦ من شهر ربیع الاول عام ٥٥٤هـ - (٢) وهو التاريخ الذي ذيلت به رسالة الخليفة عبد المؤمن بن علي، وبين ١١ من شهر ربیع الثاني عام ٥٥٤هـ ، اي ان المدة المحمورة بين البيعة الاولى والثانية لم تتجاوز عاماً واحداً.

ومن رسائل البيعة بولالية العهد، الرسالة التي كتبها ابو جعفر بن عطية عن الخليفة عبد المؤمن بن علي برباط الفتح الموجه إلى الطلبة بسبعة وطنجة * (٣) وجميع من بها من الموحدين ، والاعيان والعامنة والخامسة ، يعلمهم بالقرار الذي اتخذه العشائر العربية الهلالية والقبائل المقيمة بشرق المغرب - مناطق تونس وغيرها - بتقديم محمد ابن الخليفة عبد المؤمن بن علي ولية للعهد " .. رأينا ان نعلمكم بما عقد إخوانكم الموحدون على تقوى الله ورفوانه ... وذلك ان كثيراً من أولياء هذه الدعوة العلية وإخوانها من اشياخ القطراء وأعيانها ... وكانت هذه العشائر العربية الهلالية ، والقبائل الشرقية المذهبية ، ومن معها من حامرة وبادية من إقليمها ... صرحوا لأول لقائهم بما أفهموه ، وابدوا سرهم المكتنون واظهروه ، واعلموا ان مهدا - وفقه الله هو الذي ارتفوه لحمل عبئهم وتغييره ، ورغبو في تقديمهم على بلادهم" (٤) ، ثم انتقل

(١) الانبياء المطرب، ص ١٩١.

(٢) نظم الجمسان، من من ١٥٠ - ١٦٧، ١٦٧، documents inédits d'histoire 1mohade، pp ١٣-١٧. Texte arabe.

(*) طفحة من المدن المغربية تطل على البحر وتقابل جزيرة الاندلس من ناحية الشمال ويدرك صاحب الاستنبمار في مجانب الامصار انه كانت بعده قنطرة على بحر الرفاق، الى ساحل جزيرة الاندلس، انظر الاستنبمار، من ١٣٨، الروض المعطاء، مادة (طنجة)، المعلومات نفسها

(٣) مجموع رسائل موحدية ، ص من ٥٥ - ٦١. الرسالة الثالثة مهرة .

(٤) المحمد نفسه ، ص ٥٧. الرسالة الخامسة مهرة .

للتوضيـح النـية من هـذا الـقـمـد، وـأـنـه لـم يـكـن فـي نـيـتـه تـنـصـيـب اـبـنـه مـحـمـد وـلـيـا لـلـعـهـد "... وـتـمـت بـيـن ذـلـك كـلـه عـلـى غـير قـمـد تـنـوـيـه وـما نـظـهـرـه مـنـه مـثـلـ الـذـي نـسـطـقـه وـنـطـوـيـه "(١) .

ويـقـول فـي الرـسـالـة نـفـسـها "... فـاعـلـمـوا - وـفـقـمـ اللـه - بـانـ ذـلـك لـيـس لـه فـي نـفـوسـنـا عـقـدـ سـابـقـ، وـلـا نـظـرـ لـاحـقـ، وـلـا طـرـقـ الـضـمـيرـ مـنـ أـبـنـائـه طـارـقـ"(٢) .

وـجـاء فـي رـسـالـة أـخـرى بـعـثـ بـهـا إـلـى الـأـشـيـاخـ وـالـأـعـيـانـ وـالـكـافـةـ بـسـبـبـةـ الـمـؤـرـخـةـ فـي ١٢ـ مـنـ رـبـيعـ الـأـوـلـ عـامـ ٥٥١ـ، "... وـأـنـ ذـلـك لـم يـكـنـ لـهـ عـنـدـنـاـ قـمـدـ مـتـقـدـمـ وـلـاـ عـهـدـ مـتـوـهـمـ، لـكـنـهـ اـمـرـ أـرـادـهـ اللـهـ فـاتـمـةـ"(٣)، شـمـ اـنـتـقـلـ إـلـىـ الـحـدـيـثـ عـنـ أـبـيـ حـفـصـ عـمـرـ بـنـ يـحـيـيـ الـهـنـتـاتـيـ مـنـ اـصـحـابـ الـمـهـدـيـ الـعـشـرـةـ الـمـقـرـبـينـ، وـقـدـ تـمـ الـاـتـفـاقـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ الـخـلـيـفـةـ عـبـدـ الـمـؤـمـنـ بـنـ عـلـيـ، عـلـىـ اـنـ يـتـولـىـ أـبـوـ حـفـصـ الـحـكـمـ مـنـ بـعـدـهـ لـكـنـاـ وـجـدـنـاهـ عـامـ ٥٥١ـ يـقـولـ "... وـتـقـدـمـتـهـمـ الشـيـخـ الـأـجـلـ أـخـوـنـاـ أـبـوـ حـفـصـ عـمـرـ بـنـ يـحـيـيـ - اـعـزـهـ اللـهـ بـتـقـواـهـ فـقـالـ: هـذـاـ اـمـرـ نـحـنـ بـتـقـديـمـهـ، وـاعـلـمـ بـوـجـوبـهـ، وـلـزـومـهـ وـأـوـلـىـ بـتـأـمـيرـهـ عـلـيـنـاـ وـتـحـكـيمـهـ، وـنـحـنـ السـابـقـونـ إـلـىـ مـبـاـيـعـتـهـ عـلـىـ حدـودـ الـشـرـعـ وـرـسـومـهـ"(٤) .

وـتـمـتـ بـيـعـةـ السـيـدـ الـأـمـيـرـ مـحـمـدـ اـبـنـ الـخـلـيـفـةـ عـبـدـ الـمـؤـمـنـ بـانـ "... اـبـتـدـاهـاـ الشـيـخـ الـأـجـلـ أـبـوـ حـفـصـ الـمـذـكـورـ بـيـمـنـاهـ وـتـتـابـعـ الـأـشـيـاخـ وـالـطـلـبـةـ ... وـسـائـرـ إـخـوـانـهـ الـمـؤـمـنـيـنـ قـبـيلـ بـعـدـ قـبـيلـ"(٥) .

لـكـنـاـ وـجـدـنـاـ اـبـنـ الـأـثـيـرـ يـقـولـ فـمـنـ اـحـدـاثـ ٥٥١ـ إـنـهـ " فـيـ هـذـهـ السـنةـ اـمـرـ عـبـدـ الـمـؤـمـنـ بـالـبـيـعـةـ لـوـلـدـهـ مـحـمـدـ بـوـلـاـيـةـ عـهـدـهـ، وـكـانـ الشـرـطـ

(١) المـصـدـرـ نـفـسـهـ، صـ٥٨ـ، الرـسـالـةـ الـثـالـثـةـ مـهـرـةـ.

(٢) المـصـدـرـ نـفـسـهـ، صـ٥٩ـ، الرـسـالـةـ الـثـالـثـةـ مـهـرـةـ.

(٣) المـصـدـرـ نـفـسـهـ، صـ٦٢ـ، الرـسـالـةـ الـرـابـعـةـ مـهـرـةـ.

(٤) المـصـدـرـ نـفـسـهـ، صـ٥٨ـ، ٥٩ـ، الرـسـالـةـ الـثـالـثـةـ مـهـرـةـ.

(٥) مـجـمـوعـ وـسـائـلـ مـوـحـديـةـ، صـ٦ـ، الرـسـالـةـ الـثـالـثـةـ مـهـرـةـ.

والقاعدة بين عبد المؤمن وبين عمر ان يلي عمر الامر بعد عبد المؤمن فلما تمكن عبد المؤمن من الملك وكثير اولاده، احب ان ينقل الملك اليهم ، فتأخر امراء العرب من هلال وزغل وعدى وغيرهم اليه ووصلهم وأحسن إليهم، ووضع عليهم من يقول لهم ليطلبوا من عبد المؤمن ويقولوا له نريد ان يجعل لنا ولد عهد من ولدك يرجع الناس إليه بعده ففعلوا ذلك، فلم يجبهم إكراما لعمر لعلو منزلته في الموحدين وقال لهم ان الامر لا يبي حقن فلما علم عمر ذلك خاف على نفسه فحضر عند عبد المؤمن وأجاب إلى خلع نفسه، فحيثذا بوايغ محمد بولالية العهد وكتب إلى جميع بلاده بذلك وخطب له فيها جميعها فاخرج عبد المؤمن في ذلك اليوم من الاموال شيئا كثيرا (١) .

ويقول ابن عذاري " تحرك ابو محمد عبد المؤمن من حضرة مراكش إلى مدينة سلا ليشيع كبراء العرب الوافدين عليه بالطاعة مع بعض امرائهم من افريقيا ، وفي نفسه ان يربط العهد الميمون الطاهر الممدون ، فلما وصل سلا انعقدت البيعة لابنه محمد على اوفي شروطها وربوطها ، وامر بالكتب في وصف الحال ورغبة الموحدين في البيعة المذكورة المؤذنة لهم ببساط الامال ، وذلك من إنشاء ابن عطية " (٢) .

ويقول الوزير ابن سراج . " وبایع عبد المؤمن قبل وفاته ولده محمد^١ بولالية العهد ، وكانت ولدية العهد سابقا لابني حفص عمر ، كان من العشرة من اصحاب ابن تومرت ، وهو اكبر الموحدين فاجاب إلى خلع نفسه والبيعة لمحمد بن عبد المؤمن " (٣) .

لكن قبل وفاة الخليفة عبد المؤمن بن علي بفترة وجيزه ، خلع ابنه محمد^١ وجعل بدلا منه ابنه يوسف ، لكن هذا الاخير ، بقي مدة خمس سنوات يلقب فيها بالامير نظرا لعدة مشاكل واجهته في الفترة الاولى من حكمه ، وفي عام ٥٥٦هـ تمت بيعته باجماع الموحدين ، وتسمى بعده سامير المؤمنين ، وهو اللقب الذي اتخذه الخلفاء الموحدون وفي هذا

(١) الكامل في التاريخ ج ٩ ص ٥٠ .

(٢) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٤٩ .

(٣) الحلل السديسية ، ج ٤ ق ٢ ص ٩٩١ .

يقول ابن قند القسطنطيني "... ولم يتسم في اوله بأمير المؤمنين ولا خطب له بذلك ولا كتب في صدور كتبه العلامة لامتناع الشيخ المجاهد المقدس أبي حفص، رحمة الله - من مبايعته حتى يختبر أمره، وكان الملك إذا ألح عليه في ذلك يقول الشيخ أبو حفص لرسوله: (لا أبأيه حتى يظهر منه من الخلل الحميدة ما يستوجب به المبايعة) وبقي على ذلك نحو خمس سنين ثم استصوب الشيخ حاله وبأبيه وجدت له البيعة، وذلك في سنة ثلث وستين وخمسة وسبعين" (١).

وفي هذا العام، وصل كتاب من حفرة مراكش إلى والي إشبيلية السيد أبي إبراهيم إسماعيل بن الخليفة عبد المؤمن بن علي، بأمر تجديد بيعة أهل الأندلس، فوجه والي إشبيلية رسالة إلى أبي عبدالله بن أبي إبراهيم والي غرناطة، يأمره بتجديد البيعة للأمير يوسف بن عبد المؤمن بن علي، وأورد ابن صاحب الملاة أربع رسائل تتعلق بهذا الأمر العزيز (٢).

واستهلت البيعة المباركة بـأهل إشبيلية بزعامة واليهم السيد إسماعيل ابن الخليفة عبد المؤمن، وتمت البيعة ضمن الرسالة المؤرخة في منتصف شهر جمادي الثاني عام ٥٥٦هـ، ومما جاء فيها "... فإنه لما اجتمعت طائفة التوحيد ... على تجديد البيعة المباركة لسيدي ومولانا أمير المؤمنين أبي يعقوب ابن أمير المؤمنين خلد الله أمرهم، وأوعزهم نصرهم بالاسم المبارك الكريم الذي أول من دعا به الفاروق (٣) رضوان الله تعالى عليه، فجددنا من بيعته على الاسمية المباركة فرضاً أوجبه الشرع وجوب الإلزام ... فبأياعنا على السمع والطاعة بيعة إيمان وأمانة، وعدل وعبادة، والتزمناها على اليسر والمنشط والمكره" (٤).

(١) الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، ص ١٠٣ ، ١٠٢ .

(٢) المتن ، ص ص ٢٥٩-٢٦٦ .

(٣) إشارة إلى لقب أمير المؤمنين الذي اتخذه الخليفة الثاني يوسف بعد أن كان يلقب بالأمير من قبل، وهو تنبيه إلى لقب أمير المؤمنين الذي اتخذ الخليفة الثاني مهر بن الخطاب.

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٦٠ .

و من كتب البيعة التي أوردها ابن صاحب الملا ، كتاب أهل غرناطة ، المرسل إلى الأمير يوسف بن عبد المؤمن بن علي ، يحمل التاريخ نفسه الذي ذيل به كتاب أهل اشبيلية المؤرخ في منتصف جمادى الثانية عام ٥٦٤ هـ و مما ورد فيه بعد المدر "... اجتمعوا نفوسهم (أهل غرناطة) ... أن يجددوا البيعة المباركة لسيدينا ومولانا الإمام الخليفة أمير المؤمنين أبي يعقوب بن الخليفة أمير المؤمنين ... بالاسم المبارك العظيم الذي أول من له فيه عمر بن الخطاب فأقر ذلك لنفسه لقباً واسماً ... جددنا الآن من بيعة سيدينا ومولانا أمير المؤمنين أبي يعقوب بن أمير المؤمنين آدم الله تأييدهم على الأسمية المباركة العظيمة الموسومة فرعاً أوجبه الدين والإسلام وحقاً اقتضاه شرع محمد نبينا عليه السلام واتباعاً لما فعله أصحابه البررة الخيار الأعلم الصحاة العشرة ... اقتداء فيها ببيعة الشجرة "*(١).

ووصلت حفرة مراكش رسالة الشيخ أبي عبد الله محمد بن إبراهيم والتي غرناطة تحمل التاريخ نفسه للرسالتين السابقتين - منتصف جمادى الثانية عام ٥٦٤ هـ . المرسلة - بفتح المسين - إلى الخليفة الجديد يوسف بن عبد المؤمن بن علي، و مما جاء فيها بعد البسملة والتحمليمة والترضية على الإمام المعุมون المهدى المعلوم والدعماء لل الخليفة الجديد "... وانه وصلني كتاب السيد الاسنی أبي ابراهيم ابن أمير المؤمنين الخليفة رضي الله عنه و معه نسخة الكتاب المبارك العزيز المبدي من البشائر ما اربى على التكميل والتمكيم ... من تجديد البيعة الكريمة والاسمية المباركة الموسومة لسيدينا ومولانا أمير المؤمنين، آدم الله لهم السعد والتمكين، والفتح المبين، إلى ما اعلموا فيه مما اسبل الله اثراها على الموحدين وطائفة المؤمنين من توالي الفتوح، واتصال الخير الممنوح

(*) يقصد ببيعة الحديبية وبيعة ابن تومرت تحت هجرة الخروب.

وترادف الامطار ، ورخص الاسعار ، ** مما يقل لذلك شكر الشاكر ، وومف الواصف وذكر الذاكر ، وعند ومول الكتاب الكريم الى الخديم الطالع عليه بعجائب الفتوح والسرور بادرنا الى التيمن بعقد البيعة الرضوانية التي هي كمال ديننا ونذر معادنا "(١)" .

وفي الثاني عشر من شهر شوال من العام نفسه بعث الخليفة يوسف بر رسالة من حفرة مراكش الى طلبة غرناطة يعلمهم بومول وفد البيعة الى حفرة مراكش ، وادائهم للبيعة ، وتلمسن من خلال ، رسالة الخليفة يوسف ان البيعة تتم ، إما بالمضافة او برفع اليد اليمنى ، دلالة على قبول البيعة "... وقد وصلنا كتابكم من عند الشيوخ من غرناطة ، حرثها الله - والموحدين وفق الله جميعهم ووقفنا عليه ، ورأينا ما تحملوه عن الموحدين بأغرناطة وجيئانهم من انعقاد اجماعهم على ما أجمع عليه شيوخ أهل التوحيد واعيائهم ، من الامر الذي اوجبوا على انفسهم المبايعة عليه ، وإعطاء صفة اليد فيه "(٢)" .

وبهذه الطريقة تمت بيعة الامير محمد قبل وفاة الخليفة عبد المؤمن "... وانعقدت البيعة المذكورة باتفاق جميعنا على الشمل والعموم ... وابتداها الشيخ الاجل ابو حفص المذكور بيمناه "(٣)" ، فيبعد اسبوعين من وفاة الخليفة الثاني يوسف بن عبد المؤمن ، بعث الخليفة الثالث يعقوب المنصور رسالة من إنشاء ابن محشرة ، وجهت الى الطلبة والموحدين ، والاشياخ والاعيان والكافة بغرناطة مؤرخة في ٧ من جمادي الاول عام ٥٥٨هـ يعلمهم ب تمام بيعته من طرف الموحدين والاعيان والكافة بالطريقة نفسها التي تتم من خلالها بيعة الخلفاء السابقين حيث يقول "... وبادر الانبياء من الموحدين وغيرهم -، وفقكم الله - الى البيعة وسارعوا ، وترادف العبيد وتنتابعوا واعطى

(**) اشاره الى كثرة الخيرات ايام الخليفة يوسف.

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٦٤ .

(٢) المن بالامامة ، ص ٢٦٥ .

(٣) مجموع رسائل موحدية ، من ٦٠ ، المرسالة الثالثة مهرة .

الجميع مفقأة أيديهم بإخلام من سرائرهم وبايعوا ، والتزموا فروض البيعة بشروطها وقيودها ... وبايعونا على ما بويع عليه الإمام المعصوم المهدي المعلم ، وخليفة سيدنا الإمام أمير المؤمنين - رضي الله عنهما - وسيدنا الإمام أمير المؤمنين بن سيدنا أمير المؤمنين بن سيدنا الخليفة أمير المؤمنين "(١)" .

ثم انتقل إلى الحديث عن الهدف الأساسي الذي كتبت من أجله الرسالة ، وهو انتظار بيعة أهل غرناطة "... ورأينا - وبالله التوفيق - أن نعرفكم بهذا الأمر الأعظم الأخطر لتأخذوا منه بالحظ الأوفر ... ولتدخلوا بالانتظام في سلكه مداخل طائفته المفلحة وحزبه المظفر ، فتلقوا وافده الأكرم ، بالقبول سمعاً وطاعة ، وانشروا نباء الأفخم . في جهاتكم وجنباتكم إشادة وإشاعة ، وخذوا عهده المؤكد اللازم على كافة أهل حواضركم وبواديكم فذة فذة وجماعة جماعة "(٢)" .

واللافت للانتباه أن الكاتب استهل الرسالة بقوله " ... من الأمير يعقوب ابن سيدنا أمير المؤمنين بن سيدنا أمير المؤمنين " (٣) ، ونستنتج من هذا أن الخليفة الجديد لم يلقب بعد بأمير المؤمنين ، ويحلل بروفنمالي هذه القافية بقوله : إن الكتاب أرسل بعد أسبوعين من وفاة الخليفة يوسف ، وتمت بيعة الخليفة الجديد من طرف الموحدين والقبائل العربية كما هو ظاهر أعلاه ويتذكر يوم الجمعة حتى تتم البيعة العامة أمام جمهور المسلمين بالمسجد ويتخذ بعدها لقب أمير المؤمنين كما هي العادة السائدة عند الموحدين (٤)" .

وبعد وفاة الخليفة الخامس المستنصر بالله بن محمد الناصر ابن يعقوب المنصور بن يوسف الشهيد بن عبد المؤمن بن علي الكومي

(١) المصدر نفسه ، ص ١٦٢ ، الرسالة السابعة والمعروفة .

(٢) مجموع رسائل موحديّة ، ص ١٦٣ ، الرسالة السابعة والمعروفة .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٥٨ ، الرسالة نفسها .

(٤) Un receueil de lettres officielles almohade p ٥٦.

الندروري ، بایع اشیاخ الموحدین کرها الخليفة الجديد عبد الواحد وذلک فی فھی یوم الاحد ۱۲ من ذي الحجة عام ۵۶۰ھ بحضور مراکش على حد قول ابن ابی زرع (۱) ، لكن الخليفة الجديد خلع بعد ثمانیة اشهر وخمسة ایام (۲) او ستة ایام عند ابن عذاري (۳) وعندھا عرف الخليفة الجديد بعد الواحد المخلوع ، ومن المعلوم ان حادثة الخلع وقعت لاول مرة فی تاریخ الموحدین ، لكن بعد بیعته بایام قلیلة وجدنا السید ابا زید والی بلنسیة بیعث برسالة إلى حضرة مراکش بایع من خلالها الخليفة السادس عبد الواحد (۴) حيث يقول " .. ولما هبت عيون البشائر عن نومھا وتشرفت خطبة الجمعة إلى الدماء لایام المخصوصین بیومھا ، وعلم العبد ان الترغیب في المسارعة إلى الخیر حکم من احكام الشريعة وقدم موالي نیل الثواب من اکرم ذریعة . وان خیر هذه البعثة السعیدة قد تعین اعلانه وإبداره وفرضها من قبیل ما يجب في اوائل الوقت اداوه الزھا نفسم .. ودعى الناس إليها فاقبلوا مطیعين إلى الداعی مسرورين بعقد اسن التقیوی" (۵) .

وختتمها بالدعاء للخليفة الجديد سادس خلفاء الموحدین" ... ربنا إنك تعلم ما نخفي وهو اعتقاد الطاعة وما نعلن وهو الشكر جهد الاستطاعة ، فاحفظ اللهم إمامنا المرتضى بما حفظت به الأئمة الذين بالحق قفوا) وعلى إظهاره مفوا وإلى رحمتك ورضوانك أقفو ، اللهم امتعه بعوارفك الجسم ، واقسم له من إسعادك وتوفيقك أفضل الأقسام ،

(۱) الانبياء المطروب ، ص ۲۴۳ .

(۲) المصدر نفسه ، ص ۲۴۵ .

(۳) البيان المغرب (قسم الموحدین) ص ۲۶۹ .

(۴) هو ابو محمد عبد الواحد بن یوسف بن عبد المؤمن ، بایعه اهیا خ الموحدین على کره منه عام ۵۶۳ھ وهو في سن الشیوخة ثم خلع بعد ثمانیة اشهر من بیعته . الانبياء المطروب ، ص ۲۴۴، ۲۴۳ . البيان المغرب (قسم الموحدین) ص ۲۶۹ ، ۲۷۰ . تاریخ ابن خلدون ج ۶ ، ص ۲۲۶ ، ۲۲۵ .

(۵) مخطوط جائزة الحسن الثاني ، ورقة ۴ ، المخازنة العامة الرباط ، رقم ۴۰۲ د .

واجعل زماننا به واثق العلاقة والابتسام، وانصره على اعدائك
الكافرين بما قلته من الماضيين الرأي والسلام "آمين آمين
والحمد لله رب العالمين" (١)

تقاديم الولاة وقادة العسكر والقادة :-

لاحظنا ان رسائل التقاديم المتوافرة لدينا الى الان تنحصر
ببين عهد الخليفة المأمون وعهد الخليفة المترضي، وقد وردت كلها
بمخطوط الخزانة الحسنية المبتصور البداية والنهاية لجامع مجهول
(١) - باستثناء رسالة واحدة صادرة عن ديوان الخليفة المستنصر ابن
الخليفة محمد الناصر ، ومعظم هذه التقاديم لا نعرف من اي منطقة
صدرت او لاي ناحية من نواحي البلاد الموحدية وجهت باستثناء بعض منها
وهو قليل جدا وهي المادرة من العدوة الاندلسية والموجهة الى احدى
مناطقها .

و نستهل هذا المتن من الرسائل بكتاب الخليفة المستنصر ابن
الخليفة محمد الناصر الى جماعة الموحدين بإشبيلية ، المؤرخ في
الحادي والعشرين من شهر رمضان عام ٦١٢ هـ، يخبرهم بان مدinetهم
تحظى عنده بمنزلة خاصة، و ان مصالحها مقدمة على جميع المصالح، و
مهما بعده المسافات فهي لا تغيب عنده "... فإذا وزنت الوسائل كانت

(١) مخطوط جائزة الحسن الثاني، ورقة ٤ ب، الخزانة العامة رقم د ٤٥٢، ١٩٨١، رقم ٤٧٥٢.

(٢) يقول جامع هذه الرسالة في الورقة ٧ من مخطوط الخزانة الحسنية رقم ٤٧٥٢ "... انتهى ما في اثناء المجموع من المكتب في تقاديم الولاة على البلاد، واقرار من فيه المصلحنة لسد الشغور ولطمطمها من القواد، وما الغيت ابدا من هذه التقاديم مما لم يكن في المجموع، ولم تتحقق في ذلك الموضوع، ما اشتته ان شاء الله مع هذه ليكون بها متصلة وبها مكملة، حتى تتساوى انسياها وترتبط مسافا، ونلخص انتظامها واتساعها لتحقق هذه التقاديم بمكانتها، وتنطبق ببيانها، وتجرى في التماطل مما في منتها، ثم ملء بعد ذلك بقاديم القضاة معانى المجموع ومما وجدته في غيره لتحققه الكتاب كما اردته، وتحصل فساده ما اردته، واتسبيها بعده ذلك بالمحكم والظواهر، وغيرهما مما لم ترتبط في هذه الفتوح ولا تدخل في هذه العيون و تكون ملحوظة وحدتها، ومعطاة ما منتها، حتى لا يقع في الكتاب هلهله، ويكون بعضه ببعضه مرتبطة، وان وجدت شيئا بعد تمام هذا القصد من هذه الانواع، وحصلت على امتناع هذا الممتناع، فاورده ان شاء الله شاملا واطلبه هلاعا شاملا".

وسائلها أرجح، و إذا عرفت الأمور الجلائل كانت أمورها أسمى و
أرجح". (١)

فيعد وفاة السيد أبي إسحاق والي إشبيلية، ابن الخليفة يوسف
قدم الخليفة المستنصر واليًا جديداً، وهو أبو إسحاق ابن الخليفة
المتّنصر حيث يقول "... وقد بلغنا ما كان من وفاة الشيخ الأجل الآخر
لديننا أبي إسحاق ابن سيدنا الإمام أمير المؤمنين ابن سيدنا الإمام
أمّير المؤمنين رحمة الله وكرم منقلبه وما واه" (٢).

وانتقل بعدها ليعرف أهل إشبيلية بخلفه ومحاسنه وأمانته
وتقواه فيقول : "... فلقد كان الأمين الغيب البعيد ورمعه والمنزع
الذي كان ينزعه من الريب ، وكان لأهل إشبيلية إليه المتّاب الذي
رفعته السنون وأنسى به الآباء ، والبنون فإذا لله على ذهابه وإنما
إليه راجعون" (٣) وانتهم أحق الناس أن تعزوا به كل البعد
وتونسوا بعده لما كان بينكم وبينه من الوداد ، إن يكون لكم من
نظرنا ما تستقبلون به الزمان جديداً" (٤).

ويتضح من خلال الرسالة ، أن الخليفة المستنصر ، بعث هذه
الرسالة ، وتحرك بعدها الوالي من مراكش ، قاصداً إشبيلية "... وقد
عينا لكم من تعرفون إياته الحميّدة ، وطريقته المرفيعة السديدة
الشيخ الأجل الأعز الأشرف الأفضل أبا إسحاق ابن سيدنا الإمام
المتّنصر أمير المؤمنين ابن سيدنا الإمام أمير المؤمنين ابن سيدنا
الإمام أمير المؤمنين جعل الله مقدمه عليكم سعيداً وعرفكم به نموا
على كل ما عهدتم من الخير ومزيداً ، فارتقبوا قدومه عليكم فلن يكون
بحول الله بعيداً" (٥).

(١) مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الخرسان ، ورقة . ٧.

(٢) المصدر نفسه ، ورقة . ٧.

(٣) اقتبسنا من الآية ١٧١ من سورة البقرة (أنذِنَ إِذَا آتَيْتُمْ
مُصْبِّحَةً قَاتُوا إِنَّا لِمَنْ وَيَتَ إِنْ شَاءَ رَاجِعُونَ).

(٤) المصدر نفسه ، ورقة . ٧.

(٥) المصدر نفسه ، ورقة . ٧.

لقد مرتنا، ان الخليفة عبد المؤمن بن علي جعل ابناءه ولاة على البلاد لكن اتسخ لنا انه خلال الفترة الاخيرة لعهد الموحدين، اصبح الخليفة، يقدم ولاة، من غير ابناء الخلفاء، وهؤلاء الولاة هم في غالب الانحصار من الذين بايعوا الخلفاء وخدموهم وفحوا في سبيل خدمة الدولة، ويأتي في درجة اقل من درجة الوالي، العامل الموحد وهو يعين عادة لضبط امور المخازن التي تتعلق بالناحية المالية ونجد في رسالة ديوانية موحدية قدم فيها الخليفة عامل لإدارة شؤون المخازن وأقسام إليه اشغالاً مصلحية أخرى، وهي فيما يبدو المهام الأمنية لضبط امور الرعية، في منطقة من مناطق الاندلس الخاضعة لحكم الموحدين، حيث يقول قدمناه "... للنظر في اشغالكم المصلحية واعمالكم المخزنية ... وهو من له في أشياخ الموحدين - أعزهم الله - البيت الكبير والمنصب الشهير والمكان الاثير مع ما تميز به ذاته من مشكور الخلال ومستحسن الاحوال والاتصال بالسماسرة والاعتدال" (١).

وكفل الخليفة العامل المقدم، ان يضبط العمل في المنطقة التي عين عليها، وان "... يستوفي الحقوق ويستوعبها ويلتزم التمية ويستحبها، ويشتت في حسم أدوار الشر والفساد، ويستعمل الرفق واللين حيث يستغني عن الاشتداد" (٢).

وعين الخليفة عامل آخر بقوله "... وقد عينا فلان ليتولى اموركم المصلحية، واعمالكم المخزنية، بعد ان جان في ما يتصرف فيه جده واجتهاده ووافق السداد اصراره" (٣).

والزمه بضبط امور المخازن، فخاطب اهل المنطقة المقدم عليها بقوله : "... و أكدنا عليه في استخراج الواجبات المخزنية واحتفانها، والطلب لكل من تعينت عليه بادانها، والتشرير عن ساعد الانتهاف في استيعابها واستيفائها، وأن يجري في رفع المظالم وإزالة

(١) مخطوط الخزانة الحسينية . رقم ٤٢٥٢ . ورقة ١٨.

(٢) المصدر نفسه ورقة ١٨ . (٣) المصدر نفسه ورقة ١٨ .

المحدثات على اتم ما نامر به كل من نستعمله ويقف مع الحق الواضح في ما يقوله وي فعله "(١)" .

وفي رسالة أخرى قدم الخليفة عامل آخر بعد ان استخار الله عزوجل حيث يقول "... قدمنا لجميع اشغالكم المملاحة ، وكافة اعمالكم المخزنية فلانا وهو الجليل في الموحدين مقداره الاصليل عقله ورأيه واعتباره ، المختار لتوليكم بما ادى اليه اختياره (٢)"

ثم قدم له النصائح المعهودة / وأسند اليه المهام التي كلفه بها في قوله "... ووصيتك بتقوى الله تعالى وهي وصية الله الجامعة للعباد والذخيرة الناقمة للمعاد ، والتي سماها الله خير الزاد وامرناه ان يلتزم العدل الذي امر الله تعالى بالتزامه وان يعمل في استفاء اشد اعتزامه ، وان يقضى الواجبات المخزنية غير مسامح منها " (٣)" .

ومن رسائل تقاديم الولاة الرسالة التي بعثها السيد أبو العلاء ادريين المأمون من قرطبة ، والموجهة إلى اهل فلانة ، وذلك قبل توليته الخلافة ، إذ وردت الرسالة في عهد الخليفة يحيى المعتصم "... وقد علمتم - أكرمكم الله - أن أحسن المصالح بمكانكم / واعودها بالامر والدعة عليكم في كل احيانكم تخير وال يتقلد اشغالكم ، ويتفقد احوالكم او يريكم من حسن تصرفاته ما تستقبلون به الزمن جديدا ويجريكم في كل محاولاتك على ما تقدمون معه تمهيدا ، ولا تفقدون نظرا سديدا " (٤)" .

ثم قدم لهم الوالي الجديد وبين لهم صفاته الحميدة في قوله "... وإن الشيخ أبا فلان ادام الله كرامته من جمع أوصاف

(١) المصدر نفسه ورقة ١٩ .

(٢) مخطوط الخزانة الحسنية رقم ٤٧٥٢ ، ورقة ٢٠ .

(٣) المصدر نفسه ورقة ٢٠ .

(٤) المصدر نفسه ورقة ٨ .

الاستقلال واستظهر بأكرم الشيم واحسن الخلال ووثق منه بالمضلاع فيما أنسد إليه من الأشغال "(١)" .

ثم عرف أهل تلك المنطقة التي عين عليها الوالي باته لم يقدم لهذه المهمة إلا "... بعد اختياره واختباره وأنهض للاستبداد لأموركم حين الثقة بحسن ايراده وإمداده "(٢)" .

وبعد أن ذكر لهم المهام التي كلف بها، قدم له الومية التي حمله إياها في يقول "... وقد وصيناه بتقوى الله فيما أنسدناه إليه وقدمناه من مهاماتكم عليه واوزعنا إليه أن يسلك في تسديد مساحيكم وتشريد أهل الفساد عن نواحيكم، السنن التي تصلح بسلوكه أحوالكم، وتبسط به في الأمر مالكم، وتتمشى معه على الجادة أقوالكم وأعمالكم، والزمانه أن يكون لأموركم كلها متقدراً ولا يحمل نظرة جهة من جهاتكم "(٣)" .

ولما انتهى من كلامه عن الوالي، انتقل إلى الرعية، فحدد لهم الواجبات التي الزموا بها نحوه، حتى تكتمل الصورة التي ينتظرها أبو العلاء ادريس المامون من الوالي والرعية حيث يقول "... وعليكم بمعونته في تنفيذ الحق وإيفائه ومعاونته في استيفاء الواجب، واقتضائه والعلم بان النبие والخامل في الشرع شرع سواء وصنف واحد وإن الحق تستوي في حلوه ومره الانحاء الدينية والمقاميد، ومثلى كانت المحاولات جارية على هذا الاسلوب، انتقم الفعيف من القوي، وسار الشريف والمشروف على المفنن السوي "(٤)" .

وهيمن كتب التقاضي رسائل عديدة لإعادة الولة والقفامة إلى مناصبهم، بعد أن أبعدوا عنها أو أنسد إلىهم مهام أخرى، لكننا لم نقف على أي إشارة تشير لنا سبب إزالتهم أو تكليفهم بمهام أخرى .

(١) المصدر نفسه ورقة ٨ . (٢) المصدر نفسه ورقة ٨ .

(٣) المصدر نفسه ورقة ٨ .

(٤) مخطوط الخزانة الحسينية رقم ٤٨٥٢ ، ورقة ٨ .

ومن كتب تقاديم الولاة نجد رسالة في عهد الخليفة المرتضى امتسارت بإعارة والـ، إلى منصبه القديم، وهذه الرسالة لا تختلف في مجملها عن قرائتها من الرسائل السابقة - التقاديم - حيث استهلها الكاتب كعادة التقاديم السابقة واللاحقة بمخاطبة أهل المنطقة التي قدم عليها الوالي، وهي غير محددة بالضبط إذ يقول "... وأن تعلموا أنا نعتمدكم بالنظر الفاضط لأموركم، وتترف عنان الاعتناء بما فيه ملاج خاصتكم وجمهوركم ونتعهدكم من جميل النظر" (١).

ثم انتقل إلى الموضوع الأساسي الذي كتبت الرسالة من أجله فيقول "... وقد رأينا، والله تعالى يسدد الرأي الذي نراه ويعرف اليمين في ما نتوخاه، أن نعيد إليكم أبا فلان ليتولى النظر على ما كان عليه في أموركم المصلحية والمحزنية ويجزىكم في كل أحوالكم على الجادة السوية وهو من الفتم قبل جواره وعرفتم إيراده فيكم وإصراره" (٢).

ثم أدى له مجموعة من النصائح وعرفه بالمهام التي كلف بها وهي "... تقوى الله تعالى في كل ما يتولاه وأن يراقبه سبحانه في سره ونجواه وامرأناه أن يشتد على أهل الفساد، حتى ينقطع إضرارهم، أو تحسن بمراجعة السداد أشارهم، وأن تكون محاولاته كلها جارية على سنن الحق المستعين وتناولاته غير عادلة عن العدل الذي يميز أنه أرجح الموازين وأن يجتهد في ما سندناه إليه اجتهاداً مبنياً على راسخ من الدين" (٣).

وختتما على نمط الرسائل السابقة بمخاطبة الجمهور، وهم سكان المنطقة التي قدم عليها الوالي فيقول "... فإذا وافاكم بمعونة الله تعالى فانتظروا عليه واستمروا إليه، وكونوا معه يدا

(١) المصدر نفسه، ورقة ٥١.

(٢) المصدر نفسه ورقة ٥١.

(٣) مخطوط الخزانة الحسينية رقم ٤٧٥٢، ورقة ٥١.

واحدة في كل ما يصلحكم ويحمي جهاتكم (١) .

والملاحظ أن كل تقاديم الولاية ترسل إلى المنطقة التي عين عليها الوالي أو القاضي، أو قائد العسكر، قبل أن يصل إلى المنطقة التي عين عليها، فهي بذلك إشعار المنطقة المغيبة بقرار الخليفة واستعدادهم لاستقبال الواحد الجديد.

ونختم هذا المصنف من التقاديم بلون مختلف من كتب التعيينات الأخرى المرسلة إلى الرعية في مختلف الولايات الاندلسية، واتضح لنا من خلال هذا المصنف من تقاديم الولاية، أن الخليفة في كثير من الأحيان يقدم مجموعة كبيرة من الولاية بمختلف الجهات الاندلسية دفعه واحدة . لكنه ترك أبا عبدالله بمنصبه، بناء على أسبقيته في مبادئ الخليفة، وبذلك قمارى جده في خدمته وتسويه أمور الخليفة بولايته فتحصل الوالي بعد فترة على امتيازات إضافية ومهام أخرى انفرد بها في إدارة الرعية بتلك الجهة "... وتحيطكم بما يتلقاه لكم حسن طاعتك من تمشية العدل فيكم والإحسان، وواليكم المخاطب الآن معكم الشيخ أبو عبدالله ... وهو كما تعلمون السابق هنالكم إلى إظهار دعوتنا والصادق ... لعقد بيعتنا والبذل أقصى جده واجتهد عن خلوم من نيته ومقاء من اعتقاده في أنواع خدمتنا ولهذا وقف الاختيار عليه في أن ينفرد بتولي اشغالكم، وتعرف له من حسن الآثار ما أوجب الاستنامة له في القليل والكثير من ذلك وما زلت تستعلم منه في تناولاته وكافة تصرفاته ما نزداد به افتباطنا ... وأوجبنا له الاشرة التي لا نوجبها إلا للخلاص، الامتناع، والتصحاء المصراء " (٢)

لكن على الرغم من المفرزة الرفيعة التيحظى بها من قبل الخليفة، فإن أمير المؤمنين لن يتسامح معه إذا لاحظ عليه أي تقلب في عمله الذي كلف به حيث يقول : ... فإن أرجف بغير ذلك مرجف فقد

(١) المصدر نفسه، ورقة ٥١.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ٥٠.

اعظم الافتراء واساء الاجتراء وعد عن مذهبنا السديد، وتعرض للعقاب الشديد، فلمسنا نسامح من يفوه في اشر خدمائنا بالبهتان ولا نقبل له عشرة تحله محل المذال المهان "(١)" .

ومن رسائل تقاديم قادة العسكر الكتاب المرسل الى جهة معينة من بلاد الموحدين، بدون تحديد للمنطقة بالضبط، يستهلها الخليفة كعادة رسائل التقاديم بالدعا، لاهل الجهة المعنية من بلاد الموحدين ويذكر لهم بان جهتهم مخصوصة بعنابة بظاهرها وباطنها، وهو يبذل قصارى جده في عناية مصالحها ولهذا فهو يختار لها من احسن قادة العسكر لديه لرعايا مصالحها، ولم يعين قائد العسكر المذكور على ناحية واحدة فقط، بل اسند إليه مناطق أخرى مجاورة لها "... وهو المعروف في حزب التوحيد منتما ، ونسبة ، والمقدم في الاولى ، والظهراء مكانا ورتبة ، ونحن نشكر له غلاء حميدا قدمه في كثير من المواقف ورأيا سيدا اعمله في المحاولات !عمال المجرب العارف ، ولذلكم اختبرناه لقود العسكر ، وطلب العدو ، والغادر ، وقلدناه البلاد هنا لكم ليؤمن خائفها ويدفع عنها مخاوفها ، ويصد ثورها ويسكن مذعورها ويحسم بالسيف ادواءها ، وسيتأمل مردتها واعدادها ، ويعيدها بحول الله وقوته إلى امنتها وهدوئها "(٢)" .

ويبدو من خلال الرسالة ان هذه المنطقة من بلاد الاندلس شهدت اضطرابا نتيجة لغزو الإفرنج وكادت تخرج من يد الموحدين فارسل الخليفة قائد العسكر ليضبط امرها ويهدى، من روع سكانها.

وفي تقديم آخر يقول "... وقد اقتفي نظرنا تقديم فلان - وصل الله رزقه وانجاده - على البلاد كلها وإقامة شغلها ومصالحها ... وتنامين غاديها ورائيها، فكونوا معه مع كافة من لديه من العسكر يسدا واحدة في دفاع اهل البغي والعناد واستئصال اول الشر والفساد "(٣)" .

(١) مخطوط الخزانة الحسنية ، ورقة ٤٧٥٢ ، ورقة ٥٠.

(٢) المصدر نفسه ، ورقة ٣٦ . (٣) المصدر نفسه ، ورقة ٣٨ .

لقد بدأنا هذه التقاديم برسالة الخليفة المستنصر بعد معركة العقباب، أثناه تقديم للسيد أبي اسحاق ابن الخليفة المنصور واليا على إشبيلية، ثم حصرنا التقاديم الأخرى بين عهد الخليفة المأمون، والمرتضى والفترة بينهما تزيد على خمسين عاماً بحيث لم نقف على رسالة ديوانية واحدة عين فيها وال أو قاض، أو قائد عسكر، أو عامل من طرف شخص آخر، وهذه المهمة مرتبطة بمهام الخليفة وحده، ولم ينعن الخليفة في كل مرة أن ينبع الولاء والقهاة وقاده العسكر الا يعدلوا عن الكتاب والسنّة وإجماع الأمة، ويختتم الرسالة في كل مرة على نمط واحد، وهي تقديم الوصيّة لأهل المنطقة التي عين عليها المقدم .

وفي رسالة أخرى أمر الخليفة قائد العسكر المعين على المنطقة التي أرسل إليها "... ان يحسّم ادوار الشر والفساد وان يعمل في قمع اولى الاعتماء، والبغي كل الاشتداد، حتى يتسحب للامان على تلك الازداء، ظل وارف ويرتدع عاد ويؤمن خائف وتجري الامور كلها هنا لكم على قوانين هذا الامر العلي من فبيط لانتشارها ، وتسري سواري العافية والامانة في اصحاب تلکم الجهات وانوارها، وترتفع عن الطرق المسروقة هناكم ماعاقد السيارة قبل تسيارها وترتدع الشرار عما اعتادت شرها و/or اثارها "(١) .

فالخليفة المأمون قدّم قاضياً وأرسل كتاباً إلى أهل المنطقة التي قدّم عليها بقوله : "... ورأينا بعد استخاره الله تعالى أن نقدم للقضاء في شريش نوازلكم وتولي النظر في المدن من مسائلكم فلأننا، ولله المنصب الشهير والمحل في الدين الاثير وعلى ذكائه واتقاده تتافق الجماهير "(٢) ، ولم يكتف بكل هذا بل قال "... ومبنياه بتقوى الله وهي آس الخير كله وإليها يسند المؤمن في عقده وحله وامرتناه بالاستظهار في احكامه بكتاب الله وسنة رسوله

(١) مخطوط الخزانة الحسنية رقم ٤٧٥٢، ورقة ٤١.

(٢) مخطوط الخزانة الحسنية، ورقة ٦١.

والاعتماد عليها في مقوله، ومفوله، والتخير للشهداء والمسمدين فهم عمة تاسيسه للقضا وتأميته، وأوعزنا إليه أن ينزل الثامن منازلهم مالم يعرف من حكم شرعى فعليه اعتبار الشرع والالقاء بالبصر والسمع، فلا مزية لأحد على أحد في الحق والواجب، ولا معتبر في إمضاء الحكم وإنقاذه للمناصب "(١)" .

وهذا ما يؤكد أن الولاة لم يكن لهم دور في تعين القضاة، وهذه المهمة كانت منوطبة بال الخليفة وحده (٢) .

وفي رسالة تقديم قاضي آخر تقول الخليفة : "... ولما كانت الأحكام الشرعية أحق ما قدم أحكامه، وحفظها بجميل الاعتناء، نظمه لأنها القطب الذي تدور عليه مصالح الأمة والملجأ الذي يفرغ إليه بالأمور المهمة لم نزل نتخير لها من نظن به الاستقلال ونحمد منه المناحي، والخلال باذلين أقصى الوسع في الانتقاء، موشرين من اجتمع فيهم أوصاف الذكاء والنقاء، وبحسب هذا النظر قدمنا فلانا للفضل في نوازلكم والقضاء والإنقاذ للحق في مسائلكم والامضاء، بعد أن قرر تاهليه وعزى إليه أحسن السويف واجمله وذكر باستقامته وسداد قوله وعمله "(٣)" .

ولكن مع توافر كل هذه الشروط والخmal الحميدة في القاضي، فإن الخليفة لم يكتف بها بل أدى إليه مجموعة من النصائح فيقول " حيث يقول مهدنا إليه بان يكون تقوى الله سبحانه أول ما يبدئه والعمل بمقتضى الكتاب والسنة أكيد ما يلزمك وان يراقب عالم الغيب والشهادة في ما ينفعه ويبرمه وامرناه ان لا يعدل عن سنن السلف الصالحة في شيء من احكامه وان لا يورد ولا يصدر عن تحقيق

(١) المصدر نفسه، ورقة ٦١.

(٢) انظر مصدر المرابطين الموحدين ج ٢ ص ٦٢٨، وقارن في تاريخ الاندلس في مهد المرابطين والموحدين، ص ٤٩٢-٤٩٣.

(٣) مخطوط الخزانة الحسنية رقم ٤٧٥٢ ورقة ٦٢.

يستفيد من تشبته وتردد استفهامه "(١)" .

وفي غرة ذي القعدة عام ٦٣٦هـ وجدنا الخليفة الرشيد(٢) ابن الخليفة المأمون يعين قاضياً لمنصبه على شريش فيقول : "... والآن قدمنا فلاناً لخطبة القضاء بينكم والفصل وابراء نوازلكم الشرعية ، على قانون النصفة والعدل ، وقد تردد فيكم استعماله وتقرر افلاطعه واستقلاله وتميزت بالزباهة والتزاهة خلاته وهو موسى بنقوى الله ومراقبة امره والالتزام الخيفية له في سره وجهره وأن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله عليه السلام وإجماع الأمة " (٣) .

وفي إعادة قاض في منتصف شوال عام أربعين وستمائة قال الخليفة المعتمد (٤) "... أعدنا الآن إلى تولي أحكامكم الشرعية ، وتقلد النظر في نوازلكم الدينية ، فلان إعادة تفرده بالغفل بينكم والقضاء ، وتشهد بما تأكد لدينا من موجبات التأهيل ... فهو من تميز بالحزم الحديثة بالخدم ، وتبين سلوكه على تردد استعماله في هذه الخطبة للطرق الواضحة والسبل القوية ، وقد تقدم إليه بالوصية لاكيده في أن يكون على تقوى الله تعالى مداره ، وأن لا يعمل عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله واجماع الأمة " (٥) .

(١) المصدر نفسه ورقة ٦٢، ٦٢.

(٢) هو أبو محمد مبدالواحد بن ادريين المأمون بن يعقوب المنصور بن يوسف بن مبد المؤمن . بسويع عام ٦٣٣ ، وفي عام ٦٣٥ . ثمت بيحيته التماشية ، وتوفى عام ٦٤٠ ، انظر الآتيين المطروب . من ٢٥٤، ٢٥٥، البیان المقرب . (قسم الموحدین) ص ٣٠٢، ٣٠٣، تاریخ ابن خلدون . ج ٦ ، ص ٥٣٢، ٥٣٣ .

(٣) مخطوط الخزانة الحنطية . رقم ٤٧٥٢ ورقة ٧١ .

(٤) هو ابو الحسن علي بن ادريين بن يعقوب بن يوسف بن مبد المؤمن الملقب بالسعید بسويع بعد وفاة الخليفة الرشيد عام ٦٤٠ ، وتوفي عام ٦٤٦ ، انظر ، الآتيين المطروب ، من ٢٥٦ ، البیان المغرب (قسم الموحدین) ص ٣٦٠، ٣٥٩ ، تاریخ ابن خلدون ج ٦ ص ٥٣٩، ٥٣٨ .

(٥) مخطوط الخزانة الحنطية . رقم ٤٧٥٢ ورقة ٨١ .

اما الشهود والمساعدون، فقد اوصى الخليفة المأمون القاضي "... ان لا يقدم الا من وثق بحديشه ومعرفته وكان على يقين من ذكاء صفتة وان يتخير الشهود، فلا يقبل الا العدل المتفق عليه ولا يعمل من الشهادات الا مالا يتطرق الجرح اليه ...، فقد يخفي من احوال الشاهد في وقت ما يبين بعده وقد يلوح مع التفقد مالا يوجد بعد القبول رده "(١) .

واوصى الخليفة الرشيد قاضيه المقدم على شريش بقوله "... ان لا يستعمل من النواب والشهود الا من تنزه من الاتهام واتصف من موجبات القبول "(٢) .

واوصى الخليفة السعيد قاضية بقوله "... ان لا يستعمل من النواب عنه الا الاذكياء الذين يحسن لهم اختياره . والشهود هم مستند الحكم فيما يمضيه او يتوقف فيه فليقدم انتقادهم جده ، ولا يقبل منهم الا من صحت عدالته عنده " (٣) .

- رسائل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر -

لم يقم ابن تومرت آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر مع اول لقائه باخت امير المسلمين علي بن يوسف بن نافعين، كما رأينا سابقا، بل كان ذلك اثناء وجوده بمكة المكرمة كما يذكر ذلك ابن خلكان (٤)، فقد اعلن ثورته على الاوضاع السائدة هناك، فبينما كان المليبيون ينتهكون المقدسات الاسلامية ببلاد الشام انضم حكام الدولة الفاطمية في ملذات الترف واللهو (٥)، وكان نتيجة لهذه الثورة ان ابعد من مكة المكرمة، فتوجه نحو مصر حيث اصبح له واحد وخمسون رجلا من اتباعه (٦) فحدث له الشيء نفسه، فطرد من القاهرة .

(١) مخطوط الخزانة الحسينية، ورقة ٦٣ . (٢) المصدر نفسه ورقة ٧٥ .

(٣) المصدر نفسه ورقة ٨١ . (٤) وفيات الامميان، ج ٥، ص ٤٣ .

(٥) سلامة محمد سليمان المصطفى، دولة المرابطين في مهد علي بن يوسف بن نافعين، دراسة سياسية وحملارية من ٩٩، مكة المكرمة (٦) الفتح، ج ٤٦، ص ٢٤٦ .

(٧) هو ابو بكر محمد بن الوليد الطرطوش المعروف بابن ابي رندفه ولد بطربوش عام ٤٥١، ودرس بها وببرنسطة، له رحلة الى المشرق واستقر بالاسكندرية، توفي عام ٥٥٢، هامش ٣، نظم الجمان، ص ٣٨ .

ويذكر ابن القطان ان مهدي الموحدين محمد بن تومرت توجه شطر الإسكندرية فشاهد فيها كثرة المناكر " فغيرها وامثلظ في أمرها فقامت عليه العامة والغوغاء فصاروا يقطعون به في طريقه إلى مجلس الطرطوشى (١) ... فلما افتقده الطرطوشى بحث عنه ... وساله عن سبب غيبته عن مجلسه ... فعرفه بشان أولئك الغوغاء وانه يريد الابياض إلى المغرب (٢) .

وعلى الرغم من المتابعة التي واجهته لم يحد عن رأيه بل نهض مرة أخرى أمراً بالمعروف ناهيَا عن المنكر، فبمجرد ركوبه السفينة التي نقلته من الإسكندرية إلى المغرب أراق دنان الخمر التي كانت بها، وامر ركابها بإداء الصلاة (٣) .

إلى أن وصل مراكش والتقي باخت أمير المسلمين علي بن يوسف ابن تاشفين، فمن هنا كانت البداية وبمسجد صومعة الطوب كان اللقاء باخيها أمير المسلمين فوعظه وارشه ونهاه .

يقول الفردبل(٤): " إن حركة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هي التي اتخذها دائمًا في بلاد الإسلام دعامة الحماسة الدينية وأصحاب الدعوة إلى الإصلاح لكن أحداً لم يبلغ ابن تومرت في القيام بالدعوة بهذه الحماسة والجراوة و اختيار المناسبة ولا في اتخاذ ذلك وسيلة بارعة للتمهيد للكفاح ضد حكومة العمر وللجهاد في سبيل الدين ضد المرابطين " .

يقول الله عزوجل في محكم تنزيله(٥): " (وَتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَىٰ الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْلَئِكَ هُمُ الْمَفْلِحُونَ) " ويقول عزوجل في السورة نفسها(٦): " (كُنُّمْ خَيْرُ أُمَّةٍ

(١) فنظم الجمان ص، ٣٩٠، ٣٨ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٩، ٣٩، وفيات الاميان ج ٥، ص ٤٦، الكامل ج ٨، ص ٣٩٦، نهاية الارب، ص ٣٩٤ .

(٣) الفرق الإسلامية في الشهابي الأفريقي، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٣ .

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٠٤ . (كُنُّمْ خَيْرُ أُمَّةٍ أَخْرَجْتَ بِنَّتَائِصَ تَأْمُُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَيْتُمُونَ مَنْ أَنْكَرَ وَكُوْمِيْتُمُونَ بِإِيمَانِهِ كَوَّاْمَكَ أَهْلَ الْحَكَمِ لَعَلَّكُمْ خَيْرًا لَّمْ يَقْعُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَخْرَجْتُمُ الْقَافِسِيْنَ)

(٥) سورة آل عمران الآية ١١٠ .

أَخْرِجْتِ يَلْفَسِينَ تَسْأَمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاَنَّهُمْ
وَقُولُهُ تَعَالَى (١) "وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُنَّ أُولَئِكَءِ بَعْضُهُنَّ
يَأْمَرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقْيِيمُونَ الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَيَطْبِعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيِّرَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ")
وَقُولُهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى (٢) " (الَّذِينَ إِنْ مَكَنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ إِقَامُوا الصَّلَاةَ
وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عِاقْبَةُ الْأُمُورِ")

ولم يقتصر حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الداعية ابن تومرت، بل تبعه كل الخلفاء الموحدين، في فسيطهم لشؤون الدولة ومحاربة الآفات الاجتماعية أيذما وجدت.

ونشرع في إلقاء الضوء على هذا الصنف من الرسائل بكتاب الخليفة عبد المؤمن بن علي، من إنشاء الوزير الكاتب أبي جعفر ابن عطيية الموجه إلى الطلبة بالعدوه الاندلسية، وجميع من بها من الموحدين، المؤرخ في ١٦ من شهر ربیع الاول عام ٥٥٤هـ وهو من الكتب النادرة التي ارخت في صدر الرسالة مخالفة لما جرت به العادة في الكتب الديوانية .

وجعل ابن عذاري سبب كتابتها، أن أخوي المهدى بن تومرت عيسى وعبد العزيز تعديا على الناس، وتجاوزا حدود الشرع، اثناء وجودهما بإشبيلية فكثر القتل في الناس وإباحة المنكرات والمحرمات (٣)، وبعد زيارة ضريح ابن تومرت وببناء مسجد بتذلل، بعث الخليفة عبد المؤمن بن علي رسالة إلى طلبة صنهاجة يقول فيها(٤) "... وقد صدرنا - وفقكم الله - على الحفرة العلمية... بتذلل ... وينتمي إليكم بحول الله - مارأيتك -، وتكلم طي كتابتنا هذا نسخة كتاب خاطبنا بمثلها

(١) سورة التوبه الآية ٧١.

(٢) سورة الحج الآية ٤١.

(٣) البيان المغرب، (قسم الموحدين) ، ص ٣٨ .

(٤) مجموع رسائل موحدية ، ص ٦٠٥ ، الرسالة الثالثة .

كل جهة من جهات الموحدين وفهم الله، فيما قرب وبعد، وحملتها
من الوصايا ما نرجو أن يعين على أمر الله ويغفر".

هذه الرسالة كتبت بعد عشرة أيام من كتابة الرسالة السابقة - الجامعة لأنواع الأوامر - وهي واردة من حضرة مراكش بتاريخ السابع والعشرين من ربى الأول عام ٤٣٥هـ، وتشير هذه الرسالة إلى أن نسخا منها أرسلت إلى أماكن أخرى من بلاد الموحدين وهو غير ما ورد في محتوى الرسالة المدرورة، المرسلة إلى العدوة الاندلسية .

فقد جمعت هذه الرسالة الجامعة لأنواع الأوامر مجموعة من القوانين دار محتواها حول موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفيها يقول الخليفة عبد المؤمن بن علي "... وقد ذكر لنا من المظالم المستقرة لأنواع المأثم ... أن أولئك الخاطفين في غمرات أبهرها المثيرين لأسباب منكرها المارمين لعلق الشريعة القاطعين لابهارها، يمدون أيديهم إلى ضرب الناس بالسياط ... ويقتسبون بذلك إلى أخذ أموال الناس ... وقد علمتم أن عادتنا فيمن يستوجب الفرب أو من يستحقه عمن يظلم الأمر الشرعي أو يعقه حدود معلومة، دون إفحاش وانتهاءك وموافقت موسومة تقابل كل بمقتضى جرمها من أثيم أو أفال" (١) .

تشير الرسالة هنا إلى ظلم عمال المخزن للمسافرين الغرباء، وعابري السبيل العائدين إلى بلادهم "... وأن من ذلك الرأي الذميم، والسعى المنقوص، ما ذكر لنا في أمر المسافرين الذين يريدون الرجوع إلى أوطانهم وعماراتها والطوائف المارة على البلاد لمعنى تجارتها، يتسبب إليهم قوم من هؤلاء الظلمة الدخلاء الذين يفسرون الغش في ما يؤمنون به من النصيحة، ويستبطئون المكر في تصرفاتهم القبيحة، فيقولون للرجل منهم عندك من حقوق الله كيت وكيت وإن للمخزن جميع ما به اتيت" (٢) .

(١) نظم الجمان، ص ١٥٥، ١٥٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥٧.

وانتقل بعدها إلى موضوع آخر . فتتحدث عن ام الكبائر الخمر والتباس الامر على الناس بين ما هو حلال منها وما هو حرام فقال "... والله الله في البحث على الخمور، وتقديم النظر في امرها فهو من اهم الامور، فإنها مفتاح الشرور، ورأس الكبائر والفحور، وهي رابطة اهل الجرم و جامدة اشتات الظلم ... فخذلوا في طلبها في المواطن المتهمة بشانها واجتهدوا في ارافقها وكسر دنانيرها، واعمدوا إلى السبب الذي يؤدي إلى التمكّن منها ... وقدمو امناء متخيرين للتطوف على مواضع الترتيب ... ولا يمكن منهم إلا من يفرق بين الحلال والحرام ويميز، ويعرف ما يجوز، شربه وما لا يجوز .. فما حل منه اباحوه وما كان غير ذلك قطعوه اصلًا وفسروا وأراقوه " (١) .

وانتقل من موضوع إلى آخر امراً بالمعروف تاهياً عن المنكر^٢ مبيناً المواب من الخطأ مستشهدًا بآيات من القرآن الكريم، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، كل ذلك في أسلوب واضح إلى أن وصل به الكلام عن سامي البريد الحامل لهذه الرسائل ويسميه المغاربة الرقاص لسيره، ودوراته .

وقد تجلى لنا من هذه الرسالة أن هؤلاء الرقاصين اغتنموا فرصة حملهم لهذه الرسالة الديوانية لإذاعتها فاتقلوا على الناس وتجاوزوا حدود مهمتهم "... وإن من يسعى في نوع من أنواع الفساد ، ويستحب الإضرار بال المسلمين في الإصدار والإيراد هؤلاء الرقاصين الذين يردون بالكتب ويمدرون ويمشون فيما بيننا وبينكم وبينفرون ، فإنه ذكرنا أنهم يأخذون الناس بالنظر في كل فهم ، ويلزمونهم في زادهم من كل موضع وعلفهم وهذا فعل كل فرقة منهم في سيرها ، وسوء رايهم بذلك في المخازن وغيرها ، وإن من جملة ما حكي عنهم أنهم يتالبون في الطرق جموعاً ويحملون بأفنيّة الناس حلولاً شنيعاً ، يكلّفون مؤوثاتهم تكليف المجرم ويتحكمون عليهم بحكم المفترم ، حتى إنهم لا

(١) المصدر نفسه ، ص ١٦١ .

يرضون في ميافااتهم إلا باسمن الجزر... فسارعوا وفقدم الله تعالى
الى حسم هذه الملة من أصلها، وبادروا إلى قطع تلك العادة
الذميمة و فعلها، وتخيروا لرسائلكم إرسالاً، وانتقوا من أهل
المقدرة على ذلك والثقة رجالاً، وادفعوا إليهم زاداً يقوم بهم في
المجيء والانصراف ويقطع شأنهم عن التكليف والإلحاف، وارسموا لهم
 أيامًا معروفة العدد معلومة الأمد لينتهوا بها إلى مواقف رسائلكم
 ويوزعنها على مسافات مراحلهم، وحدروهم من تكليف أحد من الناس
 ولو مثلثال ذرة "(١)" .

لقد كانت هذه الرسالة "حجـة بـأـيـدـيـ النـاسـ"، وـمـؤـمـنةـ لـهـمـ منـ
الـبـاسـ "(٢)" .

ويذكر ابن عذاري ضمن أحداث عام ٥٤٣، أن هذه الرسالة عند
ما وملت "إلى إشبيلية بحثوا على أهل الاشتغال، المنمرفين في
الاعمال، وأخذوهم بالإقرار والامتراف، وبالغوا في البحث عليهم
 والانصراف، فقتلوا منهم رجلين ظهر عليهما الفسق والظلم،
 والفساد والإثم والجرم، فوجد أحدهما غير مختون والآخر استرابت
 عليه الطنو، وكانا يشتغلان بقبض الفطرة، فظهر منها الغش للخلافة
 والإيمارة "(٣)" .

وتبيّن للباحث أن معظم الكتب التي تناولت موضوع الأمر
 بالمعروف والنهي عن المنكر حدث حذو الرسالة الجامعة لأنواع الأوامر
 ، فقد بقيت كل الرسائل تدور في حيزها ولا تبتعد عنها.

(١) نظم الجمان، ص ١٦٢ .

(٢) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٣٧ .

(٣) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٣٨، ٣٧ .

فالرسالة الجامعة لتنوع الأوامر تناولت عدة موضوعات، منها التمهل في إصدار أحكام القتل، وضرب الناس بالسياط، وامر الفسق المثقلة على الناس، والبحث عما يحل شربه من الرب وما يمنع، والحديث عن الرقامين ... إلى غير ذلك من الأمور التي تناولتها الرسالة، من قوانين شرعية، وقد دارت معظمها حول موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فاما ما يتعلق بشراب الرب فوجدنا في رسالة الفصول الماءدة عن الخليفة عبد المؤمن بن علي والموجهة إلى الطلبة بجайة في الثالث من ربيع الأول عام ٥٥١، وهي شبيهة لها إلى حد بعيد بالرسالة الجامعة لتنوع الأوامر، وقد ورد فيها عن موضوع الخمر ما ياتي . "... وامر بالنظر في الربوب وتمييزها والهجوم على باطنها ومدمني شربها ومستعملها، فيراق مسکرها (١) ويقطع مذكرها (٢) وليعمد إلى من عمل المسکر الحرام عامداً، وشربه مدمنا عليه ومعاهداً، ولم ترue الحدود ولم تقیده القيود، ولم يعظه الاعتبار، ولم ينفعه الإذكار فيمحى اثره وحذف خبره " (٣) .

ووجدنا ابن محشرة في رمضان عام ٥٨٠ يتناول الموضوع نفسه في رسالته الموجهة إلى الطلبة وكافة الموحدين باشبيلية عن الخليفة المنصور حيث يقول "... فإن الناس تجوزوا في أمر الرب تجوزاً أغفلوا فيه الاجتهاد، ورتفعوا حول حماه رتفعاً أوقفهم فيه أو كاد، وتسامحوا فيه تسامحاً" (٤) .

لكن الناس القبس عليهم الأمر بين ما هو حلال وما هو حرام فلما وصل الخبر إلى مسامع الخليفة المنصور أصدر حكماً بمنعه وقطعه

(١) documents inédits d'histoire almohade appendice
No ١، p ١٤١. texte arabe . (مسطرها)

(٢) ibid p ١٤١. (مسطرها)

(٣) مجموع رسائل موحدية، ص ١٣٣، الرسالة الثالثة والمعروفون .

(٤) مجموع رسائل موحدية، ص ١٦٥، الرسالة الشامنة والعشرون .

من الاساس، وإغلاق المحلات التي يباع فيها "... ولما تقرر عندنا من الالتباس في ذلك ما تقرر وتردد على أسماعنا ما استرسل فيه وتكرر، وعلمنا أن الذي وسع على الناس من اتخاذه لم يتبيّن لهم الحق فيه ويتعذر، رأينا - والله المستعان - ان قطعه بالكلية أخلق بالاحتياط لدينهم واجدر، فمن العصمة إلا يجدوه، ومن العون لهم على تركه أن يعدموه ويفقدوه فإذا وافقكم كتابنا هذا بحول الله - عزوجل - فاقطعوه جملة وتفصيلاً، ولا تجدوا أحداً إلى بيته سبيلاً، واشتدوا في ذلك اشتداداً لا يوسع مستسماً فيه مدوفاً من هذا القصد الحميد ولا عدولاً واحلو الحوانية التي كان يباع فيها منه وأفقروها وأشرفوها لغير ذلك من المباحثات وسيروها ، والديار المعروفة ببيته ايضاً لا تتركوها على ذلك ولا تقرروها، وأريقوا ما تلقون من مشتبهه وملتبسه، وعاقبوا من تجدونه عنده أشد عقوبة على دلسه، وتتبعوا في ذلك أبلغ تتبع واسده، ومن وجدتم عنده رائحة منه كائناً من كان، فاقيموا عليه مارسمه الشرع في ذلك وحده (١) .

ويذكر ابن عذاري أن الخليفة المنعمor لما رأى هذه المذاكر غضب " و ... أفسر عن القفال والقيل وجعل الإنذار والإذار مكان السيف المصيّل فامر باراقة المسكرات وقطعها والتحذير بعقاب الموت على استعمالها، وانفذ المخاطبات بذلك إلى كافة ولاته بالامصار، فاريق منها في البلاد ما يساوي أموالاً جمة " (٢) .

ومن القضايا الأخرى التي تناولتها رسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث الناس على إداء الصلاة وقراءة القرآن، فقد قام الخليفة عبدالمؤمن بن نب næ مسجد يعبد فيه الله عزوجل، بعد زيارته لفريج ابن تومرت، وفي رسالة الفصول وجدها يقول "... وآخذوا بإقامة الصلاة التي هي الكتب الموقوف على المؤمنين ، والحكم المثبت على كل من امن بهذا الدين، والناهية عن الفحشاء

(١) المصدر نفسه، ص ١٦٦، ١٦٧، الرسالة نفسها .

(٢) البيان المغوب، (قسم الموحدين) ص ١٧٣ .

والمنكر على مساوره في الكتاب المبين، ولاحظ في الإسلام لمن ترك الصلاة فهو ممحى من ديوان المؤمنين، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع من الوظائف والقوانيين، وتاركها ميت في عدد الأحياء ... فخذوا من قبلكم بإقامة الصلاة على ما شرعت وادائتها بحسب ما فرضت، وخذوا العوام ومن في الديار بحفظ آم القرآن وسورة معها وما تيسر من القرآن لتقديم صلاتهم ويكمel عملهم، ومن أفعال الصلاة وأهملها ولم يبادر إلى أداء ما فرض عليه منها فاجله للحين متاح وقتله بحكم الكتاب والسنة واجب "(١)" .

ومن الرسائل التي تناولت موضوع الصلاة رسالة الخليفة المستنصر بن محمد الشافع المؤرخة في ١٥، من شهر ربیع الأول من عام ٥٦٧ الموجهة إلى كافة الموحدين بالعدوتين، ويدرك ابن عذاري أنه في بداية هذا العام أي ٥٦٧ اشتد الغلاء وارتقت الأسعار نتيجة للازمات التي مرت بها الدولة بعد معركة العقاب، زيادة على القحط الذي شاهدته البلاد الموحدية في العدوتين تم فرج الله فزال الهم تيمرت في الأمور، فكتب الخليفة المستنصر رسالة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا فيها حذو جده الخليفة عبد المؤمن، ومما جاء فيها "... وحبوا في جهاتكم عليها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تطهر الأرجاس وتنتفقي الحواضر والبوادي من الأذنان وتسليم القلوب والجوارح من الوسواس الخناس، واستحفظوا الكافة ملواتهم فإنها الكتاب الموقوف على المؤمنين وخذوهم باعتبار المساجد فإنها الشاهد الأزكي بشهادة خاتم النبيين (٢) وسيد المرسلين، واطلبواهم بقراءة الحزب والتوحيد بالمساجد والأسواق فإنه الخير المأثور والشعار المعروف والرسم الذي عليه العمل والوعد الذي لا يجب فيه التغيير "(٣)" .

(١) مجموع رسائل موحدية ، من ١٣٢، ١٣٣، الرسالة الثالثة والمعروفة documents inédits d'histoire almohade p ١٤٠، appendice , no ١ texte arabe .

(٢) في الأصل النبويين .

(٣) البيان المغرب (قسم الموحدين) من ٢٦٧ .

ويذكر لسان الدين بن الخطيب في ترجمته لل الخليفة المأمون، ان اول ما قام به الخليفة بعد تمام بيعته، هو حفظ الناس على الصلاة وإيتاء الزكاة والمدقات وهنئ الناس من شرب المسكرات (١)، لكن صاحب الإحاطة اورد الرسالة مبتورة فلم يرد بها إلا الحديث عن شعائر الصلاة وما جاء فيها "... و اول ما يتناول به الامر النافذ الصلاة لاوقاتها، فقد قال عليه الصلاة والسلام : احب الاعمال إلى الملة لاوقاتها، وقال اول ما ينظر فيه من اعمال العبد الصلاة، وقال عمر: ان اهم اموركم عندى الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيغها فهو لما سواها اضيع، وقال : لاحظ في الإسلام لمن ترك الصلاة ، وهي الركن الاعظم من اركان الإيمان والسور اوثق لاعمال الإنسان والمواظبة على حضورها في المساجد وإيثارها لصلة الجماعة (٢) من المزيد على صلة الواحد، أمر لا يفيقه المفلحون، ولا يحافظ عليها إلا المؤمنون " (٣)، وبعدما استشهد لسان الدين بن الخطيب بمقطع من هذه الرسالة قال "وهي طويلة في معاني متعددة " (٤) .

ومن الامور المهمة، التي تناولتها رسائل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر احدث الخليفة عبد المؤمن بن علي الناس على خراج الزكاة، حيث يقول : "... وخذوا بإيتاء الزكاة وبالكشف عن مانعيها وتشخيص ممسكيها او التي ي sisir منها، فالزكاة حق المال والجهاد واجب على من منع منها قدر العقال، فمن ثبت منعه للزكاة فهو لاحق بمن ثبت تركه للصلة ، فمن منع فريضة واحدة كمن منع الفرائض كلها، ومن منع عقلا مما فوقه كمن منع الشرع كله " (٥) .

وختم أبو الغفل بن محشرة رسالته عن الخليفة المنصور، المؤرخة في عقب شهر رمضان عام ٩٥٨هـ، بقوله "... تامرون العمال

(١) الإحاطة ج ١، ص ٤١٢.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٢١، ٤٢٢.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٢٢.

(٤) مجموع رسائل موحدة، ص ١٢٣، الرسالة الشافية والمعشرون

هناكم بدفع جميع ما تحمل في هذا العام من زكاة الفطر للشيخ الفقيه القاضي أبو المكارم (١) - أكرمه الله بتقواه - يوزعه على الضعفاء والمساكين " (٢) .

وتجلى لنا أن قضية مرب الناس بالسياط وقتلهم ، تفشت في عهد الموحدين ، وهذا ما يتضح من خلال الفساد السائد في بعض الولايات البعيدة عن مقر الخليفة بمراكش فما يطبع الولاية والقضاء ، وقاده الجيش يصدرون أحكاما من تلقاء أنفسهم ، بدون استشارة أو استئناف إلى رأي المذنبين أو الشهود .

فقد سبق للخليفة عبد المؤمن بن علي ، أن بعث ثلاث رسائل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حد فيها من سلطة ولاته - وهم أبناءه في أغلب الأحيان - وأصدر حكما نهائيا يتعلق بعدم صدور أي حكم نهائي - يتعلق بقتل المتهم - إلا بعد تتبع أقواله وتحصيها وسماع أقوال الشهود ولا يصدر حكما نهائيا إلا بعد الاتفاق والإجماع ومشاورة الخليفة (٣) .

ويعلل ابن مساحب الصلاة على رسالة الخليفة الثاني يوسف بن عبد المؤمن بن علي الموجهة إلى أخيه السيد أبي سعيد والي قرطبة بقوله : (٤) ، قام أبو يعقوب رضي الله عنه بأمر الكريم في هذه الرسالة العلية بالأمر والعدل الذي بدأ أبوه أول الخليفة الرضي أمير المؤمنين رضي الله عنه في رسالته المشهورة بالعدل والنهي عن المنكر ، المؤرخة في السادس عشر من ربیع الأول سنة ثلاثة وأربعين وخمسين منة " .

(١) هو أبو المكارم هبة الله بن الحسين المصري هرب إلى الاندلس خوفاً من صلاح الدين الايوبي وولي قيادة مدينة فاس ثم شبيلية عام ٥٧٩ واست高中生 الخليفة يعقوب المنصور في هزوجته لفترة ، توفي عام ٥٨٦ ، انظر التكملة رقم ٢٠٢٤ ، جدورة الاقتباس من ٥٣٢ ، رقم ٦٦١ .

(٢) المصدر نفسه ، من ١٦٧ ، الرسالة الشامنة والعشرون .

(٣) نظم الجمان ، ص ١٥٤ ، ١٥٥ ، ٢٢٩ . مجموع رسائل موحدية ص ١٣٤ ، الرسالة الشامنة والعشرون ، المصدر نفسه ص ٩٥ . الرسالة الشامنة .

(٤) المتن بالامامة ، ص ٢٢٩ ، ويقدم هنا رسالة نظم الجمان الجامدة لتنوع الاوامر من ص ١٥٠ - ١٦٧ .

وأتفتح لنا من خلال رسائل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر التي مصدرت بعد وفاة الخليفة عبد المؤمن ان الخلفاء من بعده عملوا بها، وساروا على منوالها، فقد سن الخليفة عبد المؤمن بن علي سنة حميدة، نال برسالته اجرها وأجر من عمل بها.

اما رسالة ابنه الخليفة يوسف، فقد ورد فيها عن احكام القتل ما يلي" (١) ... ولما كان الامر كذلك تعين ووجب وثبت وترتب ان نخاطب جميع عمال بلاد الموحدين اعزهم الله شرقاً وغرباً وبعدنا وقربنا، خطاباً يتساوي فيه جميعهم، ويتواءز في العمل فيه كافتهم ، بلا يحكموا في الدماء حكماً من تلقائهم ولا يهريقوها بباد او برادي من آرائهم ، ولا يقدموا على سفكها بما يظهر إليهم ، ويقرر فيما يرون لهديهم ، إلا بعد ان ترفع إليها النازلة على وجهها وتودي على كنهما وتشرح حسب ما وقعت عليه وتنهي بالتوثيق والبيان على ما انتهت إليه وتقيد بالشهود العدول ، المعروفيين في مواضعهم وتكتب اقوال المظلومين وحجتهم وإقرارهم واعتراضهم وحجج الطالبين في مقالاتهم واستظهارهم في بيئاتهم ، معطي كل جانب حقه موفي كل قاتل قوله " ثم عاد مرة أخرى فعم القول على جميع من بلاد الموحدين بالعدوتين ، حتى لا يتورهم بعذر ان الكتاب خص به منطقة قرطبة دون غيرها .

وبين رسائل الاعتداءات والشكایات وجدنا رسالة وصلت الى الخليفة يوسف يقول صاحبها "... إن أخي عدا عليه شريكه فشذخ في حال نومه بآرzie رأسه أذهب حياته ... ثم رجع الآن وتواعدني بالإهلاك: والقتل، وقال : سأفعل به ما فعلت باخيه من قبل " (٢)

واعتقد ان الرسالة التي وجهها الخليفة يوسف إلى والي قرطبة ، وجميع بلاد الموحدين هي رد على الشكايات المتتابعة الواردة في مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل والتي تضمنت قافية

(١) المعن بالامامة ، ص ٢٢٧ .

(٢) مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل ورقة ١٣٦ .

القتل والغраб بالسياط، فرد الخليفة بقوله : "... واعلموا - وفقكم الله وأسعدكم - أن هذا الحكم عام فيسائر النوازل التي اطلقت السنة فيها القتل وستته، وحكمت به وشرعته، كمن قتل نفساً واقر بالقتل، أو شهد العدول عليه به، ومن بدل دينه وارتد عنه، ومن اتى الغاية بعد الاحسان باعتراف او دليل او شهادة مقبولة، وما خير الايمة فيه من قتل المحاربين وال ساعين في الأرض بالفساد والمتأولين أمر الله بالاستهزاء والعناد، سواء سن ذلك كلها، أو وقع فيه ضرب بشكله، فمجراه واحد" (١) .

وجاء في رسالة الخليفة عبد المؤمن بن علي الجامدة لانواع الاوامر اثناء حدثه عن عمال المخزن الذين يتسببون في إبداء الناص، خاصة المفتربين منهم، قوله: "... يمدون أيديهم إلى ضرب الناس بالسياط" (٢) .

والملاحظ انه بين عهد الخليفة التاسع، المأمون ابن الخليفة يعقوب المنصور وال الخليفة الثاني عشر، عمر المرتضى بن اسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، إشارات كثيرة، تدل على فساد السلطة، وتفشي الفساد في الدولة، فقبل ان يتم تعيين قاض، او وال او قائد عسكري، او عامل يوميه الخليفة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، او يامر الرعية بذلك قبل ان يحمل الموظف الجديد، واثنا، تقديم قائد عسكري، او مأمور الخليفة المأمون "... بتقوى الله تعالى، فهي العدة المسجية، والسيرورة المشكورة في الاندية، وامرتناه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحو آثار المفسدين والفساد" (٣) .

واثنا، تقديم قاض على الاندلس امر الخليفة المأمون الرعية في كتابه المؤرخ في صفر عام ٩٦٦هـ بقوله "... فإذا وافقكم بحول

(١) المحمد السابق، ص ٢٢٨.

(٢) نظم الجمان، ص ١٥٦.

(٣) مخطوط الخزانة الحسنية، رقم ٤٧٥٢، ورقة ٤٨.

الله تعالى فاعينوه على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر "(١)" .

وعندما تولى ابنه الرشيد الخلافة من بعده نجده يتحدث إلى الرعية اثناء تنصيبه احد القضاة على شريش في يوميهم في كتابه المؤرخ في غرة ذي القعدة عام ٦٣٠ هـ، بقوله "... فإذا وافاكم قاضيكم المذكور فتعاونوا معه على البر والتقوى كل التعاون وتوافقوا من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر "(٢)" .

وأوصى قاض آخر بقوله "... وقد وصيئاه بتقوى الله تعالى، والسير على جادة الشرع المثلث والاقتداء بآثار الكتاب والسنة والانتهاء في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ..." (٣)" .

وفي عهد أخيه الخليفة السعيد ابن الخليفة المأمون، وجدناه يوصي الرعية اثناء تقديم قاض بقوله "... فإذا وافاكم بمشيطة الله فكونوا معه في الحق إخوانا وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اعواانا "(٤)" .

رسائل الاعتداءات والشكایات

لم يكن الخليفة الموحدی يحجب عن الرعية ، فكثيرا ما وجدناه يجلس لسماع قصة شخص امتدى عليه او شكایة رفعت إليه .

وقد تميزت كتب الاعتداءات والشكایات عن غيرها من الرسائل الديوانية الاخرى باسلوب التهديد والعنف الشديد من جهة واسلوب الترغيب والملاطفة من جهة ثانية ، فهي بذلك تعكس صورة المجتمع الموحدی من الداخل ، والخارج .

(١) المصدر نفسه ، ورقة ، ٦٧.

(٢) المصدر نفسه ، ورقة ، ٧٥.

(٣) المصدر نفسه ، ورقة ، ٧٩.

(٤) المصدر نفسه ، ورقة ، ٨٣.

ويذكر المقرري على لسان تاج الدين أبي محمد عبدالله بن عمر أبي حمودة السرخي اثناء رحلته إلى المغرب عام ٥٩٢. أن الأمير أبا التربيع سليمان الموحدي بعث رسالة إلى ملك غانة يحمله مسؤولية احتباس التجار المغاربة والعربيين التي يتعرفون لها في الأراضي الغانية، في حين يتمتع التجار الغانيون بكل حرية في الأراضي المغاربية وجاءت رسالته مختصرة حيث استهلها بقوله : "نحن نتجاوز بالاحسان وإن تخالفنا في الأديان ونتفق على المسيرة المرفية ، ونختلف على الرفق بالرعية ومعلوم أن العدل من لوازم الملوك في حكم السياسة الفاضلة ، والجور لا تعافيه إلا التغافل الشيرفة الجاهلة " (١) .

ثم انتقل إلى الموضوع الأساسي وهو الاعتداء الذي حصل على تجار الموحدين، حيث يقول : "... وقد بلغنا احتباس مساكين التجار و منهم من التصرف فيما هم بمدده " (٢) .

ونلمس بعدها روح التسامح التي يتتصف بها المسلمون، وحكمة والتي سجلت ماسة في تعامله مع غير المسلمين، فعلى الرغم من حبس التجار الموحدين والاعتداء عليهم نجد تاجر غانة وغيرهم من المقيمين بالأراضي المغاربية يعاملون (بفتح الميم) معاملة حسنة وقد صرخ بها في قوله "... ولو شئنا لاحتبسنا من في جهاتنا من أهل تلك الناحية لكننا لا نستصوب فعله ولا ينبغي لنا أن ننهى عن خلف وناتي بمثله والسلام " (٣) .

وعلى الرغم العلاقات الطيبة التي كانت تربط الموحدين بجمهوريّة بيشة فقد حمل اثناء حكم الخليفة الناصر اعتداء على ثلاث سفن لتجار المغرب، وذلك من طرف سفينتين شراعيتين للبحارة البشيين فالسفينة الأولى تحمل اسم الأرجليوس والثانية الكروناطة وكانت مدمعتين بسفينتين حربيتين من بيشة وتم الاعتداء على السفن المغاربية .

(١) التفع . ٢٤ ص ١٠٤ .

(٢) المصدر نفسه . ٢٤ ص ١٠٤ .

(٣) المصدر نفسه . ٢٤ ص ١٠٤ .

وعلى أثرها قام ناظر ديوان تونس بتقديم شكوى إلى جمهورية بيشهة تتصل بحادثة الاعتداء حيث يقول "... وصل إلى مرسى تونس ... مسطحات للبيشانيين ومعها زوج قطایع فوجدوا بالمرسى ثلاثة مراكب للمسلمين فأخذوا ثلاثة مراكب المذكورة وقتلوا جماعة من المسلمين، سوى من رمى نفسه إلى البحر فمات غريقاً، وجروح منهم مالا يحصى، وانتهكوا حرمتهم وفضحوا حريمهم "(١).

وفي الشهر نفسه ذي القعدة ٥٨٦ هـ بعث الأمير أبو زيد عبد الرحمن ابن الخليفة عبد المؤمن رسالة إلى الأسفوك، وحكام بيشهة قنطرة واشياخهم وأعيانهم رسالة تتصل بحادثة الاعتداء على المراكب الموحدية وجاء فيها "... كتبنا إليكم من تونس كلها الله ... ، وقد علمتم مالم تزل الحفرة العلمية الإمامية أدام الله نصرها تامر به من حفظ النماري المعاهدين واجرائهم على العدل حيث حلوا من بلاد الموحدين، لا تنالهم مفرة في متصرفاتهم ولا يعتدي على أحد منهم في تجاراتهم وقد وصلنا إلى تونس كلها الله، فوجدنا مسطحات من إخوانكم أخذوا مراكب المسلمين، وقتلوا جماعة منهم، واستأصلوا أموالهم، وفعلوا ما لا يرفعناه إلى الحفرة العلمية الإمامية، أدام الله تأييدها لخيف على إخوانكم الذين ببلاد الموحدين كلها، لكن رأينا أن نصرف عقوبتهم في هذه المرة إليكم لتفعلوا فيهم ما يفعله أشياخ جنوة في من تتعدي على المسلمين وليصل إلينا كتابكم بما فعلتم في عقوبتهم التي استوجبوها وجريرتهم التي جنوها وفعلتم القبيحة التي اتواها ..." (٢).

لكن بعد مرور عام كامل على مدور هذا الكتاب لم يصل أي رد عليه، ويبدو أن جمهورية بيشهة رفعت تعويض الخسائر التي تعرض لها التجار الموحدون .

بعد معركة العقاب بقيت مجموعة كبيرة من الجندي بالعدو الاندلسي تنتظر السماح لها بالعودة إلى المغرب، فعادت في الاندلس

(١) التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج ٦ ص ١٨٨.

(٢) المرجع نفسه، ج ٦ ص ١٩٠، ١٩٣.

فساداً، وتعودت على حقوق الناس، فتقدم الناس بشكوى إلى والي إشبيلية، إبراهيم ابن الخليفة يوسف، فيبعث بدوره رسالة إلى الوزير ابن جامع يخبره بعيث الظالمين وجورهم وظلمهم وتعديهم على أهل تلك البلاد، حيث يقول "... ويظهر من القوم أadam الله عزتكم - ما قد أعلنتوا به وصرحوا من أنهم إنما يقصدون المبالغة في الفخر ليس مع خبرهم، فيجازوا البحر ويسرحوا فهم يتبحرون في عدوائهم بفأمة وسعهم وجد إمكانهم، وقد ضحت الرعية ضجيجاً، وعجت بالشكوى عجيجاً، ... ورفعـت أصواتها بالاستغاثة والاسترخـام، ونادـت حضرة العـدـل التي هي نـصـرة المـظلـومـين وملـجاً المـقـهـورـين المـلـهـوـفـين من الـاتـامـ، وانزعـجـتـ لـمـاـ نـالـهـاـ مـنـ الفـرـرـ الشـدـيدـ المـبـرـحـ، الـخـارـجـ عنـ الـحدـ المـرـبـيـ عـلـىـ الشـرـعـ، وـالـفـتـكـ الـذـيـ اـقـتـضـىـ لـهـ فـيـ الذـرـعـ وـالـقـهـرـ الـذـيـ تـخـافـ اـنـ يـحـولـ بـيـنـهـ وـبـيـنـهـ فـمـ الزـرـعـ، وـلـقـدـ اـقـسـمـ اـهـلـ فـلـانـةـ اـنـهـ لـوـلاـ تـقـيـدـهـ بـالـحـبـوبـ الـتـيـ لـهـ فـيـهـ، وـتـعـلـقـ نـفـوسـهـ بـمـاـ يـرـجـونـهـ مـنـ تـحـمـيلـهـ لـمـاـ بـقـواـ فـيـهـ سـاعـةـ وـلـخـرـجـواـ بـالـأـهـلـ وـالـوـلـدـ مـنـهـ فـارـينـ عـنـهـ لـمـاـ لـحـقـهـ مـنـ الـفـرـرـ الـذـيـ لـاـ مـبـرـ لـهـ عـلـيـهـ وـلـاـ بـقـاءـ لـهـ مـعـهـ، حيث تـقـتـحـمـ عـلـيـهـ الـدـيـارـ، وـتـسـتـغـلـ بـنـاتـهـ الـأـبـكـارـ، وـتـسـلـبـ اـمـوـالـهـ بـالـقـهـرـ وـالـاقـتـسـارـ وـيـقـتـلـونـ عـلـيـهـ سـراـ، وـعـلـانـيـةـ بـالـلـيـلـ وـالـنـهـارـ" (١) . واستمرت الرسالة في وصف حالة الخوف والذعر التي يـتـمـهاـ الجنـدـ فـيـ نـفـوسـ النـاسـ، فـرـفـعواـ صـوـتهمـ وـشـكـواـهـمـ إـلـىـ الـمـقـامـ الـعـالـيـ منتـظـريـنـ الـعـدـلـ وـالـإـنـصـافـ مـنـ حـضـرـتـهـ الـكـرـيمـةـ .

ويبدو من خلال رسالة أبي القاسم البلوي عن السيد إبراهيم ابن الخليفة يوسف والي إشبيلية المؤرخة في ٢٠ من شهر محرم عام ٦١٢ هـ، أن الجنـدـ تـمـادـوـاـ فـيـ ظـلـمـهـمـ وـقـدـ "... عـاـشـواـ فـيـ هـذـهـ الجـهـاتـ بـوـجـوهـ مـنـ الـعـبـثـ كـشـيرـةـ، وـبـالـغـواـ فـيـ نـكـاـيـةـ اـهـلـهـ مـبـالـغـةـ مـبـيـدةـ مـبـيـرـةـ، وـاـنـ النـاسـ مـعـهـمـ مـنـ الـاـفـطـهـادـ، وـظـهـورـ الـاـخـتـلـالـ فـيـ اـحـوـالـهـمـ" (٢) .

(١) مخطوط المطـاءـ الجـزـيلـ فـيـ عـهـفـ مـطـاءـ التـرسـيلـ، وـرـفـةـ ١٦٨ـ .

(٢) مخطوط المطـاءـ الجـزـيلـ فـيـ عـهـفـ مـطـاءـ التـرسـيلـ، وـرـفـةـ ١٦٩ـ .

ثم انتقل بعد ذلك ليصف الدرجة التي وصل إليها ظلم هؤلاء الجندي، حتى عجز اللسان عن وصف أعمالهم وظلمهم، فيقول "... وعظم فسادهم عن ان يحيط به التفسير في جواب، كيف وغادروا الرعية بين محرق بالثار، ومقتل بالرمح والسيف، قد تفاقم أمرهم كل التفاقم وتعاظم أمرهم كل التعااظم، وتلاطم بحرهم اعظم التلاطم، فما يبقون ولا يذرون، يعيشون الليل والنهر" (١) .

ثم ذكر الحالة التي آتى إليها هؤلاء المظلومون "... وقد ضجت الرعية ضجيج السقيم الناحل واجهشت للحضررة الامامية العادلة اجهاش يوسف عليه السلام لقبر راحل، وأشارت إليها - ايده الله - بآيدي الاستفادة إشارة الفرق بين موج البحر إلى أهل الساحل ينادون غوثاً غوثاً وعطفاً عطفاً، ويسترحمون إمامهم ومولاهם - بسط الله أنواره - حناناً حناناً ولطفاً لطفاً" (٢) .

ومن خلال رسالة أخرى عن والي اشبيلية السيد إبراهيم بن الخليفة يوسف ينقل إلينا من خلالها أحوال الرعية التي ازدادت سوءاً بعد سوء، فجند المغرب المنهزمون لم يطلب منهم العودة بعد إلى ديارهم، فقد "... تهاونوا بسفك الدماء واستغلال النساء وانتهاب الأموال، وفساد الأحوال جامعين في ذلك ملء العنان منتهين فيه إلى أقصى وجوه العدوان، وقد أخافوا القرى إخافة، اضطرت أهلها إلى الجلاء، والفرار من البلاد وبخاصة قرية فلانة التي على الوادي) فإن أهلها قد فروا عنها وهربوا منها، وتركوها خاوية على عروشها لا يجرا أحد على دخولها" (٣) .

ولم يتوقف اعتداء هؤلاء الجندي على منطقة واحدة بل تعدت مناطق أخرى مجاورة لها ويصف الكاتب أعمال الخراب التي قام بها الظالمون بعمومياتها وخصوصياتها فقد "... خاف الناس على أموالهم

(١) مخطوط العطاء، الجزيل في كشف نظام الترسيل، ورقة ١٦٩.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ١٦٩.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ١٧٠.

ونسائهم وامتنعوا عن فتح حوازيتهم حتى انسوا وسكنوا، ووعدوا بقرب النظر الامامي لهم، وكذلك يفعلون في هذه الايام بارافس اشبيلية يقتسمون ديارها ويقتلون الرجال والنساء فيما ويسلبون اموالهم، وفي الجمعة الفارطة قتلوا شيخا كان خطيبا بفلانة وسلبوه ثيابه عند انصرافه من ملة الجمعة إلى المدينة، وقد كثر مثل هذه الافعال منهم في هذا الوقت كثرة ملات قلوب الرعية خوفا وجزعا" . (١).

ومن كتب الاعتداءات والشكایات رسالة رفعت إلى ديوان الخليفة يوسف يصف صاحبها اعتداءً وقع على أخيه، حيث يقول "... إن أخي عدا عليه شريكه فشذخ في حال نومه بأزرية رأسه أذهبت حياته فتصاير الناس عند ذلك واتوا من هنا وهناك، فوجدوا أخي وعاينوه مفرجا في دمه مصرعا بيديه وفمه، وفر القاتل عند ذلك بين سمع الأرض وبصرها لا يعرف له مكان في بدوها ولا حفراها، ثم رجع الآن وتواحدني بالإهلاك والقتل، وقال سافعل به ما فعلت بأخيه من قبل" . (٢).

رسائل التوقيعات :

تعتبر رسائل التوقيعات جواباً سريعاً لرسالة وملت إلى الديوان، فهي رد على شكوى وملت، أو اعتداء، حصل، أو غيرهما من الأمور التي تمنع الحاكم بمقدمة خاصة والرعية بمقدمة عامة، ونظراً لعدم اتساع وقت الحاكم يُرد الجواب مختصرًا باسفل الكتاب نفسه، أو خلفه.

"وهو مما عدلوا فيه عن التطويل والتكرار إلى الإيجاز والاختصار" . (٣)، وتختلف رسائل التوقيعات عن الرسائل الديوانية الأخرى، كونها تصدر عن لسان الخليفة أو الوالي أو القاضي، بينما الكامل، فتملي على الكاتب، أما المادة التي يستقى منها الجواب فهي مقتبسة من القرآن الكريم، والحديث الشريف، وتتضمن عادة الشعر والأمثال .

(١) المصدر نفسه، ورقة ١٧٠ .

(٢) مخطوط العطاء، الجزيل في كهف هطاء الترسيل، ورقة ١٣٦ .

(٣) أحكام منعة الكلام، ص ١٦٠ .

فخلال عام ٥٥٢ هـ حملت نكبة الوزير الكاتب أبي جعفر ابن عطية، فبعث، وهو في السجن قصيدة يستعطف من خلالها الخليفة عبد المؤمن بن علي قائلاً :

بِرَدٍ (١) قُلُوبُهُمَا الْخَفَّةُ
بَسَانَ الْعَزَّاءِ يَقْرَطُ الْقَمَ (٢) وَالْحَزَنِ
وَرَحْمَةً (٤) مِنْكُمْ أَتَجَى مِنَ السُّفْنِ
وَغَطْفَةً مِنْكُمْ أَوْفَى مِنَ الْمِحَنِ (٥)
بِمَنْ أَجَارَتْهُ رُحْمًا كُمْ مِنَ الْيَمِنِ
يَنْصُرُهُ لَمْ يَخْفَ بَطْشًا مِنَ الزَّمَنِ (٦)
وَالْطَّرْفُ يُنْهَضُ بَعْدَ الرَّكْفِ فِي سَنَنِ
مِنْ دُونِ مَنْ يَعْلَمُ (٧) كَلَّا وَلَا شَمَنِ

فَعَفُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَنْ لَنَا
عَطْفًا عَلَيْهِ (٢) أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ
قَدْ أَغْرَقْتَنَا ذُنُوبُ كُلُّهَا نُجَاجُ
وَصَادَفْتَنَا سَقَامُ الْبَنِينَ كَعْنَ غَرَضِ
هَيَاهَاتِ يُلْخَطِبُ أَنْ تَسْطُو حَوَادِثُهُ
مَنْ جَاءَ عِنْدَكُمْ يَسْعَى عَلَى ثِقَةٍ
فَالْتُّوبُ يَطْهِرُ بَعْدَ الْغَسْلِ مِنْ دَرَنِ
أَنْتُمْ بَذَلْتُمْ حَيَاةَ الْخَلِيقِ كُلِّهِمْ

وَنَحْنُ مِنْ بَعْدِ مَنْ أَخْيَتْ مَكَارِمُكُمْ (٨)
وَمِبْيَةٌ كَفِيرَاعِ الْسُّورَقِ مِنْ صَفَرٍ
لَمْ يَأْلِفُوا النَّوْعَ فِي فَرْعَ وَلَا فَنِ
قَدْ أَوْجَدْتُهُمْ أَيَادِي مِنْكَ سَالِفَةً (٩)
وَالْكُلُّ لَوْلَكَ لَمْ يُوْجَدُو لَمْ يَكُنِ " .
ولما انتهى الخليفة من قراءة القصيدة وقع عليها بقوله
تعالى " (الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمَفْسِدِينَ) " (١٠) (١١) .

(١) في الاحاطة، بحمل .

(٢) في الاحاطة والنفح، البث .

(٣) في الاحاطة والنفح، مطفة .

(٤) في الاحاطة ،

"وصادفتنا سعام كلها فرض لها ورحمتكم اوفي من الجن" .

وفي النفح :

"وصادفتنا سهام كلها فرض ورحمة منكم اوفي من الجن" .

(٥) في الاحاطة ، من وسن .

(٦) في الاحاطة والنفح ،

أنتم بذلتكم حياة الخلق كلهم من دون من مليعم لا ولا من

(٧) في الاحاطة ، شبك . (٨) في الاحاطة والنفح، سابقة .

(٩) سورة يومن، الآية ٩١ .

(١٠) الآياتين المطروب، ص ١٩٦، الاحاطة، ١٢ من ٢٦٨، النفح، ٧٧، ص ١٨٥ .

وطلب الخليفة المنصور من قاض ان يختار له شيخين ليعلما ولدا عنده ويضيطا أمره، فلم يقدر القاضي في ذلك، وأرسل إليه يطلبـهـ، وكتبـلهـ رسالة جاء فيها ان الشيخ الأول بر في دينهـ، أي انه ثابت ثبوـتـ البرـ، وـقـالـ فيـ الشـيـخـ الثـانـيـ، انهـ بـحـرـ فيـ عـلـمـهـ، فـلـمـ حـضـراـ بينـ يـدـيـ الخليـفـةـ اختـبـرـهـماـ، فـخـابـ ظـنـهـ فيماـ اـدـعـاهـ القـاضـيـ فـوـقـعـ علىـ الرـسـالـةـ الـتـيـ وـمـلـتـهـ : " اـعـودـ بـالـلـهـ مـنـ الشـيـطـانـ الرـجـيمـ (ظـهـرـ الـفـسـادـ فـيـ الـبـرـ وـالـبـحـرـ) " (١) (٢) .

ومن توقيعات الخليفة المنصور يذكر المقرى ان قوما من بلاد السودان وفدوا عليه واهدوه فيلاـ، فـاـكـرـمـهـ لـكـنـهـ رـفـنـ قـبـولـ الـهـدـيـةـ، وـرـدـ عـلـيـهـمـ قـائـلاـ . نـحـنـ لـاـ نـرـيدـ انـ نـكـونـ اـصـحـابـ الـفـيـلـ . (٣) (٤) .

وبعث الفونس الثامن ملك قشتالة وطلبيطة رسالة إلى الخليفة يعقوب المنصور يهددهـ ويـتوـعدـهـ (٥) .

فـلـمـ قـرـأـهـ الـخـلـيـفـةـ الـمـنـصـورـ مـزـقـهاـ وـكـتـبـ عـلـىـ قـطـعـةـ مـنـهـ " (اـرـجـعـ إـلـيـهـ فـلـنـاتـيـنـهـ بـجـنـوـدـ لـاـ قـبـلـ لـهـ بـهـ وـلـنـخـرـجـهـمـ مـنـهـ اـذـلـةـ وـهـمـ صـاغـرـوـنـ) (٦) الـجـوابـ مـاـ قـرـىـ لـاـ مـاـ تـسـمـعـ " وـاـسـتـشـهـدـ لـهـ بـبـيـتـ المـتـنـبـيـ :

وـلـاـ كـتـبـ إـلـاـ الـمـشـرـقـيـةـ وـالـقـنـاـ (٧) وـلـاـ رـسـلـ إـلـاـ الـخـمـيـعـوـ الـعـرـمـ (٨)

(١) سورة الروم الآية ٤١ . (ظـهـرـ الـفـسـادـ فـيـ الـبـرـ وـالـبـحـرـ بـمـاـ عـسـبـتـ آـيـدـيـ الـتـائـيـنـ يـتـدـيـقـهـمـ يـغـضـ آـتـيـ مـمـلـوـاـ لـعـكـفـ يـزـجـعـوـ)

(٢) رقم الحلـلـ صـ٥٨ـ٥٩ـ، تـارـيـخـ الدـولـيـنـ صـ١٥ـ المـؤـنـسـ صـ١٢٢ـ، الـحلـلـ الـسـنـدـسـيـةـ ١٠١ـ قـ٤ـ، صـ١٠٨ـ، النـفـحـ، جـ٤ـ صـ١٠٣ـ، الـاسـتـلـصـاصـ، جـ٢ـ، صـ٢١٠ـ.

(٣) اقتباسـ منـ سـوـرـةـ الـفـيـلـ (٤) النـفـحـ جـ٤ـ صـ١٠٢ـ .

(٥) الـأـنـبـيـاءـ الصـطـورـ، صـ٢٢٠ـ٢٢٠ـ، وـقـيـاتـ الـأـمـيـانـ، جـ٦ـ، صـ٧ـ، العـاـمـلـ فـيـ الـتـارـيـخـ جـ٥ـ، صـ٩ـ، ٢٣٢ـ، ٢٣٣ـ، نـهاـيـةـ الـأـرـبـ، صـ٤٣٨ـ .

(٦) سـوـرـةـ الـنـحلـ، الـآـيـةـ ٣٧ـ . (٧) فـيـ الـأـصـلـ مـنـهـ .

(٨) دـيـوانـ الـمـتـنـبـيـ، جـ٣ـ صـ٣٥٢ـ .

ويذكر ابن أبي زرع أن الخليفة المنصور لما فرغ من قراءة الرسالة أمر بقراءتها على جميع المسلمين بالعدوتين، ودفع بها إلى ابنه محمد الناصر، فوقع عليها بالاوية السابقة، وببيت المتنبي، ونستخلص من كلام ابن أبي زرع أن الكتاب أرسل إلى الخليفة المنصور أما التوقيع فهو لابنه محمد الناصر (١) .

اما الخليفة المأمون فقد اشتهر بتوقيعه على رقعة امرأة كانت إشتكت جنديا نزل دارها وآذتها، فلم يتردد الخليفة للنظر في القضية بل رد على الشكایة التي وملته بقوله : " يخرج هذا النازل ولا يعوض بشيء من المنازل " (٢) .

اما أبوالربيع سليمان المودي فقد اشتهر بتوقيعه لعامل له اثناء ولادته - الامير - على منطقة سجلماسة، ويذكر المقربي ان العامل كثرت شكاياته فانزعج الامير، ورد عليه بالتوقيع الآتي " : قد كثرت فيك الاقوال وإغصائي عنك رجا، ان تتيقظ فتملح الحال وفي مبادرتي إلى ظهور الافكار عليك نسبة إلى شر الاختيار وعدم الاختيار فاحذر فإنك على شفا جرف هار " (٣) (٤) .

(١) الانبياء المطروب، ص ٢٢١ .

(٢) الاحاطة، ج ١، ص ٤٤٤ .

(٣) التوقيع مقتبس من سورة آل عمران الآية ١٠٣، (وَاصْحِمُوهُ بِكُلِّ
اللَّهِ جَمِيعِهِ كُلَّهُ تَفَرَّقُوا وَأَذْعُرُوا، يَقْرَأُونَ اللَّهُ مَسْتَعِنُهُمْ أَمْدَدُهُمْ
فَتَكُونُ أَكْبَرُهُمْ فَتُؤْتِهِمْ كُلَّهُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَخْوَاتُهُمْ كَعْنَشُهُمْ
مِنْ أَنْتَارٍ فَتَكَدُّهُمْ مِنْهُمْ كَذِيلَكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَمَّدُهُمْ كَعَذَّعَهُمْ
تَعْتَدُهُمْ) .

(٤) النهي، ج ٤، ص ١٠٨ .

المعاهدات:

لم يكتف الموحدون بإبرام المعاهدات بينهم وبين القبائل المجاورة لهم، بل تعدوا ذلك إلى مناطق بعيدة عن جنوب المغرب الأقصى، وحتى عن مراكش، والمدن الجديدة التي أصبحت تسير تحت راية الموحدين، فعلاقتهم بالدول النصرانية لم تكن في أغلب الأحيان كما يظهر ذلك من خلال المعارك بالأندلس، بل اتسمت في فترات كثيرة بعلاقة ودية، وذلك لعدة سنوات، ولم تقطع إلا باعتداء مفاجئ، أو بانتهاك معاهدة سلم تمت بينهما، حدثت في غالب الأحيان من طرق الإسبان. خلال عام ٥٦٤هـ يذكر ابن صاحب الملاة وابن عذاري أن فرنسيادو الثاني ملك ليون طلب من الموحدين باشبيلية السماح له بالجواز إلى العدوة المغربية، وبعد أن تم له ذلك، عاهد الخليفة يوسف على الصلح، ويضيف ابن صاحب الملاة وابن عذاري أن الملك بقي وصيبه بحفلة مراكش مدة خمسة أشهر حتى كاد أن يعتنق الإسلام (١) . أما الممالك الإسبانية فلم تتحدد على كلمة واحدة، اللهم الا لكسر شوكة المسلمين .

فقبيل معركة العقاب بفترة وجيزة عقدت الممالك الإسبانية لهدنة مع المسلمين لتنمية مشاكلهم الداخلية، وهذا ما نلمسه من خلال كتاب الخليفة يوسف الذي بعث به عام ٥٦٨هـ من إشبيلية، إلى الطلبة والموحدين والشيوخ والأعيان والكافة بمراكش يخبرهم فيه بالصلح المبرم بينه وبين الممالك النصرانية حيث يقول "... تسابقت وتلاحقت وفود الروم لباس الله راهبين، وفي أحد حبل من الله ومن أهل دينه راغبين، قد بخعوا بالنصرانية وتدخوا بالذلة، وتأسوا بالصفار، وخلعوا حميّة الجahليّة (خلع العداء) ونزعوا من الرّزْعَم إلى الاستكناة والاستخداة وكان أولهم في ذلك ملك البرتغال ونصارى الغرب باذلين من انفسهم الطوع برد اسرى المسلمين وشروط

(١) المتن بالامامة، من ٢٨٤ - ٢٨٥، البيان المغرب (قسم الموحدين) من - ١٠٣

اعطوهَا مُسْلِمِينَ مُسْتَسْلِمِينَ، وَتَمْسَكَ ابْنُ السَّلَيْطِينِ الْمُسَمَّسَ فَرَانَدَ بعْدَ مَا كَانَتْ بَلْتَ بِهِ يَدَاهُ، وَرَأَى أَنَّهُ اسْتَصْرَفَ بِهِ رَدَاهُ ثُمَّ رَدَفَ فَرَاعَةَ مُلَكَ طَلِيْطَلَةَ وَمَاوَلَاهَا (١) .

وَنَسْتَخلُصُ مِنَ النَّصِّ أَنَّ الْمُعَاہَدَةَ تَمَّتْ بَيْنَ الْخَلِيفَةِ يَوْسُفَ مِنْ جَهَةِ وَمَمْلَكَةِ الْبَرْتَقَالِ، وَقَشْتَالَةِ مِنْ جَهَةِ شَانِيَةِ، أَمَّا مَمْلَكَةِ لِيُونِ وَمَلْكُهَا فَرَانِدَةِ الثَّانِي ابْنِ السَّلَيْطِينِ فَقَدْ جَدَّدَتْ خَلَلَ هَذِهِ الْفَتَرَةِ، وَكَانَتْ مَبْرَمَةً مِنْ قَبْلِ كَمَا سَبَقَ، لَكِنَّ هَذِهِ الْمُعَاہَدَةَ وَقَعَتْ فِي فَتَرَةٍ كَانَتْ فِيهَا الْمُمَالِكُ التَّنْصُرَانِيَّةُ بِالْأَنْدَلُسِ تَعَانِي مِنْ حَدَّةِ التَّفَكُّكِ، فَقَدْ جَاءَ عَلَى لِسَانِ الْخَلِيفَةِ يَوْسُفِ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ أَنَّ "... رُومُ الْجَزِيرَةِ عَلَى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ تَسَائِلِ فَرَقَةِ وَشَتَاتٍ، وَإِخْتِلَافِ فِي دَارَتِهِمْ أَنْبَاتَاتٍ، فَجَاؤُوا مُتَطَارِحِينَ مُتَضَالِّلِينَ مُفَصَّحِينَ بِأَنَّ إِلْاضْطَرَارَ رَجَاءُهُمْ، وَأَنَّ التَّامِيلَ فِي سُعَةِ فَضْلِ هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ بَعْثَ رَجَاءِهِمْ، وَذَاكِرِينَ أَنَّ لَهُمْ فِي الْخَدْمَةِ الْمُنَابِ الْحَمِيدَ وَالْغَنَاءَ الشَّدِيدَ، وَأَنَّهُمْ يَتَفَضَّلُونَ مَا بَيْنَ بَطْلَيْوَسِ إِلَى قَاصِيَّةِ شَفَورِ مَرْسِيَّةِ فِي بَلَادِ الْإِسْلَامِ وَيَخْتَدِمُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي ذَلِكَ بِأَجَهَدِ الْاسْتِخْدَامِ" (٢) وَبَعْدَ أَنْ اسْتَشَارَ الْخَلِيفَةَ شِيُوخَ الْمُوْهَدِينَ تَمَّ الصلَحُ مَعَ الْمُمَالِكُ التَّنْصُرَانِيَّةِ، وَاعْتَبَرَ هَذَا الصلَحُ فَتْحًا جَدِيدًا لِلْمُسْلِمِينَ "... وَنَظَرَ فِي أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الالْتِفَاتِ إِلَى الْمُمَالِحِ مَمَاسَتَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَلْحَهِ لِلْمُشْرِكِينَ عَلَى حِينِ انْكَرَهُ الْمُنْكَرُونَ وَأَكْثَرُ فِي ذَلِكَ الْمُكْثُرُونَ، فَسَمَاهُ اللَّهُ سَبَحَانَهُ فَتَحَاهُ مُبِينًا ، وَمَكَنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ تَمْكِينًا وَأَظْهَرَ دِينَهُ السَّدِيقِ ارْتِفَاهُ دِينًا، وَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَزَادَهُمْ هَدِيًّا وَيَقِينًا، وَكَفَى بِاللَّهِ هَادِيًّا، وَبِرَسُولِهِ عَلَى الْغَيْبِ أَمِينًا" (٣) .

وَخَلَالَ فَتَرَةِ الصلَحِ أَمْنَتِ الْطَّرُقُ التَّجَارِيَّةُ بَيْنَ الْعَدُوَيْنِ وَاعْيَدَ بَنَاءَ الْقَلَاعِ وَالْمَدَنِ الَّتِي خَرَبَتْ مِنْ جَرَاءِ الْمَعَارِكِ، وَعُمِّ الْأَمْنِ فِي مُعْظَمِ

(١) مخطوط المخطوطة الجزيل في كشف مخطوطة الترسيل (الزوائد) ورقة ١٠.

(٢) مخطوط المخطوطة الجزيل في كشف مخطوطة الترسيل (الزوائد) ورقة ١٠.

(٣) المصدر نفسه (الزوائد) ورقة ١١.

بينما استمر العدوان بين الموحدين ومملكة البرتغال بدون اي اتفاق . (١)

واستمرت المعاهدات الموحدية مع الممالك النصرانية ، الى نهاية دولة الموحدين ، وقد رأينا كيف سمح الخليفة المأمون للنصارى بناء كنيسة في مراكش خلال عام ٥٦٤هـ ارسل البابا ابنه سانش آش الرابع رسالة الى الخليفة المرتضى يطلب منه التنازل عن بعض الحصون المغربية التي تقيم فيها الجاليات المسيحية ، وذلك لقرار السلم ، والأمن للعائلات المسيحية التي تعيش داخل المجتمع الإسلامي)وفي حالة الرفض ستتمكن الجالية - التي تضاعف عددها خلال هذه الفترة - عن تقديم أي مساعدة ل الخليفة الموحدى وأخبره بان الجالية المسيحية ستقطع عن زيارة المدن المغربية الاخرى ، وأعاد الطلب مرة اخرى يوم ٢١ ذي الحجة عام ٦٤٨هـ . (٢)

وفي شهر ربيع الاول عام ٦٤٨هـ بعث الخليفة المرتضى رسالة الى البابا إينه سانش آش الرابع يوافقه على طلبه) وقد ورد في رسالته " ومتى سمح لكم اسعدكم الله تعالى بتقواه ان توجهوا لهؤلاء النصارى المستخدمين ببلاد الموحدين اعزهم الله من تروره برسم ما يصلحهم في دينهم ويجر لهم على معتاد قوانينهم فتخيروه من اهل العقل الراجح والسمت الحسن ، وممن نعم في النزاهة على واضح السنن ومن يتميز في الخدمة بالذهب المستجاد والقمد المستحسن وذلكم هو الذي تعين من قبلكم مستجمنا للمفات المذكورة ومتخلبا بالخلال المشكورة حسن في كل ما يستخدم الرب وتسنى له بذلك اجزل الخير وأوفره وانتم تفون بهذا المقصود في ما تعملون من اختياركم متى ظهر لكم التوجيه بهذا الرسم : (٣) .

(١) مجموع رسائل موحديّة ، من ٢١٨-٢٢٨ الرسالة الرابعة والثلاثون .

(٢) التاريخ الدبلوماسي للمغرب ، ج ٦ ص ١٦٧ .

(٣) une lettre de lalmohade murtada au pape innocent ٤ p ٣٢٠٣٣ .

أنباء الجزيرة باستثناء المملكة النصرانية الرابعة بالعدوة الاندلسية ، أرغونون بمنطقة بلنسية التي بقيت على عدائها القديم مع المسلمين ، وفي هذا يقول الخليفة يوسف انه تم عقد الصلح مع مملكة البرتغال وقشتالة وجدد مع مملكة ليون "... وعقد لكل جهة منهم العهد إلى مدد مختلفة قدر ما ينجز فيها ما يليه من التغور ، ويتسق فيه تفاصيل الأمور ، فاستمرت بحمد الله من ذلكم العواید والمن ..." ولم يبق من روم الجزيرة إلا شرذمة ببارثا بلنسية الخطب فيها بحول الله يسير والله عليها ظهير والفتح فيها قريب والرأي في قطع دابرها واجتياح غابرها مصيب " (١) .

لكن هذه المعاهدة لم تستمر مدة طويلة، فسرعان ما نقضت بعد زوال
الخلافات بين الممالك النصرانية.

فقد تم عقد الهدنة بين مملكة قشتالة ومملكة ارجنون عام ٥٧٤هـ (٢) وخلال عام ٥٧٥هـ تم عقد الملح بين ملك قشتالة وملك ليون واتفقا على رسم حدود الممالكتين وتعاهدا على عدم ابرام اي اتفاقية مع المسلمين (٣).

لكن الواضح من خلال كتاب الخليفة يعقوب المنصور المؤرخ في السادس والعشرين من جمادى الثانية عام ٥٨٦هـ المرسل من إشبيلية إلى الطلبة والموحدين والأئميان والاشياخ والكافة بسبعينه أن الخليفة جاز البحر إلى العدوة الاندلسية صحبة عدد كبير من جند الموحدين والعرب فكان لهذا العدد الهائل، أن بعث الله عزوجل الرعب في نفوس الممالك النصرانية، فطلب ملك قشتالة عقد الهدنة مع الموحدين، فوافق الخليفة، لي Mata رأي فيه من مصلحة للمسلمين وتشتت كلمة الممالك النصرانية، وجدد ملك ليون الهدنة مع الموحدين،

(١) المصدر نفسه، (الزواش) ورقة ١١.

(٢) مصر المرابطين والموحديين، ج ٢، من ٥٨٦، تاريخ الاندلس في مهد المرابطين والموحديين، ص ٢٩١.

(٢) المحمدري السابق، ج ٢، من ٥٩٤، المحمدري السابق، ص ٢٩٥ .

ومن الكتب التي رفضت أي معاهدة سلم أو خيانة لل الخليفة تلك الرسالة الجوابية التي بعث بها عبد الرحمن والي مرسية إلى الفونس الثامن ملك قشتالة وطليطلة المعروف بالتبيل، فبعد موت الخليفة يوسف اتمل والي مرسية القديم أبو حفص عمر الرشيد أخو الخليفة يعقوب المنصور بملك قشتالة سوريا وعقد معه معاهدة ضد الخليفة المنصور لكن سرعان ما انكشفت الخطة (وأمر الخليفة بقتل أبي حفص (١) وعيّن بدلاً منه أخيه عبد الرحمن والي جديداً على مرسية) لكن الملك الفونس لم ييأس من فشل التجربة الأولى فحاول مرة أخرى إغراء الوالي الجديد بابرام اتفاقية سرية ضد الخليفة نفسه، لكن السيد عبد الرحمن رد عليه برسالة جوابية من إنشاء أبي بحر صفوان ابن إدريين المؤرخة في منتصف ذي القعدة عام ٤٥٨هـ واستهل الرسالة بقوله " من عبد الرحمن بن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين - أいでه الله - إلى الفونس ابن شنجة ملك قشتالة وطليطلة وفقه الله وهداه وأراه وجه رشهه .

اَنْظُرْ بِعَقْلِكَ اِنَّ الْعَيْنَ كَادِبَةٌ
وَاَسْعُجْ بِحِسْبِكَ اِنَّ السَّمْعَ خَوَانٌ
وَلَا تَقْلِ كُلَّ ذِي عَيْنٍ لَهُ نَظَرٌ
إِنَّ الرُّعَاةَ تَرَى مَا لَا تَرَى الْفَانٌ

كتبه من مرسية - حرستها الله - ونحن نحمد الله الذي حف الجنة بالمكانة والنار بالشهوات وامر بالتزام طاعة أولي الأمر فيما انزل من آياته البينات (وقرن طاعتهم بطاعة رسوله من جميع الحدود والجهات فقال الله تعالى (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ مُذْكُرُون) " (٢) (٣) .

(١) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ١٩٨-٢٠٠ - الانيس المطربي، ٢١٨.

(٢) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٣) مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل، ورقة ٣٣ .

وبعد الرضى عن الإمام المعصوم المهدى المعلوم والدعاء للخليفة، أسدى إليه مداداً من النصائح مستشهدًا في ذلك بالآيات القرآنية والآحاديث النبوية، والأمثال والحكم وقصص من التاريخ الإسلامي، حيث يقول "... إن الملك أرشده الله في نهاية الاحتياج إلى تطبيب يعلم من دماغه ما فسد وينفق من مواد عقله ما تزيف وكسر، حتى يميز بين العقد والحل، ولا تمدر عنه مخاطباته صحة الترحال والحل كتابه الذي صدر عنه (لينا) ورد به رسوله الفسل علينا، فمن مفمنه أنا انزلنا غير متزلنا في أن سووي في مجلس الأحكام بيننا وبين خصمنا واعتقد الملك - هداه الله - أن ذلك من تدليسنا في الناس ووسمنا، وذلك منكر من القول وخلاف ... فإن إمامنا ... قد رفع الله عن الميل رتبته ومقداره، وقرن بال توفيق التام والت Siddid العام بإراده، وإمداده، وجعله كما كان الفاروق لا يبالي على من دار الحق فاداره، وأن الله تعالى قد أمر بذلك عبادة المقربين فقال : (كُوْنُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شَهِدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوْ أَتْوَالَدَيْنِ وَالْأَقْرَبَيْنَ) (١). فالمساواة بيننا وبين خصمنا في الحق تنويه لنا وتشريف واستخدام في مساير في الله تعالى ... ومن مفمنات كتابك أنا إن مشينا إليك وخلعنا الطاعة عليك مكتننا من الرجال والبلاد وشاطرتنا بزعمك في الطارف والتلال وهيئات إنما رويت أن تذكري بما على المسلمين حر الجlad فامتنت كما طننت، وانعمت فيما زعمت ولكنك تحيلت في الذي خيلت، وتمكررت فيما ذكرت ولنفسك يا ابن البغي بغيت، واسررت الحسو حين رويدك لا تصرف علينا كيدك وعلى رسلك فلا حاجة لنا إلى اتراء رسلك وحشائرك، إن كنت ذا طب لعيونك ... وهذا قول يليق بكم عشر النصارى من جهة انحلالكم واستباحتكم لمحرف الحرام واستحلالكم، لأنكم عشر الأملأج الإجلاف مستمهمون لما نستصعب من التقاطع والاختلاف ونحن إذا بايعنا رجلا

(١) من سورة النساء الآية ١٣٥ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوْنُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شَهِدَاءَ لِلَّهِ وَلَا يَنْوِي مَلِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ أَتْوَالَدَيْنِ وَالْأَقْرَبَيْنَ إِنْ يَكُنْ فَرِيَّا أَوْ فَقِيرًا فَإِنَّمَا أَوْلَئِكَ بِعِمَكْ مَلَأَ تَشْتِيمُوا أَنْكُوَى ۖ إِنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَنْتَهُوا أَوْ شَعِرُوهُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا كَعْمَلُوكُمْ حَسِيرًا).

واحدا لا نزور عنه ولا تميل، ولا يطمح بنا إلى الخلاف عليه رجاء ولا تأميم ... (إِنَّا وَجَدْنَا أَبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ أَشَارِهِمْ مُفْتَدِونَ) (١) ... ومن بين تخلفك وفسالتك ما شهد به عليك تناقضك اثناء رسالتك، حيث وصفتنا اولا بالعدل والدين، ونعتنا بالسياسة للرعية والتهدين، ثم دعوتنا ان نخلع عن الطاعة يدا وما نرال اعتقاد ذلك علينا إلا نعمة ويدا " (٢) .

واستمر إلى آخر الرسالة على السياق نفسه، منتقلة بين النوح والدم والاستشهاد بالآيات القرآنية والأمثال العربية، وختتمها بقوله "... فاجعل هذا الكتاب حاجزاً بيننا وبينك، واطوعنا زورك ... فلولا أن الرسل لا تقتل لصلبنا رسولك " (٣) .

وفي رسالة السيد أبي زيد عبد الرحمن بن أبي عبد الله محمد ابن أبي عمر بن عبد المؤمن بن علي الكومي التدرومي، والتي بلنسية إلى الخليفة الخامن المستنصر عام ٦٢٠ هـ يخبره بطلب لجوء أحد زعماء مملكة أرغون اسمه أفلامكة أو طال إلى حضرة مراكش .

فبعد وفاة بدرô الثاني 2 pedro خلفه على العرش ابنه الوحيد دون خايمي Don jaime (٤)، وكان عمره لا يتجاوز ست سنوات، وأثناء فترة الوصاية على العرش كثرت الصراعات داخل مملكة أرغون، فكان من نتائجها ان أبعد الملك خايمي، الزعيم أفلامكة أو طال فلجا إلى بلنسية، حيث بقي مدة سنتين ينتظر السماح له باللجوء إلى حضرة مراكش ومما ورد في الرسالة قول والتي بلنسية "... تقرر لدى المقام الكريم - آدام الله علوه وكبت عدوه - بأمر فلامكة أو طال وماله في البلاد الأرغونية من رعاية في شؤوها برز ولغايتها أحرز، وكان قد كفل صاحب أرغون في الزمان المتقدم كفالة

(١) من سورة الزخرف الآية ٢٢ (بَلْ قَاتُلُوا إِنَّا وَجَدْنَا أَبَاءَنَا مَنَّا أُمَّةٌ وَإِنَّا مَلَكُّ أَشَارِهِمْ مُفْتَدِونَ) .

(٢) مخطوط المعظمه الجزيل في كعبه مطابخ الحرسيل، ورقة ٣٤.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ٣٥ .

(٤) مصر المرابطين والموحدين، ج ٢، من ٦٠٥ .

دار أمرها عليه والقى زمامها إليه وتفرد منها بعبه حمله، وحظ بلغ منها أمله ثم إنه خط من رتبته، وتأكد المبالغة في نكبته لقفية عرفت له مع أهل أرغون تلفظته تلك الجنسيات وازعجه أمر لم يمكنه عليه ثبات ورأي أن يلجن إلى المقام الباهر ...^(١).

ثم بين للمقام العلي، الخليفة المستنصر حقده، وغضبه لأهل أرغون، وأنه مستعد كل الاستعداد أن يخدمه في حالة نشوب أي خلاف بين الموحدين والآفونيين وان يقدم كل المساعدات المطلوبة، نظراً لما يملكه من نفوذ بين أهله من زعماء وفرسان أرغون.

ويرجح عبد الهادي التازي أن الزعيم الارغوني بقي ببلنسية، ولم يتم وفاته على الخليفة المستنصر بمراكش، وذلك، إما لأنه عدل عن فكرته بعد وفاة الخليفة أو لأن المستنصر الخليفة الموحدي رفض استقباله "تجنباً لافتقار مملكة أرغون وتمشياً مع سياسة عدم استقرار الملك المسيحية أو لأن هناك مواثيق كانت تربط المسلمين بالمسيحيين، وكانت تقضي بعدم استقبال أحد أعداء الطرف الآخر"^(٢).

اما العلاقات التجارية بالجمهوريات الايطالية، فامتازت في اغلب الأحيان بالسلم بين كل الأطراف، وبعد انهزام الاسطول البيشي من طرف الجنويين في مصب نهر الرون اضطر البحارة البيشيون إلى النزول بهرس جيجل نتيجة لرداءة الطقمن، فقبض عليهم، وتم اسرهم بسجن بجاية، وفي يوم ٤ رجب عام ٥٦١ هـ وفدى كوكوريغي cocoo criffo القنصل البيشي لدى القسطنطينية سابقاً إلى حضرة مراكش، فاستقبله الخليفة يوسف واطلق سراح البحارة المسجونين وأعاد إلى القنصل حق امتلاكه فندقهم التجاري بمنطقة المهدية، وعاد القنصل كوكوريغي إلى بيشة محملاً بالهدايا^(٣).

(١) صبح الاعمى، ج ٦، ص ٥٣٤ .

(٢) التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج ٦، ص ١٠١ .

(٣) المرجع نفسه، ج ٦، ص ١٧٤ .

تقول آناماScarillo، Anna mascarello : إننا إذا اعتبرنا البيشيين أول من حظى بهذه الإمكانيات والمعاهدات التجارية مع الموحدين خلال عام ٥٧١هـ، فإن الخليفة عبد المؤمن بن علي منح الحرية التجارية المطلقة للجنوبيين، وذلك عام ٥٥٧هـ (١) شرط أن يدفع هؤلاء حق الرسوم الجمركية التي تعادل ثمانية في المائة (٢)، من بضائعهم المحملة إلى الشواطئ الموحدية، وتضيف آنا Anna أنه في مدة تسع سنوات أي ما بين عام ٥٤٩هـ و٥٥٩هـ شهدت العلاقات الموحدية الجنوية تطوراً ملحوظاً، فقد أبرمت معاهدات بين ثلاثين شركة جنوية ومديننة بجاية وخمس عشرة شركة أخرى مع تونس وست وثلاثين شركة أيضاً مع طرابلس وخلال هذه المدة أرسّت ثلاثة وستين سفينة تجارية جنوية بالسواحل الإفريقية التابعة للأراضي الموحدية (٣).

وبعد وفاة الخليفة يوسف ارسلت جمهورية بيشه وفداً إلى الخليفة الجديد يعقوب المنصور، لتقديم التماعزى وتجديد المعاهدة المبرمة مع والده يوسف (٤)، وعلى إثرها حملت جمهورية بيشه على معاهدة سلم تستمر لمدة خمسة وعشرين عاماً، ويسمح لها بحق الممارسة التجارية على بعض الأراضي الموحدية، وفي أوائل شهر رمضان من عام ٥٨٢هـ وجدنا الخليفة يعقوب المنصور يبعث كتاباً إلى جمهورية بيشه يقول فيه : "... هذا ما أتفاه أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين أىده الله بنصره وأمده بمعونته من الصلح للقناصلة والأشياخ والأعيان والكافة من أهل بيشه، وجهاتها... وعقد لهم السلام إلى مدة من خمسة وعشرين عاماً من تاريخ هذا الكتاب على الأمة التامة

(١) يقول عبد العادي التمازي أن أول معاهدة تمت بين الموحدين والجنوبيين كانت عام ٤٤٨هـ التاريخ الدبلوماسي، ٦٦ ص ٦٦ . ٢٢٢

(٢) باستثناء مدينة بجاية التي تقع على الخط المستقيم من جنوة، وهي أقرب مسافة لذا فرحت على البضايع المحملة إليها مهرة في المائة من البضائع لكندية، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج ٦، ص ٦٦ . ٢٢٢

Anna mascarello, quelques aspects des activités italiennes (٣) dans le maghreb médiéval, revue d'histoire et de civilisation du maghreb, p 65,66 faculté de lettres d'Alger no 5 juillet 1968

(٤) المرجع نفسه، ج ٦، ص ٦٦ . ١٨٠

واذن لهم اعلى الله إذنه ووصل انعامه ومنه في الوسمول إلى بلاد الموحدين اعزهم الله للتجارة فيها والتجهز منها وقسرهم على اربعة بلاد من جملتها وهي سبتة ووهران وبجاية وتونس - حماها الله - ولم يبع لهم النزول بغيرها ولا الاحتلال بسواءها الا لضرورة من صعوبة البحر يلجمهم إلى الارساد بساحل من السواحل دون ان يبيعوا فيه شيئاً ويشتريوه او يكلموا احداً من اهله في ذلك او يخاطبوه حاشي المرية - حرستها الله - فإن لهم ان يتزودوا منها ويملحوها ما اختل من مراكبهم فيها لا غير " (١) .

رسائل الحفاد

ونقدم بها تلك الرسائل التي تحف الناس على الجهاد او الاستعداد له، ونستهل هذا الفرب من الرسائل بكتاب ابن تومرت، الموجه إلى جماعة الموحدين الذي يعتبر بحق من احسن الرسائل التي تناولت هذا الموضوع، وذلك من حيث إبراز فعل الجهاد، وثواب المجاهد، والمنزلة التي يحتلها الشهيد في سبيل الله، ولم يقتصر ابن تومرت في رسالته على الجهاد بالسلاح بل عم القول فشمل السلاح بالنفس والمال، حيث يقول "... فلما كان الحق لا ينصر، والدين لا يظهر إلا بانصار الحق والمجاهدين عليه، عظم الله امر المجاهدين، وبين فضلهم، وأخبر ان الجهاد بالأموال والانفس تجارة تنجي من عذاب اليم، فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هُنَّ أَدْلُكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيُكُمْ مِّنْ عَذَابِ الْيَمِّ - إِلَى قُولِهِ - كَذِكَّ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (٢)، فسماء تجارة لما فيه من الاجر الدائم، والثواب الباقي استعارة وتقريبا للافهام ليفهموا ما فيه، ويرغبوا فيما ذكر من درجات المجاهدين، وما اعد الله لهم، فسمى الجهاد تجارة لما فيه من البيع والشراء، لأن المجاهد ياع نفسه وماله من ربه، فاشترى منه

(١) المرجع نفسه، ج ٦، ص ١٨١، ١٨٢.

(٢) سورة المد (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّ كُمْ مَلَى تِجَارَةً حُتَّجِيْكُمْ مِنْ
مَدَابِ أَبِيْرِمْ (١٠) تَوْمَئُونَ بِاللَّهِ وَرَسُوْلِهِ وَتَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
بِأَقْوَافِ الْخَمْ وَأَنْفُسِكُمْ كَيْفُمْ حَيْثُ لَغُمْ إِنْ عَنْتَمْ كَفَلَمُونَ (١١) يَغْفِرُ كُمْ
ذَنْبُوْكُمْ وَيَذْجَلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَعْجِيْلًا الْأَنْهَارُ وَمَسَائِنَ طَبِيَّةٍ فِي
جَنَّاتٍ هَذِينَ كَيْكَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ (١٢).

ربه ماله ونفسه بالثمن الباقى الدائم الذى لا زوال له، وهو الجنة ونعيهمها، فاخبرنا بذلك ليرغب فيه الراغبون، ويسمى فيه العاملون لعلمهم وتصديقهم بالوفاء والوعد من الله، فلما آمنوا به وصدقوا وعلموه يقينا، وحققوا باعوا انفسهم من الله، إذ لا شيء أعز عندهم منها فلما علم صدقهم وإيمانهم اشتري منهم ما باعوا بالجنة التي فيها مala عين رات، ولا أذن سمعت، ولا يبلغه الواسفوون، ولا يحيط به العقل قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِيَانٍ لَّهُمُ الْجَنَّةُ - إِلَى قَوْلِهِ - ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (١) (٢).

والملاحظ، أن ابن تومرت اعتمد في رسالته هذه على الطابع الإيحائي في مخاطبة الشعور والحماس الدينى عند المسلمين، فدعم قوله بالآيات السابقة، مذكرة المسلمين بوعد الله عزوجل (يُغَفِّرُ لَكُمْ ذَنْبَوْكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدِينَ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (٣).

وبعد أن شخص لهم مزايا الجهاد وجندناه يقول "... ولهذا عظم الله الشهادة، وجعل القتل في سبيل الله حياة ... فقال تعالى في كتابه (ولا تحسين الذين قتلوا في سبيل الله امواتا، بل احياء عند ربهم يرزقون - إلى قوله - ولا هم يحزنون) (٤)، وقال تعالى: (ولَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقتلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا، بَلْ أَحْيَاهُمْ اللَّهُ أَعْنَدُ رَبِّهِمْ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ) (٥)، وفرب لهم مثلا بعد ذلك بقول الرسول صلى الله

(١) سورة التوبة آية رقم (١١١) (إِنَّ اللَّهَ اهْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِيَانٍ لَّهُمُ الْجَنَّةُ يَهْدِي لَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَعْلَمُوْنَ وَيَقْتَلُوْنَ وَقَدْ أَمْلَأْتُهُمْ كُفَّارًا فِي الْأَنْوَارِ وَالْأَنْجِيلِ وَالْكِتَابِ وَمَنْ أُوفِيَ بِعُوْدِيْرَهُ مِنَ اللَّهِ فَاتَّبَعُوهُ وَبَيْتَعِيْكُمُ الَّذِي بَاكِفُتُمْ بِهِ وَكَيْلَهُ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)

(٢) أمر ما يطلب، ص ٢٥٨، احتفال المؤتمر الاول للتاريخ المغارب العربى وحضارته، ج ١، ص ١٠٤ . (٣) ٦٢ من سورة الصاف .

(٤) سورة آل عمران (ولَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاهُمْ مُّقْدَدَةً وَبِعِنْدِهِمْ يَرْزُقُونَ) (٦٩) فَيُحِيِّنَ بِمَا أَكَاهُمُ اللَّهُمَّ إِنَّ فَنَيَهُ وَيَسْتَبْهِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحِقُوْنَ بِهِمْ وَمَنْ خَلَقَهُمْ أَلَا حَقَّ مَكْتِبَهُمْ وَلَا هُمْ يَحْرِنُونَ) (١٧٠) .

(٥) ٦٢، من سورة البقرة (ولَا تَعْوُلُوا يَمْنَ بَعْثَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاهُمْ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ) .

عليه وسلم، وأصحابه ليسلكوا السبيل الذي سلكوه ويكون لهم فيه أسوة حسنة حيث يقول "... فلما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل الشهادة امر بذلك أصحابه، وتمتنى القتل في سبيل الله، فقال صلى الله عليه وسلم : (وددت اني اقاتل في سبيل الله فاقتلت، ثم احيا فاقتلت، ثم احيا فاقتلت) ، فكرر ذلك تعظيمًا لأمر الشهادة وفي فضل الشهادة كثير من الاخبار، فلما علم اصحابه فضل الشهادة سأله الله عزوجل أن يرزقها لهم، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : اللهم ارزقني شهادة في سبيلك " (١) .

لقد اراد بن تومرت من خلال تدرجه في الكلام من العام الى الخامس ان يزرع فكرة الجهاد بين سكان جبال تينمل فيقول : " فلما علموا أن وعد الله حق، جاهدوا في سبيل الله حق جهاده، رجاء لثواب الله، ونصرة للدين، فجعلوا بينهم المودة والرحمة، وجعلوا بينهم وبين عدوهم الشدة والغلظة " (٢)، ثم وعدهم بالنصر القريب والفتح المبين وانه لا فرق بين المجاهدين الاولين وبينهم وأن دين الله واحد لا مبدل لكلماته ابدا لان "... الدين الذي جاهدوا عليه هو الدين لا يحول ولا يزول حتى ينفح في الصور والسنن التي قاتلوا عليها هي هذه لا تبدل ولا تتغير حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فامبروا على هذا الدين كما مبروا، وجاهدوا عليه كما جاهدوا واحتسبوا ما اصابكم في سبيل الله كما احتسبوا ثمارها عند الله من الاجر ما نالوا، فإنهم إنما نالوا النعيم الدائم بالصبر على الجهاد، والاستعداد بالاعمال المصالحة، ولزوم التقوى في السر والعلانية، فاقتفو آثارهم واسلكوا سبيلهم، وتاسوا باعمالهم، قد كانت لكم فيهم أسوة حسنة، فالجهاد على الدين، والهجر على الاذى نعمة عظيمة لا يؤدي شكرها، فعظموا ما عظم الله ، واعرفوا قدر هذه النعمة التي خص بها اهل التوحيد " (٣) .

(١) اصل ما يطلب، ص ٢٥٩، اهتم المؤتمر الاول لتأريخ المغرب العربي وحضارته . ج ١ ص ١٠٤ .

(٢) المصدر نفسه من ٢٥٩، المرجع نفسه . ج ١ ص ١٠٤ .

(٣) المصدر نفسه . ص ٢٦٠-٢٥٩ . المرجع نفسه . ج ١ ص ١٠٥ .

لقد استطاع ابن تومرت أن يستميل قلوب الناس إلى الجهاد بخطبه ورسائله وبلاعثه الفائقة بين سكان منطقة تينمل، مجموعة من السكان تقيم بمنطقة جبلية نائية لا تعرف من الحفارة الاندلسية إلا القليل جداً، وأقمنى معرفتهم تتمثل في حياتهم اليومية البسيطة حياة الرعي والفلاحة والميد، ويتمتعون في سهراتهم بالإستماع لأخبار سكان جزيرة الاندلس والمشرق التي يحملها لهم المسافرون وفي هذا يقول برونيفال "... وكان يعلم - ابن تومرت - أنه مما فعل فإن اللغة التي يكتبها لغة غريبة عليه، ومما كان من بلاغة رسائله فإنه كان يفكر بالبربرية، وبالبربرية كان يخاطب قومه أبناء تينمل، وكانت العربية لغة المواقع والخطب التي تزيد اتباعه الجدد إيماناً يؤثر في نفوسهم ايقاع العبارات الجميلة التي تحدث في أذنهم رنيناً عذباً، ومع ذلك كانوا لا يحيطون بها إحاطة تامة ، وكانت البربرية هي لغة كل يوم لغة السب واللعنة " (١) .

بعد تمام خليع الخليفة عبد الواحد ابن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بن علي عن الحكم، وذلك عام ٦٢١ هـ بويح لابن أخيه عبد الله الملقب بالعادل (٢)، وبعد استقرار الأوضاع بحضور مراكش، وجه رسالة إلى الموحديين كافة بارض الاندلس عام ٦٢٢ هـ يخبرهم بتجمع المجاهدين بحضور مراكش، وهم ينتظرون إخوانهم الآخرين من المجاهدين للجواز إلى العدوة الاندلسية، دون أن ينسى الدور الفعال الذي لعبه أهل جزيرة الاندلس في اسبقيتهم لجهاز النصارى وحماية الحصون والمدن الإسلامية حيث يقول "... وهام بحمد الله قد انتظم شملهم (٣) واتصل حبلهم واجتمعت أهواؤهم) واتفقت على إعزاز كلمة الحق آراؤهم، وحلوا بدار الموحديين (٤) ومطلع الخلفاء الراشدين المحتدين، (١) الإسلام في المغرب والأندلس، ص ٢٥٨.

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن الملقب بالعادل بويح عام ٦٢١ هـ وتوفي عام ٦٢٤ هـ انظر الانبياء المطروب ص ٢٤٥-٢٤٧، السبيان المغربي (قسم الموحدين) ص ٢٧٠، تاريخ ابن خلدون ٦٦، ص ٥٢٧-٥٢٨.

(٣) يقصد المجاهدين بالمغرب . (٤) يقصد مراكش .

حيث الجموع وافرة ، و الإمداد متکاثرة ، و ظاهرة الحق متعاضدة
متظاهرة ، وذلك حلول استدعاء و استئثار ، لا حلول إقامة واستقرار ،
عازمين على الجهاد ، والله تعالى يمفي عزائمهم ، ويجرهم على جميل
معتقداتهم على جهاد أعداء الله الكفار فاعلموا وفقكم الله على
ذلك والله يبلغكم آمالكم والسلام عليكم) (١) .

البدء في الرسائل والعرف والختام :

اتسمت الرسائل الديوانية في المغرب والأندلس بمميزات عده جعلت الكاتب المغربي ينفرد بها عن بقية كتاب المشرق، والديار المصرية (١) .

ويشير القافشندى في مجلمل كلامه عن الكتابة الديوانية في المغرب، حيث كانت مراكش مركزاً للخلافة، ومقرًا لها عند الموحدين وغيرهم - وهذه الملاحظات تحدو حذوها الرسائل المقدمة عن العدوة الأندلسية، ومعظم المناطق الأخرى التي خضعت لسلطان بنى عبد المؤمن فاولها " أن المخاطبة تقع للمكتوب إليه بميم الجمع مع الانفراد كما تقع الكتابة عن المكتوب عنه بنون الجمع مع الانفراد ، ومنها انهم يلزمون الدعاء بمعنى الكتابة عند قولهم كتبنا، بان يقال، كتبنا إليكم كذا ومنها انهم يتصرفون عن الخلفاء (٢) القائمين بدموعه في كتبهم ، ومنها انهم يذكرون اسم المكتوب إليه في اثناء الكتاب...، وكتبهم تختتم بالسلام غالباً، وربما ختمت بالدعاء ونحوه " (٣) . ويضيف الكاتب نفسه في موضع آخر عن اسلوب الكتابة الديوانية عند الموحدين أنها تأتي على أسلوبين" ان تفتح الكتابة بلفظ من فلان إلى فلان وكان الرسم فيها ان يقال : من امير المؤمنين فلان ، ويدعى له بما يناسبه ، ثم يؤتى بالسلام ، ثم يؤتى بالبعدية والتحميد والمصلحة على النبى صلى الله عليه وسلم ، والتزفية عن الصحابة ثم عن أمامهم المهدى ثم يؤتى على المقصود ، ويختتم بالسلام ، الخطاب فيه بنون الجمع عن الخليفة ، وميم الجمع من المكتوب إليه " (٤) .

واما الاسلوب الثاني فيجري مجرى الاول على ان يفتتحه الكاتب بلفظ " اما بعد" (٥) .

(١) صبح الامضى، ج ٧، ص ٣٠ . (٢) في الامل الخسيفة .

(٣) المهدى نفسه ، ج ١٧، ص ٣٠ . (٤) المصدر نفسه ، ج ١٦، ص ٤٣٢ .

(٥) المهدى نفسه ، ج ١٦، ص ٤٣٥ . وانتظر حسن جلاب، الدولة الموحدية اثر العقيدة في الأدب، ص ١٣٦ . جامعنة القائين الشامل ، مراكش ط٢، عام ١٩٨٥ .

ونستنتاج من الكلام السابق أن القلقشندى المتوفى عام ٨٢١ هـ لم يتسع له الاطلاع على مجلد الكتب الديوانية الموحدية ، وأما المميزات التي ذكرها فهي لا تغطى إلا جزءاً يسيراً من الخصائص الفنية ، والبنية الشاملة للرسائل الديوانية خلال مدة استمرت قرناً ونصف ، وشاهدت ثلاثة عشر خليفة باستثناء الداعية ابن تومرت ، وبدأ حيزها يتسع من تينمل إلى أن شمل المغرب باقطاره الثلاثة بالإضافة إلى جزر البليار ، وكثير من المدن الاندلسية .

وما جعله القلقشندى استفتاحاً للرسائل الديوانية ، جعله الكلاعي ميزة من مميزات التخلص من المقدمات للدخول في صلب الموضوع (١) ، خاصة أن بنية الرسالة الموحدية هي امتداد للرسائل المرابطية ولو في شكلها الخارجي ، وأن بعضها من الكتاب كأبي جعفر بن عطيه كتبوا للمرابطين ثم للموحدين .

والملاحظ أن رسالته المؤرخة في السادس عشر من جمادى الآخر عام ٥٤٨ هـ (٢) التي استشهد بها القلقشندى ، هي الرسالة العاشرة المدمجة ضمن مجموعة بروفنسال (٣) المبتورة البدائية ، والاطلاع على بدايتها يجعلنا نشك أن تمدر رسالة ديوانية موحدية خالية من البسمة ، والتملية والعلامة السلطانية .

وعند المقارنة بين الرسالة الخامسة عند بروفنسال (٤) ، والصورة المخطوطة للرسالة نفسها التي ضمنها عبد الهادي التازى (٥) ، يجعلنا نقطع بأن رسائل بروفنسال مبتورة ، وهذا ما صرح به

(١) الكلاعي، أحكام صنعة الكلام، ص ٦٩، دار الشفاعة بيروت عام ١٩٦٦.

(٢) صبح الامضى، ج ٦، ص ٤٣٣ - ٤٣٥ .

(٣) مجموعة رسائل موحدية، ص ص ٣٥ - ٧٣، الرسالة العاشرة ، وانظر مقدمة الكشاف ص، ج .

(٤) المصادر نفسه ، ص ص ١٠ - ٣١، الرسالة الخامسة .

(٥) التاريخ дипломатии المغرب، من القدم العصور إلى اليوم، ج ٦، ص

المستشرق الفرنسي شخصياً، كون المخطوط الذي استخرجه زميله جورج كولان من فاس مببور البداية والنهاية . (١) .

فجامع الرسائل مجهول، وعنوان المخطوط كذلك (٢) وكلمه ينطبق على الرسائل من حيث بدايتها ونهايتها كذلك، ونستنتج من كلمته أن المخطوط الذي عثر عليه غير أصلي، بل أعيد جمع رسائله، وتحبيرها بعد أن حذف منها المطلع والنهاية .

فقول القلقشendi . "إن المخاطبة تقع للمكتوب إليه بميم الجمع مع الانفراد " لا ينطبق على مجل الرسائل لأن الموقف وحده الذي يتحكم في أسلوب الفص وسيره، فموقف السيد عبد الرحمن والي مرسيية من الفومن الثامن ملك قشتالة وطليطلة، فرق عليه مخاطبة المرسل - بكسر السين - بصفية المفرد "... ومن مفهمنات كتابك أنا إن مشينا إليك، وخلعنا الطاعة عليك ... وهيهات إنما رويت أن تذكرت بما على المسلمين حر الجلاد فامتنت كما طمنت، وانعمت فيما زعمت، ولكنك تحيلت في الذي خيلت، وتمكرت فيما ذكرت، ولنفسك يا ابن البغي ... ومن بين تخلفك وفسالتك ما شهد به عليك تناقضك اثناء رسالتك " (٣) .

وقوله - القلقشendi - "... كما تقع الكتابة عن بنون الجمع مع الانفراد " استشهد الكاتب نفسه برسالة من والي إشبيلية، أبي العلاء إدريسن إلى أخيه الخليفة العادل حول اوضاع عامل ثغر شقورة استعمل فيها الأسلوب المفرد : "... كتبته ... فاستائفت النظر، وأمدت العمل، وخاطبت الحاكم "(٤) أو اتهام الخليفة الجديد أبي

(١) un recueil de lettres officielles almohamedes ، p 3

(٢) ibid. p . 3

(٣) مخطوط العطاء الجزيء في كشف غطاء الترسير، ورقة ٣٤ .

(٤) صبح الامضى، ٥٦، ص ٥٣١ .

دبوس الواشق آخر خلفاء الموحدين، للخليفة القديم المرتضى، باخفاء أموال المسلمين حيث خاطبه بصيغة المفرد كذلك "... الومول إلى هنا برسم الاجتماع بك، وسؤالك عن المال الذي كان بيديك " (١) فرد المرتضى على كتاب الواشق بصيغة الجمع، واستعمل صيغة المفرد بالنسبة إليه لأن موقف الاستعطاف، والترجي يتطلب ذلك : "... حفظكم الله تعالى وأيقاكم ... (اما المال) فلا ادرى ما واجد، وما لم يوجد، وما تحت الا رف الله يعلم اني ما دفنته ولا اودعته " (٢) .

وقوله - القلقشندى - " ومنها انهم يلزمون الدعاء بمعنى الكتابة عند قولهم كتبناه بيان يقال كتبناه إليكم كتب الله لكم كذا " فهذا ما ورد في الرسائل الديوانية الموحدية التي جاءت على هذه الصيغة، فقط باستثناء رسالة ابن تومرت الموجهة إلى جماعة الموحدين وهي من رسائل الجهاد، ورسالة الخليفة عبد المؤمن بن علي الموجهة إلى قبيلة كزولة ، فلم يأت كل منها بالدعاء بعد التخلص من مصدر الرسالة، فكتاب ابن تومرت جاء على النحو التالي ، "... كتبنا إليكم هذا الكتاب بعد ما اتاحت لنا اخباركم " (٣) .

وتنلتها رسالة عبد المؤمن بن علي حيث يقول "... كتبنا إليكم هذا الكتاب نصيحة وتنبيها، وتدكرة وتأكيدا " (٤) .

واما قوله - القلقشندى - إنهم يترفون عن الخلفاء القائمين بدعوتهم في مكتوبه " فإن الترفيه خلال الفترة الموحدية كلها لم تذكر للخليفة عبد المؤمن ولا لغيره من الخلفاء الموحدين، بل لم يهدى لهم ابن تومرت، أما إذا إستثنى القلقشندى الرسائل الموحدية من

(١) البيان المغرب، (قسم الموحدين) ، ص ٤٤٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٤٣ .

(٣) أمر ما يطلب، ص ٢٥٧، اهتمام المؤتمر الأول ل بتاريخ المغرب العربي وحضارته ، ص ١٠٣ .

(٤) أمر ما يطلب، ص ٢٥٥، اهتمام المؤتمر الأول ل بتاريخ المغرب العربي وحضارته ، ص ١٠١ .

الفترة الاولى المذكورة سابقاً وعاد إليها في الفترة الثانية، فهذا ما امتازت به الرسائل المغربية غير الموحدية في قوله "إنهم يتصرفون عن الخلفاء القائمين بدعوته في مكتوبه ".

واما الدعاء للخليفة ، فتستهل به الرسائل قبل البعثة ، وهو ما تمثله مجموعة بروفنسال ، في قول القلقشندى ، " ان تفتح الكتابة بلفظ من فلان ، إلى فلان " ، واما الرسائل الاخرى غير المبتدأة ، كرسائل المن بالإمامية (١) ، او مجموعة اماري ميشل (٢) التي تناولت العلاقات بين الموحدين والبيشيين والجنويين - مجموعة اماري - . فتبدا بخلافة يوسف بن عبد المؤمن بن علي ، وتتبع المنهج نفسه مع مجموعة بروفنسال بالإضافة إلى البسملة والتملية والعلامة السلطانية .

والملاحظ أن الدعاء لل الخليفة في مجموعة بروفنزمال لم تستهل به الرسائل إلا لذكر المكتوب عنه، ولم يذكر الدعاء لل الخليفة بسامله إلا بالترتيب المتبع خلال الفترة الموحدية كلها، وتستهل به الكتب الديوانية عند الموحديين، حيث يذكر الدعاء لل الخليفة بعد التحية والبعدية، والمصلحة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله ومحبه في بعض الرسائل (٣)، وبعدها يأتي الكاتب بالترفية على

(١) المتن بالامانة، من من ٨٢-٧٨، من من ١٠٣-٢٠٧، من من ٢٢٩-٢٢٥، من من ٢٢٢-٢٤٢، من من ٢٤٦-٢٤٧، من من ٢٥٩-٢٦١، من من ٢٦٣-٢٦٦، من من ٢٦٥-٢٦٣، من من ٢٦٣-٢٦٦، من من ٢٧٤-٢٧٢، من من ٢٧٥-٢٧٧، من من ٢٧٧-٢٧٨، من من ٢٩٢-٢٩٥، من من ٣٠٢-٣٠٥.

(٣) مخطوط العطاء الجزيل في كشف خطاء الترسيل (الزواد) ورقة
المن بالامامة، من ٢٠١، من ٢٤٤، من ٢٦٠، من ٢٦٣، مجموع رسائل
موحدية، من ٩، الرسالة الاولى، من ٤، الرسالة الثانية، من ١٠،
الرسالة الخامسة، من ١٤، الرسالة السابعة، من ٢٢، الرسالة
الثانية، من ٢٧، الرسالة الثالثة، من ٢٥، الرسالة العاشرة، من
٥٦، الرسالة الثالثة مهرة، من ٦١، الرسالة الرابعة مهرة، من
٦٧، الرسالة الخامسة مهرة، من ٧٧، الرسالة السادسة مهرة
رسائل ديوانية من سبعة من ١٠٩، من ١١٦، مخطوط الاسكوربالي رقم
٤٨٨، ورقة ١٦٠، وكلية الاداب جامعة القاهرة، من ١٦٢، م ١٢، ج ٢
/التاريخ дипломатии в Марокко، ج ٢٠٠ من ٦، documents inedita
dhistoire almohade، appendice no 1 p135 texte arabe p15.
مجموع رسائل موحدية من ١٢٧، الرسالة الثالثة والعشرون .

المهدي بن تومرت ثم الدعاء لل الخليفة عبد المؤمن بن علي، والخلفاء الراشدين - وهم الخلفاء الذين جاؤوا من بعده - وفي بعض الرسائل وجدنا الدعاء لولي العهد . (١) .

واما قوله - القلقشندي إنهم يذكرون اسم المكتوب إليه في اثناء الكتب " فمثل هذه الملاحظة تقتصر على منزلة المرسل - بكسر السين - ملّا (٢) أو حاكما (٣) أو شخصية بارزة (٤)، وعادة ما يذكر اسم المرسل - بفتح السين - قبل المرسل - بكسر السين - كرسالة الخليفة المرتضى الموجهة إلى البابا إينه سانش آش الرابع (٥) أما الرسائل الموجهة إلى أكثر من شخص، فيكتفي الكاتب بذكر رتبهم كالطلبة، والشيوخ والأعيان، والكافة، وهو ما تمثله، معظم رسائل بروفنسال، وبعض رسائل أماري ميشال (٦) وفي كثير من الأحيان وجدنا، جامع الرسائل يتدخل فيحذف اسم المرسل - بكسر السين - ويستبدل به فلاناً، أو ابن فلان، أو أبا فلان، وهذا ما تشمل عليه معظم رسائل التقadiم . (٧) .

(١) مخطوط العطاء الجزيل في كuff مطاب الخرسيل، ورقة ١٨، مخطوط الاسكوربيال رقم ٤٨٨، ورقة ١٦١ب، وهي غير مرقمة منذ حسين مؤمن، كلية الآداب جامعة القاهرة من ١٩٤٠ م ٢١ - ٢٠٥٢، ديسمبر ١٩٥٠، الممدر نفسه ورقة ١٦٥، الممدر نفسه، من ١٦٨.

(٢) مخطوط العطاء الجزيل في كuff مطاب الخرسيل، ورقة ٣٣، الرسالة موجهة إلى الفونس الثامن ملك فرنسا وطليطلة، وقد أهانع مليانا المقربي اسم ملك فرنسا، النفع، ج ٤، ص ١٠٤، وأبين مداري، اسم ملكة فرنسا وطليطلة، البيان المغرب (قسم الموحدين)، من ٢٦٨، وهي دونيا برنجيلا، مصر المرابطين والموحدين، ج ٢، ص ٥٩٣.

(٣) une lettre de salmohade au pape innocent 4 , p 30.

(٤) مجموع رسائل موحديّة ، من ٣، الرسالة الثانية، وهي موجهة إلى القاهري ابن القاسم محمد بن الحاج (سبق التعريف به) .

(٥) -ibid , p 30 .

(٦) التاریخ الدبلوماسي للمغرب، ج ٦، ص ١٩٠، ١٩٦، ص ٢٠٢

(٧) مخطوط الخزانة العامة (الرباط) رقم ٤٧٥٢، ورقة ٤، ورقة ٦، ورقة ١٧ . . .

واما قوله - القلقشendi - وكتبهم تختم بالسلام ، غالباً وربما ختمت بالدعا ، ونحوه فالرسائل إذا ختمت بالسلام لا يعني أنها قاعدة محكمة تختم بها الرسائل وقد ختم ابن تومرت رسالته التي هدد فيها حكام المرابطين بقوله "... والسلام عليكم سلام السنة لسلام الرضي" (١) .

والملحوظ أن البتر الذي طرأ على كثير من الرسائل الديوانية الموحدية ، لا يسمح للقلقشendi ان يطلق مثل هذه الأحكام ويعممها .

واما ما بقي من الرسائل غير المبتورة ، فإن كثيراً منها لا يختتم بالسلام ، والمتفق عليه ان الرسائل الديوانية تذيل بتاريخها ، وهي القاعدة التي ستها الخليفة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه (٢) ، وأما ما ختم منها بالدعا ، فهي لا تنطبق إلا على رسائل عبدالله بن عياش (٣) . فالرسالة الثالثة والعشرون عند بروفنسال استهلها ابو القاسم القالمي بقوله : "الحمد لله الذي قدم لأولياء (٤) امره فيما يرمونه من تدويخ العدو وقهره ، يوماً على الكافرين عصيباً " (٥) .

اما البلوي فنسب الرسالة نفسها إلى كاتب أبي الحسن بن زيد واستهلها بقوله : "من أمير المؤمنين أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الطلبة ، والموحدين ، والشيوخ والأعيان والكافرة بمراكش ، أدام الله كرامتهم بتقواه ، وأوعزهم شكر نعماته ، سلام عليكم ، ورحمة الله تعالى وببركاته ، أما بعد فإننا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ونشكره على آياته ونعمته ونعمل على نبيه المصطفى محمد رسول والحمد لله الذي قدم لأولياء امره فيما يرمونه من كبت العدو وقهره يوماً على الكافرين عصيباً . (٦)

(١) الحل الموضعي ، ص ١١١ .

(٢) الجعفري ، كتاب الوزراء والكتاب ، من ٢٠ ، ٢٠ ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٨٠ .

(٣) مجموع رسائل موحدية ، من ٢٤١ ، الرسالة الخامسة والثلاثون ، من ٢٤٨ ، الرسالة السادسة والثلاثون ، من ٢٥٩ ، الرسالة السابعة والثلاثون .

(٤) في الأصل أوليائه .

(٥) المصدر نفسه ، من ١٢١ ، الرسالة الثانية والمعروفة .

(٦) مخطوط العطاء الجزيئ في كهف مطراء الترسيل ، ورقة ١٩ .

اما رسالة إعادة فتح قفصة المؤرخة في شهر رجب عام ٥٧٦ هـ التي نسبها بروفنصال إلى المرخي، وكان صاحب العطاء قد نسبها إلى أبي علي بن نارار، ويكمّن الخطأ - في اعتقادي - أن بروفنصال أولى الناحية الكبيرة فرت بها ضمن رسائل عام ٤٥٥ هـ، ثم إن أمير المؤمنين الثانية ويقصد بها الخليفة الثاني يوسف بن عبد المؤمن بن علي، سقطت من مخطوطه فاس، فنسبت الرسالة على أنها كتبت عن الخليفة الأول عبد المؤمن بن علي، المرسلة إلى الطلبة والموحدين والأشياخ والأعيان والكافة بقرطبة، بينما وجهت عند البلوي إلى اشبيلية، ولا أدرى كيف توصل المستشرق الفرنسي بروفنصال إلى كون الرسالة كتبت من أبي الحكم بن عبد العزيز المرخي، على الرغم من اعتماده على المعجب، (١) وعبد الواحد المراكشي لم يذكر فم كتاب الخليفة عبد المؤمن إن علي اسم المرخي ويصف المستشرق بروفنصال، مخطوط فاس بقوله بن البداية والنهاية محفوظة فلا يمكن معرفة جامعه أو التاريخ الذي كتب فيه، أو عنوانه الذي قد أعطي له، ولم يعتن جامعه بترتيب الرسائل، وكل رسالة سبقت باسم كاتبها، وفي كثير من الأحيان أحظى جامع الرسائل في ذكر اسم الكاتب، لكننا لم نجد أية صعوبة في إعادتها إلى شكلها الأول . (٢) .

بعد الاطلاع على تصريح المحقق لا نستبعد أن يكون جامع الرسائل قد وضع لها الاسم الأصلي وهو ابن نارار كما نسب الرسالة الثانية والعشرين إلى المرخي .

ونشهد برسالة بروفنصال حيث استهلت كالتالي " من أمير المؤمنين - أいで الله بنصره - وأمده بمعونته - إلى الطلبة والموحدين والأشياخ والأعيان والكافة بقرطبة (٣)، بينما وردت عند البلوي على الشكل التالي " من أمير المؤمنين بن عبد المؤمن

(١) un recueil de lettres officielles almohade . p 9

iibid. p 3

(٢)

(٣) مجموع رسائل موحديّة ، ص ٩٩ ، الوسادة المعبرون .

ايده الله بننصره وامده بمعونته إلى الطلبة والموحدين والاشياخ
والاعيان والكافة باشبيهية (١) .

وختمت عند بروفنصال كالتالي يشترك جميعكم في
المسرة ويتساهم كلّكم في شكر الله عليها، ويتجدد الاخلاص لكافتكم
بهذا المسموع . . . (٢) .

وعلق بروفنصال على خاتمتها بقوله : " السطور الاخيره من هذه
الرسالة فاقصه في الاصل المنقول عنه " . (٣) .

واما في مخطوط البلوي فقد ختمت بقوله " . . . يشترك جميعكم في
المسرة بها ويتساهم كلّكم في شكر الله عليها، ويتجدد الاخلاص
لكافتكم بهذا المسموع السار منها، وهو تعالى جده يتتابع عليكم
نعمه وبيوالى قبلكم منحه ومنته، بجوده وكرمه والسلام العظيم
عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، كتب عقب رجب الفرد سنه ست
وسبعين وخمس مائه " (٤) .

ونشهد بصدر الرسالة الخامسة عند بروفنصال، وهي شبيهة
بالرسالة التي استشهد بها القلقشندي (٥) في قوله ان الكتابة عند
الموحدين تستهل بقولهم من فلان إلى فلان .

فمن بين سبع وثلاثين رسالة عند بروفنصال هناك ثلاث وثلاثون
رسالة بنيت على الشكل التالي : "من امير المؤمنين - ايده الله
بنصره وامده بمعونته - إلى الطلبة الذين بسبعة " (٦) .

(١) مخطوط العطاء الجزيل في كنز قطاء الترسيل، (الزوائد) ورقة ٧.

(٢) مجموع رسائل موحدة، ص ١١٣ الرسالة العشرون .

(٣) المصدر نفسه، ص ١١٣، هامش رقم ١ .

(٤) مخطوط العطاء الجزيل في كنز قطاء الترسيل (الزوائد) ورقة ١٦.

(٥) صبح الامهى، ٤٠٦، ص ٤٣٣ - ٤٣٥ .

(٦) مجموع رسائل موحدة، ص ١٥، الرسالة الخامسة .

لكن عبدالهادي التازري أورد صورة مخطوطة للرسالة نفسها ورد بعض الاختلاف في الكلمات بينها وبين الرسالة المطبوعة واستهلت بالطريقة التالية " والحمد لله وحده بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله ومحبه وسلم تسليما ، من أمير المؤمنين - ایده الله بنصره وامده بمعونته إلى الطلبة الذين بسبعة " (١) .

ونخرج من كل ما سبق بأن الرسائل القليلة التي اعتمدها القلقشندى، وأطلق عليها أحكام الخصائص الفنية للرسائل المغربية بمفہة عامة والرسائل الديوانية الموحدية بصفة خاصة وتناولها بروفنسال وطبقها على الرسائل التي حققها - (٢) هي كتب مبتورة البداية والنهاية - بعضها - لذا لا يمكن الاعتماد عليها، وكذا رسائل مجموعة بروفنسال المستخرجة من فاس (٣) عام ١٩٢٩، او من الاسكوربال (٤) عام ١٩٢٤ .

ويذهب الباحث إلى أنه لا يمكن استخلاص قواعد الرسائل الديوانية الموحدية من حيث البدء، والعرض، والختام، إلا من خلال رسائل المن بالإمامية، ورسائل أماري ميشل ، ورسالة الخليفة المرتفى الموجهة إلى البابا إينة سانش آتشي الرابع بكل هذه الرسائل حافظت على خاتمتها بالإضافة إلى البسمة والتملية والعلامة السلطانية، وقد ذكرها الخليفة عبدالمؤمن بن علي ضمن رسالته الجامعة لأنواع الآراء - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - في قوله (٥)، "... رأينا أن نجعل في كتابنا علامة بخط يدنا".

(١) التاریخ الدبلوماسي للمغرب، ج ٦، ص ٢٨ .

(٢) un receuil de lettre officielles almohade، pp 12-19

(٣) Ibid، p 3

(٤) Ibid، p 3

(٥) نظم الجمان، من ١٦٤ .

والعلامة السلطانية هي " والحمد لله وحده " وقد اتخذها
الخلفاء الموحدون شعارا لكتبهم الرسمية، لما وجدوها في بعض
خطابات المهدى بن تومرت (١) .

ووقفت الشاعرة حفصة بنت الحاج الركونية بين يدي الخليفة
عبد المؤمن بن علي (٢) تمدحه بقولها " .

يَا سَيِّدَ النَّاسِ كَيْمَنْ
يُؤْمِلُ النَّاسَ رَفَدَةً (٣)
أَمْنَنْ عَلَيَّ بِصَرِيكَ (٤) يَكُونُ لِلَّذَّهِرِ عَنَّدَهُ
تَخَطَّ يَسْمَنَكَ فِيهِ وَ (٥) الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ (٦)

وهل يمكن ان يصرح بها الخليفة عبد المؤمن بن علي - العلامة
السلطانية - يوم ١٦ (٧) من ربیع الاول عام ٥٤٣ هـ وتختفي بعد عشرة
ايام من زيارته لضريح المهدى بن تومرت، في الرسالة التي حققها
بروفنصال، المؤرخة في ٢٧ من ربیع الاول من العام نفسه (٨) .

وبين أربعة وعشرين رسالة كتبت عن الخليفة عبد المؤمن بن
علي حققها بروفنصال، لم نجد اثرا للعلامة السلطانية فمن رسائله .

(١) تاريخ ابن خلدون ج ٦ ص ٤٩٨، وانظر النفع ج ٥ ص ٢٠٤ .

(٢) يذكر لسان الدين بن الخطيب أنها قيلت بين يدي الخليفة يعقوب
المتصور الاحاطة ج ١ ص ٥٠١ .

(٣) البيت ناقص في المصدر نفسه ج ١ ص ٥٠١، ومعجم الادباء ج ١٠ ص ٢٢٠، والمغرب في حلی المغرب، ج ١ ص ١٣٨ .

(٤) في النفع، والمصدر السابق، بطرس .

(٥) حرف (الواو) ناقص في الاحاطة والنفع، والمغرب في حلی
المغرب، ومعجم الادباء، وقد اعتمدناه من
كتاب مستودع العلاقة و Andalouse du temps des almohades
une poetesse 49 ج 49 بعد الاطلاع على الرسائل المخطوطة .

(٦) المفسر في حلی المغرب، ج ١ ص ١٣٨، كتاب مستودع العلامة
ومستودع العلامة لابن الوليد بن الاحمر، تحق محمد التركى
التونسى ، ومحمد بن تاویت التنطاوی ص ٢٣، مطبعة المهدية
تطوان المغرب ١٩٦٤، معجم الادباء ج ١٠ ص ٢٢٠ .

(٧) ذكر ابن هداري ضمن احداث ٥٤٣ ان الرسالة كتبت يوم ١٥ وهو خمس
انظر نظم الجمان، ص ١٥١ .

(٨) مجموع رسائل موحدة، ص ٥، الرسالة الثالثة .

وكان على بروفنسال أن ينتبه إلى كون المخطوط الذي استخرجه زميله جورج كولان عن القرويين غير أصلي، بل أعيد كتابة ما ورد فيه من رسائل بعد أن حذف منها العلامة السلطانية والبسمة والتملية، إن لم تكن قد حذفت من قبل، وأعيد كتابة المخطوط مرة أخرى وربما مرات عديدة.

ونظراً لاختلاف خط الرسالة والعلامة السلطانية في الصور المخطوطة (١) والمكان الفارغ - البياض - الذي تكتب عليه العلامة السلطانية، الذي قدرنا تراوحة بين خمسة إلى سبعة سنتيمترات، نعتقد أنه بعد الانتهاء من كتابة الرسالة تقرأ على الخليفة أو تقدم إليه فيقرأها شخصياً، ثم يخط العلامة السلطانية، وهي عبارة عن توقيع وختم الخليفة، وذلك بخط مخالف لخط الرسالة (٢)، وربما اتفق على استعمال لون مختلف كاللون الأحمر (٣)، وقد حذفت العلامة كاللون من معظم الرسائل التي أعيد جمعها وتحبيرها.

الاقتباس :

احتلت ظاهرة الاقتباس من القرآن الكريم حيزاً كبيراً من الرسائل الديوانية الموحدية إذا ما قورنت بالاحاديث والآيات الشعرية، والأمثال العربية القديمة، فيكاديندر أن تصدر رسالة ديوانية خالية من آية واحدة اقتبسها الكاتب بنها الكامل أو أشار إليها بطريقة محكمة غير مباشرة حيث يدمجها في كلامه، مستحضرأ آية مناسبة لموضوعه فيدمج بعض الفاظها، ومعانيها في

(١) التاريـخ الدـيـلوـمـاـسيـ للـمـغـرـبـ، ٢٨ ص ٦، ٢٩ ص ٦ .
entre une lettre de Murtada au pape innocent 4, photo inclue p 28 et 29 .

(٢) المصدر نفسه، ٢٩ ص ٦، ٢٨ ص ٦ .

Ibid p 4 photo inclue entre p 28 et 29 .

(٣) البيان المغرب، (قسم الموحدين) ص ٣٢٩ .

محتوى العلامة بتصرف منه ، ويجعلها مواتية لسياق كلامه (١) والملاحظ أنها لم تستعمل إلا نادراً ضمن الرسائل الديوانية الموحدية .

ويذهب شهاب الدين محمود الحلبي إلى (أنه على مصاحب هذه المنشاة) حفظ كتاب الله تعالى وادامة قراءته وملازمة درسه ، وتدبر معانيه ، حتى لا يزال ممدراً في فكره ، دائراً على لسانه ممثلاً في قلبه ذاكراً له في كل ماترد عليه من الواقع التي تحتاج إلى الاستشهاد به فيها ويفتقر إلى إقامة الأدلة القاطعة به عليها ، وكفى بذلك معيناً في قصده ومغنياً له عن غيره "(٢)"

والواضح من الرسائل الديوانية الموحدية أن الاقتباس من القرآن الكريم ورد على أوجه عدة .

فالوجه الأول ترد الآية القرآنية بنصها الكامل ، ومن ذلك قول عبد المؤمن بن علي في رسالته الموجهة إلى الطلبة والشيوخ والأعيان والكافة بالعدوة من إنشاء أبي جعفر بن عطية المؤرخة في السادس عشر من شهر ربيع الأول عام ٤٥٤هـ "... فالسعيد من لقي ربه سيراً من اتباع الهوى سليماً والشقي من اتي ملينا باكتساب الكبائر (ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه ، وكان الله علیماً حكيمًا)" (٣) (٤) .

واما الوجه الثاني فقد أورده ابن تومرت في كتابه الموجه إلى جماعة الموحدين ... يحثهم فيه على جهاد المرابطين ، وفتح سياستهم ، والملاحظ أن معظم الآيات التي وردت فيها مختصرة ، ونرجع

(١) شهاب الدين محمود الحلبي ، حسن التتوسل إلى صناعة الترسن ، ص ٣٤٣ ، تحقيق أكرم عثمان يوسف ، وزارة الثقافة والاعلام ، العراق ، ط ١٩٨٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٢ ، نقل الفقيهendi النص نفسه من حسن التتوسل بسيطة مختلفة ، انظر في مبحث الامضي ، ج ١ ، ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(٣) سورة النساء ، ٦١١ .

(٤) نظم الجمان ، ص ١٥٣ .

ان الآية القرآنية قد وردت بذاتها الكامل في النسخة الأصلية ، لكن ناسخ الرسالة ، التي بين ايدنا كان كلما وجد آية طويلة حذف منها بعض الكلمات مشيراً إليها بقوله (إلى قوله) ثم يكمل ما بقي من الآية القرآنية ومن ذلك قول ابن تومرت "... عظم الله أمر المجاهدين ، وبين فضلهم ، وخبر ان الجهاد بالأموال والأنفس تجارة تنجي من عذاب اليم ، فقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هُنَّ أَذْكَرْمَ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيْكُمْ مِّنْ عَذَابِ الْيَمِّ) . إلى قوله - ذلك الفوز العظيم) " (١) (٢) .

وقوله - ابن تومرت - إن الله " اشتري منهم ما باعوا بالجنة التي لا عين رأت ، ولا اذن سمعت ولا يبلغه الواصفون ، ولا يحيط به العقل قال الله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ بِإِنَّ لَهُمْ الْجَنَّةَ) - إلى قوله - ذلك الفوز العظيم " (٣) (٤) .

اما الوجه الثالث فامتنازت به رسائل التوثيقايات حيث يرد الخليفة او الوالي ... على حادثة او رسالة بتوقيع منه ، يشمل آية قرآنية دون غيرها من الكلام ، فقد وقع الخليفة المتمم على رسالة القاضي الذي بعث إليه شخصين ليعلما ولده برسالة مختصرة ، لم يرد فيها إلا قوله تعالى " اعوذ بالله من الشيطان الرجيم (ظهر الفساد

(١) سورة الصاف ، الآية . ١٠ ، ١١ ، ١٢ . (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هُنَّ أَذْكَرْمَ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيْكُمْ مِّنْ مَّدَابِ الْيَمِّ) (١٠) مَحْمُودُونَ بِإِنَّهُمْ وَرَسُوكُورِمْ كُوچَاجَاهْدَكَوْيَ في سَبِيلِ النَّبِيِّ بِإِنَّهُمْ كُمْ وَأَنْقَسْكُمْ دَلِكَمْ كَجِيرَهْ نَكْمَ إِنَّهُمْ كَعْنَتْمَ تَعْلَمُونَ (١١) كِيفَعْ لَكُمْ تَكُوِيْعُمْ وَيَدْخُلْتُمْ جَنَّاتِ تَنْجِيْرَهْ مِنْ كَعْنَتْمَ الْأَنْهَارِ وَمَسَائِنَ طَبِيْبَهْ في جَنَّاتِ مَدَنِ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) .

(٢) اهرم ايطلب ، ص ٢٥٨-٢٥٩ ، اهـال المؤتمر الاول لتأريخ المغرب العربي وحضارته ج ١ ص ١٠٤ .

(٣) سورة الطهارة آية . ١١١ . (إِنَّ اللَّهَ اهْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِإِنَّهُمْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ في سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقِنَّا لَهُنَّ وَيَقِنَّا لَهُنَّ وَفَدَنَا هَلْتَيْرَهْ كَعَنَّ في الشَّورَاتِ وَالْأَنْجَيْلِ وَالْكَزَّانِ كَمَنْ أَقْهَيَ بَعْدَهُ مِنَ النَّمَرِ قَاسْتَبَهْرَهْ وَيَبْيَعْكُمْ الَّذِي بِكَاعِتْمَ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) .

(٤) أمر ما يطلب ، ص ٢٥٨ ، اهـال المؤتمر الاول لتأريخ المغرب العربي وحضارته ج ١ ص ١٠٤ .

في البر والبحر) " (١) (٢) .

ويأتي بالوجه الرابع في اقتباس عدة آيات قرآنية لتحليل
واثبات القول ، . وهذا مالجأ إليه ابن تومرت في كتابه الذي يحضر
فيه الموحدين على الجهاد ، حيث اقتبس مجموعة من الآيات القرآنية
التي تناولت موضوع الجهاد والبحث عليه " (وَلَا تَحْسِنَ الَّذِينَ قُتُلُوا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءً مِنْذَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ - إلى قوله - وَلَا
تَعْرِزُنَّوْنَ (١) وَقَالَ تَعَالَى: وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يَقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا
كُلُّ أَحْيَاءٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (ب) ... فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأَخْرَجُوا
مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَوْدُوا فِي سَبِيلِهِمْ وَقَاتَلُوا... لَا كُفَّارٌ عِنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخْلُهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنَ
الْتَّوَابِ (ج) " (٢) .

واما الوجه الخامس فهو الإشارة إلى الآية الكريمة دون اي
ذكر لها على ان تعرف من خلال الموضوع المطروق .

وفي اواخر عهد الموحدين كثرت الفتن والمراعات بين الخلفاء ،
فيبعث الخليفة ابو دبوم الواشق رسائلة الى المرتضى يتهمه
(١) دٰة ٤١، سورة الروم (ظُفَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ
آيُّهُمُ الْتَّنَاسُ بِيَدِيْعُهُمْ بَعْدَ الَّذِي قَمِلُوا تَعْلَمُتْ يَرْجِعُونَ) .
(٢) رقم العمل ، ص ٥٨ ، ٥٩ شاربيه الدولحين ص ١٥ ، النفع ٤٤ ص
١٠٣ المؤمن ، ص ١٢٢ ، الاستخلاص ، ٤٢ ص ٢١٠ .

(١) دٰة ١٦٩ ، ١٧٠ ، من سورة آل عمران ، (وَلَا تَحْسِنَ الَّذِينَ قُتُلُوا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءً مِنْذَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . (١٦٩) فِي وَحْيِينِ يَكُمْ
وَكَمْ يَكُمْ إِلَهُ مِنْ فَقْلِهِ وَيَسْتَهِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَنْجُوُوا بِعِمَّ مِنْ خَلْقِهِمْ
لَا خُوفَ مَلِيْعِمْ كُلَّا هُمْ كَيْرَنُونَ (١٧٠) .

(ب) دٰة ١٥٤ من سورة البقرة (وَلَا تَهْلِكُو لِمَنْ يَقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءً وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ) .

(ج) دٰة ١١٥ ، من سورة آل عمران (فَاسْتَحْيِبَ لَهُمْ وَيَعْمَمُ أَنِّي لَا أَهْبِطُ مَمْلَكَةَ
مَا مَلِكَ مِنْ دَكْسِرَ أَوْ أَنْتَسِ بَغْضَعَمْ مِنْ بَغْضَعَمْ مِنْ كَانِدِينَ هَاجَرُوا
وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَوْدُوا فِي سَبِيلِهِمْ وَقَاتَلُوا كَوْفَتُنَّوْ لَا كُفَّارُونَ مَنْقُمْ
سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخْلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كَوَابِدَ مِنْ مِنْدِالِهِ
وَاللَّهُ مَنْدَهُ حَسْنُ الشَّوَابِ) .

(٢) أمر ما يطلب ، ص ٢٦٠ ، ٢٥٩ اهفال المؤتمر الاول لشاربيه المغرب
العربي وحضارته ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

بـاختلاس الأموال من الخزائن حيث يقول (١) "... ولم تزل أبداً تنتهي إلى الزهادة، وتتصف بالورع، ومن يكون كذلك أفل يليق به كنز الذهب ولا الفضة حتى يدفنه في الأرض وقد قال الله تعالى في الذين يكتنفون الذهب والفضة ما قال . " (٢) .

ورد الخليفة يعقوب المنصور على هدية وصلته من بلاد السودان بقوله (٣) " نحن لانريد ان نكون اصحاب الفيل " (٤) وقد كانت الهدية التي وصلته فيلا .

أما اقتباس معاذي القرآن الكريم بطريقة غير مباشرة ، حيث يترى الكاتب في الآية فنستشهد له برسالة الخليفة المستنصر التي بعثها إلى أهل الاندلس لتعيين والجديد على أشبيلية بعد موته واليها القديم حيث يقول (٥) "... وكان لأهل أشبيلية إليه المتاب الذي رفته السنون وآتى به الآباء والبنون فإن الله على ذهابه وإنما إليه راجعون " (٦) .

ومن الرسائل التي اقتبس فيها الكاتب معانٍ القرآن الكريم بطريقة غير مباشرة رسالة الخليفة المستنصر حول الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، الموجهة إلى الرعية عام ٦٦٧هـ حيث يقول :
 (٧) "... تظهر من الازهار، وتتنقى الحواضن من الاذناس وتسليم القلوب والجوارح من الوسواس الخناس " (٨) .

(١) اهتمام الى الایة القرآنية . ٣٤، من سورة التوبة (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذْ مَنَّا لَكُمْ أَنَّا عَزَّزْنَا إِنَّ الْأَحْبَارَ وَالرَّهْبَانَ لَيَعْلَمُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْأَبْسَاطِ ، كَمَّ مَدُونَ هُنَّ بِسَبِيلِ اللَّهِ وَأَنَّدِينَ يُكَفِّرُونَ الظَّاهِرَةَ وَلَا يُنْعَفُونَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرُوهُمْ بِعَذَابِ أَلِيمٍ) .

٤٤٣) (٤٤٢) البيان المغربي، (قسم الموحديين) ص

(٢) النفع، ج ٤، ص ١٠٢

(٤) إِهْرَاءٌ إِلَى الْأَيْدِي (١) وَ (٢) مِنْ سُورَةِ الْفَيْلِ : (أَكَمَ تَرَكَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِالْمَحَابِيبِ الْفَيْلِ (١) أَكَمَ يَجْعَلُ كَيْدَهُمْ فِي كَتْقَبِيلِ (٢) .

(٥) إِشَارَةً إِلَى الْأُلْيَا الْفَرَّاجِيَّةِ، ١٥٦، مِنْ سُورَةِ الْبَقْرَةِ (َالْتَّرْزِينَ يَكْدَا
أَمَّا بَعْدُهُمْ مُسْبِطِلًا فَلَوْا إِنَّا لَنَّمْ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِحُونَ).

(٦) مخطوط المخطاء الجزيل في كشف خطاء الترسيل، ورقة ٧.

(٧) الفتباس من الآية ٤ من سورة الناس (من هُرَوْسُواْنَ الْخَلَّاسِ) .

^{٨)} البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٢٦٧ .

وفي رسالة بيعة الخليفة عبد الواحد يقول والي بلنسية ، السيد ابو زيد : (١) "... وقد جعل الله سبحانه اتفاق الكلمة على النجاح عنوانا ، وقبض لدينه انصارا من اهله واعوانا وألف بين قلوب إخوانه فاصبحوا بنعمته إخوانا " (٢) .

وفي الكتاب نفسه يقول : (٣) "... وعاد الناس بعد الوجوم ببشرى من مزن سريع سقياهم ، وفي نزولتها حصلوا دينهم ودنياهم ، وكأنما الله سبحانه ، قال لهم موتوا ثم أحياهم " (٤) .

تضمين الأحاديث :

ولم تقتصر الكتب الديوانية الموحدية على اقتباس الآيات القرآنية بتنوعها الحرفى او دمج بعض الفاظها في سياق الكلام بل شملت الأحاديث الشريفة كذلك ، وعن هذا الموضوع يقول شهاب الدين محمد بن الحلبى ، (٥) "... (إن) حفظ الأحاديث النبوية - صلوات الله على قائلها وسلمها - وخصوصا في السير والمغازي والاحكام والنظر في معانيها وغربيها وفما حتها وفقه مسالا بد من معرفته في احكامها ، لينفق منها عن سعة ، ويستشهد بكل شئ في موضعه ويحتاج بمكان الحجة ويستدل بموضع الدليل على المقدم إذا استند إلى النص سلم له وسلم والفهمة إذا طلبت غايتها فإنها بعد كتاب الله في كلام من اوتى جوامع الكلم " .

(١) اقتباس من الآية ١٠٣ ، من سورة آل عمران (وَأَمْتَحِنُوا بَحْثِنَ اللَّهَ حَمِيمَكُمْ وَلَا تَعْرِفُوا وَلَا يَعْرِفُونَ) تَعَمَّلُوكُمْ إِذَا عَنْتُمْ آمِدَاهُمْ فَإِذَا قَبَتْ بَيْنَ قَبَوْبِكُمْ فَأَمْبَعَتُمْ بِرَعْمَتُهُ لِخَوَافِكُمْ وَكَنْتُمْ كُلُّكُمْ هَفِيفُ حَفَرَةٍ مِّنَ التَّارِقَاتِ فَأَنْقَدْتُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ (يَأْتُو رَعْلَكُمْ شَمَدَوْنَ) .

(٢) مصور مخطوط جائزة الحسن الثاني ورقة ٤ ، الخزانة العامة (١٩٨١) الرباط ٤٥٦ .

(٣) اهارة إلى الآية القرآنية ٢٤٣ من سورة البهرة (إِنَّمَا تَرَى أَكْثَرَ الَّذِي خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أَلْوَهُ أَحَدِيَّ الْمَوْتِ فَعَكَلَ لَهُمْ أَنَّ اللَّهَ مُوْتَوْرٌ كُمْ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَلْقِ الْمَسَارِ وَلِكُنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَهْتَرُونَ) .

(٤) مصور مخطوط جائزة الحسن الثاني ورقة ٤ ، الخزانة العامة (١٩٨١) الرباط ٤٥٢ .

(٥) حسن التوسل ، ص ٧٨ ، نقل العلامةendi النعى نفسه من حسن التوسل بصيغة مختلفة اذظر في صبح الامم ، ١٢ ، ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

والملاحظ ان الاحاديث النبوية، قليلة جدا في مقابل الآيات القرآنية، ولم تأت إلا نادرا جدا في الكتب الديوانية الموحدية باستثناء الداعية ابن تومرت فإنه يندر ان تصرد عنه رسالة خالية من حديث نبوي .

وأول كتاب نستهل به حديثنا عن تضمين الاحاديث الشريفة) رسالة ابن تومرت الموجهة إلى عامة الموحدين وقد استهلها بقوله (١)" وهذا الوعيد العظيم والعقاب الأليم في من رکن إليهم (٢) فكيف بمن أعادهم بنفسه؟ وما لـه على سفك دماء المسلمين وأخذ أموالهم ومعونتهم على ظلمهم ولو بدرهم واحد، لما رواه كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (اعيذك بالله كعب بن عجرة من امراء يكونون بعدى فمن غشى ابوابهم ومدقهم على كذبهم وأعادهم على ظلمهم فليس مني ولست منه اولا يريد علي الحوض ومن لم يغش ابوابهم ، ومن لم يصدقهم على كذبهم) ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وانا منه) وسيرد علي الحوض (٣) .

واستمر ابن تومرت في الرسالة نفسها) ثم استشهد بحديث نبوي آخر "... لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق لما رواه عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (على المرء المسلم السمع والطاعة مالم يؤمن بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) إلى غير ذلك من الأخبار الصحيحة عملياً يطول تتبعها " (٤) (٥) .

(١) الرسالة مبتورة البداية .

(٢) يقصد المرابطين .

(٣) سقى السندي لابي ميسى محمد بن ميسى بن سورة شرق احمد حافظ .
٥٢ ص ٥٢ . رقم ٦١٤ . مسند الامام احمد بن حنبل . ٢٥ ، ص ٣٢١ .
المكتبة الاسلامية للطباعة ونشر بيروت . ط ٢ ، ١٩٧٢ .

documents inedits d'histoire almohade p1 texte arabe (٤)

(٥) مسند الامام احمد بن حنبل ، وال الحديث ورد على "الصيغة الشافية" (
السمع والطاعة على المرء المسلم فيما احب او كره الا ان يؤمر
بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) .

i bid , p 2 texte arabe (٦)

ويستمر ابن تومرت في الرسالة نفسها الموجهة إلى جماعة الموحدين، وعندما ينتقل إلى موضوع الجهاد يقول "... وكل من قتل من الكفارة والمجسمين فهو مخلد في نار جهنم وبئس المهدى وكل من قتل من المؤمنين فهو من أهل الجنة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون ماله فهو شهيد) " (١) (٢). وكذا الحال بالنسبة إلى الحديث الذي فقد أورده ابن تومرت في الرسالة نفسها عندما تطرق إلى موضوع الخمر "... واجتنبوا الخمر فإنها أم الفواحش ولا تشربوها، ولا تبقوها ولا تعمصورها ولا تبيعوها ، ولا تبتاعوها فإنها رجم من عمل الشيطان، وشاربها ملعون لما رواه عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لعن الله الخمر وشاربها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمول إلية) " (٣) (٤).

وفي الرسالة المنظمة نجده يحث الموحدين على الجهاد ويضرب لهم مثلاً يقول الرسول صلى الله عليه وسلم "... فلما علم الرسول صلى الله عليه وسلم فضل الشهادة أمر بذلك أصحابه وتمنى القتل في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم أوددت أني أقاتل في سبيل الله فاقتلت ثم أحيى فاقتلت) " (٥) (٦) .

(١) سنن الشافعى، ج ٤ ص ٢٢٥، رقم ١٤٢١، والحادي عشر ورد صلى الصيحة الثانية ("من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد").

documents inédits d'histoire almohade p2 texte arabe (٢)

(٣) مسند الإمام أحمد، ج ١، ص ٣١٦، ج ٢، ص ٤٧، سنن أبي داود، ص ٣٦٤ من ٢٢٥، الدار المصرية للطباعة ط ١٩٨٨.

ibid p 5 texte arabe (٤)

(٥) مسند الإمام أحمد بين حنبل، ج ٢ من ١٤٢، صحيح البخاري، ج ١ من ١٦٠١٥، تحقّق أحمد محمد هاiker، دار الجيل بيروت، الموطأ للإمام مالك، تحقّق محمد فؤاد مبدالباقس، دار أحياء الكتب المصرية ج ٢، ص ٤٦٠، رقم ٢٧، سنن النسائي، بشرح الجلال البدانى السيوطى وحاشية الإمام السقوى ج ٣، ص ٣٢، ٣٣، دار الكتب المصرية، ١٩٨٧، وانظر اختلاف الروايات الواردة بالمساند المذكورة.

(٦) أمر ما يطلب من ٢٥٩، اعمال المؤتمر الاول لتاريخ المغرب العربي وحضارته، ج ١، ص ١٠٤ .

و ضمن ابو جعفر بن عطية في رسالته الشاملة لانواع الاوامر -
الامر المعروف والنهي عن المذكر - حديثا للرسول صلى الله عليه
 وسلم حيث يقول : "... والنبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه
 وسلم يقول : من قتل عمفورا بغير حق عبشا جاء يوم القيمة وله
 صرراخ عند العرش يقول : (يسارب سل هذا فيما قتلتني عبشا من غير
 متنفعه) (١) (٢) .

وفي الرسالة نفسها ضمن أبو جعفر بن عطية قوله تعالى الله عليه وسلم "... المسلمين تتكافأ دمائهم وييسرى لذمتهم ادناهم وهو على من سواهم" (٤) (٣) (٤) .

وفي رسالة السيد عبد الرحمن ابن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن
ابن علي بخط الكاتب أبي بحر مفوان بن إدريس الموجة إلى الغونس
الشامن ملك قشتالة وطلبيطة، فجده يرد عليه بحديث الرسول صلى
الله عليه وسلم عند ما أراد الملك أن يبعده عن المسلمين فضمن له
رسول الرسول الكريم "... (من فارق الجماعة واستذل الإمارة لقي
الله ولا وجه له) (٥) (٦) .

وفي كتاب الخليفة المرتضى الموجه إلى أهل سبعة ضمن لهم قول
رسول صلى الله عليه وسلم "... قال نبينا عليه السلام (إنني لم

٢) نظم الجمان، ج ١٥١

٣) مسند الامام احمد بن حنبل، ١٥، ص ١٢٢ و ٢١٤، سنن الترمذى ج ٨، ص ١٩، ٢٠، والحدیث جاء على الصیفة التالية « المؤمنون تذکاروا دماؤهم وهم يید على من سوّاهم يسعى بدمائهم لا يقتل مؤمن بکافر ولا ذمہل فـ مهدى »

٤) نظم الجمالي، ص ١٥٦

^٥) مستند الامام احمد بن حنبل، ج ١ ص ٣٨٧، ج ٢ ص ١٣٣، والحديث ورد على المعيقة التالية " من فارق الجماعة واستدل الامارة لقى الله مزوجل ولا وجه له منه " وهو اقرب الاحاديد

٦) مخطوط العطاء الجزيل في كشف مطاع البت سان، منارة ٣٣

ابعث لانقب على قلوب الرجال) " (١) (٢) .

وبعد استعراضنا معظم الاحاديث النبوية الشريفة الواردة في الكتب الديوانية الموحدية التي بين ايدينا تبين لنا انه على الرغم من فلتتها فإنها ترد على صيغ مختلفة في مختلف كتب الصحاح التي رجعنا إليها وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على ان الكاتب يستحضر الحديث النبوي فيدونه من ذاكرته دون التأكد من صحته ورواية الحديث كما ورد في الاصل .

التنوع بين النثر والشعر :

اتفح لنا ان تضمين الأبيات والقصائد الشعرية في الرسائل الديوانية قليل جداً، مقارنة بالفترة الزمنية الطويلة التي حكم فيها الموحدون المغرب والأندلس، ونرى أن الكتب الديوانية لما تحمله من أمور رسمية وسياسية، ونشرات إدارية جعلت الكاتب الديواني يبتعد عن الاستعانة بالشعر في الرسالة لانه يكتفي بصياغة الفكرة التي طرحتها عليه الخليفة او الوالي، او القاضي ولذلك فإنه لا يعقل ان ترد أبيات شعرية ضمن كتب المعاهدات او الاعتداءات او التقاديم او التبادلات التجارية .

إلا اننا وجدنا القلقشندى يقول . (٣) " (إن) الملوك والخلفاء إذا كتبوا إلى من فاهم في أبهة الملك وقاربهم في علو المرتبة فإنه لا يمنع التمثيل بأبيات الشعر فيها تطريز للنثر والنظم " .

اما الأبيات التي ضمنت في الرسائل، فوردت في بعض كتب الفتوحات، وبشري الانتمارات، والعتاب والتوصيات .

(١) مستند الإمام احمد بن حنبل ج ٣، ص ٤، صحيح مسلم ، ص ٢٥، ص ١٢، والحديث ورد على الصيغة الشائعة، "انني لم اومر ان انقب على قلوب الناس ولا اهق بواطنهم " .

(٢) مخطوط الخزانة العامة (الرباط) رقم ٤٧٥٢، ورقة ١٥ .

(٣) صحيح الامanch، ج ٦، ص ٢٩٥ .

ومن ذلك كتاب الخليفة المأمون بخط يده يعاتب فيه أهل
الندوة * فيختتمه بقوله (١) "... ولا يعودنكم الاجتراء إلا لنبدكم
بالغراء، وادواه الاهواه بالسيف تتحسم .

إذا رأيتم (٢) نوب الليث بارزة فلا تظنوون (٣) أن الليث مبتسم (٤)

والملاحظ أن الخليفة المأمون وافق بين السجع وقافية بيت
المتنبي وهو عكس ما صرخ به الكلاعي في قوله (٥) : "... وكان المجيد
كثيراً ما يضمن في رسائله اشعاره واعشار غيره - فكان إذا ثمن
اشعاره يوافق بين قافيةها وبين السجع الذي قبلها ليعلم بذلك أن
الشعر له وكان إذا ثمن اشعار غيره خالٍ بين السجع والقافية "

والظاهرة نفسها استعملها أبو جعفر بن عطية بمناسبة انتصار
الموحدين ببودي ماست حيث يقول (٦) : "... جمع اشتات (الطلب والارب
(٧) وتقلب في النعم اكرم منقلب وملا دلاء (الامال) (٨) الى عقد
الكرب .

فتح تفتح أبواب السماء له وتبزر الأرض في اثوابها القشب" (٩) (١٠)

* الندوة = Andujar بلدة مقاطعة جيان . وتقع هنال هرقى قرطبة ،
المن بالامامة ص ١٩٧ هامش رقم ٢ .
(١) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٢٨٦ ، البيت تألف من الاحاطة ،
ج ١ ، ص ٤١٦ . ويدعى لسان الدين ابن الخطيب في المهدور نفسه أن
الرسالة واردة بكتاب المغرب (المغرب في حل المغرب) لكنها لم
تفت علىها .

(٢) هي الامل نظرت . (٣) في الامل ظنن .

(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقر ، العسكري المسما ،
بالتحبيان في شرح الديوان في موطنه ووضع فهارسه ، مصطفى المصطفى ،
ابراهيم ، الابياري ، ميدالحفيفي هليبي ، ج ٢ ، ص ٣٦٨ ، دار المعرفة .

(٥) إحكام صنعة الكلام ، ص ٦٢ . (٦) اشتات الكتاب في ٢٢٧ .

(٧) هي الاحاطة والاملام بمن حل بمرائش من الاملام (الطلب والادب)

(٨) هي التفع و الاستفهام (الامل)

(٩) شرح ديوان أبي تمام ص ١٨ ، مطبعة وشرحة شاهين مطيبة بيروت ط ١
١٩٨٦ .

(١٠) الاحاطة ج ١ ، ص ٢٦٩ ، التفع ، ٧٥ ، ص ١٨٧ ، الاستفهام ، ج ٢ ، ص ١١١
١١٢ ، الاملام بمن حل بمرائش و اهمات من الاملام ص ٢٢٠ ، (النعم
تألف من الروض المعطار مادة (ماست) .

ويذكر ابن خلكان في ترجمته لابن تومرت انه كان يتمثل بقول

المتنبي :

إِذَا شَامَرْتَ فِي شَرَفِ مَرْوِمٍ (١) قَلَّا تَقْنَعُ بِمَادُونِ النَّجُومِ (٢)
 كَطْفَمِ الْمَوْتِ فِي أَمْرِ حَقِيرٍ قَطْعَمِ الْمَوْتِ فِي أَمْرِ حَقِيرٍ

قوله :

وَمِنْ عَرَفَ الْأَيَامَ مَعْرِفَتِي بِهَا وَبِالنَّاسِ رَوَى رَمَحَةُ غَيْرُ رَاحِمٍ
كُلَّئِسَ يَمْرَحُومَ إِذَا ظَفَرُوا بِهِ وَلَا فِي الرَّدَى الْجَارِي عَلَيْهِمْ بِاتِّشَمْ (٣)

وقوله :

وَمَا أَنَا مِنْهُمْ بِالْعَيْشِ فِيهِمْ كُلَّكُنْ مَعْدَنَ الْذَّهَبِ الرَّغَامِ " (٤) (٥)

وأستشهد الخليفة المنصور ببيت المتنبئ في توقيعه على

رسالة الفونس الثامن ملك قشتالة وطليطلة :

وَلَا كُتُبٌ إِلَّا الْمَسْرِفِيَّةُ وَالْقَنَّا (٦)

وَلَازَلَ إِلَّا الْخَمِينَ الْعَرَمَمْ " (٧) (٨)

واستشهد الكاتب عبدالله بن عياش في رسالة عن الخليفة محمد الناصر بظاهر المهدية ببيت لاوس بن حجر "... وقال لنفسه الخبيثة لو اطاعته :

أيها (٩) النفس أجملى جزما إن الذي تحذرين قد وقعا (١٠)(١١)

(١) في الأصل، صفيرو، (٢) ديوان المتنيسي ج ٤، ١١٤.

(٣) المصادر نفسه . ٥٤ . ص ١١٢ .

٤٢) المهدى نفسه .

^(٥) وفیات الامیان، ج ٣، ص ٤٥.

(٦) في الأصل عنده والآخرين المعتبر: م

Journal of Health Politics, Policy and Law, Vol. 33, No. 4, December 2008
DOI 10.1215/03616878-33-4 © 2008 by The University of Chicago

• ١٣

(١١) مجموع رسائل موحدية ، ص ٢٥٣ ، السنة السابعة والستون .

وفي كتاب أبي بحر مصوان بن إدريين عن السيد عبد الرحمن بن يوسف بمرسية استشهد ببيت للغزدق حيث يقول (١) ... ثم دعوتنا أن نخلع عن الطاعة يداً، وما نراك اعتقدت ذلك علينا إلا نعمة ويداً

أَعِدْ نَظَرًا يَا عَبْدَ قَيْمَنْ لَعَلَّمَا (٢)

أَفَاءَتَ لَكَ النَّارُ الْحَمَارَ الْمُقْيَدَ (٣)

وفي الرسالة الثانية لأهل قربطة الموجهة إلى الخليفة المنصور أثناه، تقديم البيعة بولالية العهد لمحمد الناصر ابن الخليفة المنصور في ذي القعدة عام ٥٨٨هـ استشهد الكاتب ببيت لابي العتاهية حيث يقول "... وانفذ له بها حكمة السابق وامضاه، فهو كان بناحق بها وأهله".

وَلَمْ تَكْ تَمْلِحْ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُنْ يَمْلِحْ إِلَّا لَهُ " (٤) (٥)

ولم يقتصر الكاتب الديواني الموحدى على التنويع بين الشعر والشعر بل تجاوزهما إلى نشر الأبيات الشعرية ودمجها في سياق كلامه فمن ذلك رسالة أبي بحر مصوان بن إدريين عن محمد بن السيد عبد الرحمن ابن الخليفة يوسف الموجهة إلى ملك قشتالة وطلسيطلة في منتصف ذي الحجة عام ٤٩٤هـ التي نشر فيها بيت جرير حيث يقول "... فقف في حالة ورتك ومدرك وقفه العير وغض الطرف إنك من فمير) (٦) (٧) (٨) :

(١) مخطوط العطاء الجزيل في كشف مطاء الترسيل ورقة ٣٤ .

(٢) هي الاصل هربما .

(٣) ديوان الغزدق ج ١، ص ١٨٠ ، دار صادر ١٩٦٠ .

(٤) البيت ثالث وارد بديوان أبي العتاهية ، انتظره في كتاب الأبيات ،
تأليف أبي الشرج الأصفهاني ج ٤ ص ٤٣ ، دار الكتب موسعة جمال
للمطبامة والنهر . ورد البيت في وفيات الامميان ج ١ ص ٢٢١ . ملي
الشكل الثاني :

فلم تَكْ تَمْلِحْ إِلَّا لَهُ وَلَمْ تَكْ يَمْلِحْ إِلَّا لَهُ
وَهُبَلَهُ هي وفيات الامميان ،
انته الخلاة منقادة إِلَيْهِ تَجُورُ ادِيالُهَا

(٥) مخطوط الاسكندرية رقم ٤٨٨ ، ورقة ١١٦٧ كلية الآداب جامعة القاهرة
م ١٢ ، ج ٢ ص ١٧١ ، ١٩٥٠ .

(٦) حرف الراء مطموس تماما .

(٧) هرچ دیوان جریر ، تأليف محمد اسماعيل عبد الله التماري ص ٧٩
منشورات المكتبة للحياة بيروت .

(٨) مخطوط العطاء الجزيل في كشف مطاء الترسيل ورقة ٣٥ .

ونثر بيت أبي تمام من قصيده في فتح عمورية ضمن رسالة وجهها الخليفة عبد المؤمن بن علي بظاهر قسطنطينة إلى ولده يوسف حيث يقول (١) "... وهذه الفتوح التي تفتحت لها السماء واسفرت بانوارها دياجير الظلماء" (٢) .

ونثر عبدالله بن عياش البيت نفسه في رسالة وجهت إلى الأمة بمناسبة فتح المهدية، عن الخليفة محمد الناصر حيث يقول (٣) "... واملأوا المدور بما يرويه لكم من أحاديثها كل وارد ومادر فهو الفتح الذي تفتحت له أبواب السماء" (٤) .

ونثر الكاتب نفسه بيته للمنتبي في رسالة عن الخليفة محمد الناصر حيث يقول (٥) "... ثم أمرنا بالمجانيق فزحف بها إليه تقدّف حجارة كالجبال عليه وانشى عليهم سحاب مكفر من النبال تنكسر منه التصال على النصال" (٦) .

ولم تقتصر الكتب الديوانية على النثر أو التنويع بينه وبين الشعر بل تعدّهما، فجاءت بعضها شعرية بكمالها، وقد أورد ابن صاحب الصلاة قميضة للفيلسوف ابن طفيل من الخليفة يوسف وجهت إلى عرب بني هلال يستدعيمهم إلى الجهاد بالأندلس واستهلها بقوله : (٧)

أَقِيمُوا مَدْوَرَ الْخَيْلِ نَحْوَ الْمَغَارِبِ
لَغْزُو الْأَمَادِيِّ وَاقْتَنَاءِ الرَّغَابِِ
وَأَذْكُوا الْمَدَائِيِّ الْعَادِيَاتِ عَلَىِ الْعِكَىِ
كَفَدَ غَرَبَتِ الْحَوْرِ جَرَّهُ السَّلَاهِبِ

(١) المتن بالامامة، ص ٨١ . البيت ناقص من البيان المقرب (قسم الموحدين) من ٦٣ .

(٢) فتح ثقنة أبواب السماء له وتهيز الأرض في اشوابها الفحب هرج ديوان أبي تمام، ص ١٨ .

(٣) الاحاطة ج ٢ ص ٤٨٧ . المرفقات المطربات من ١٢ ط ١٢٨٦ هـ من ١٩٧٣ ط ١٨٣٥ .

(٤) الممدر السابق، ص ١٨ .

(٥) البيان المقرب (قسم الموحدين) ص ٤٦٢ . البيتين ناقص من الروض المعطار مادة (هليبطة) .

(٦) قصرت إدا امسايتها سهام تكسوت التصال على النصال . هرج ديوان المنتبي ج ٣ ص ١٧٢ .

(٧) المتن بالامامة، ص ٣٢٥ .

وأورد ابن صاحب الملاة كذلك) قصيدة ليوسف بن عبد المؤمن بن على الثناء ولايته على إشبيلية وجهها إلى والده، يستنجد به، ويطلب منه الجواز إلى العدوة الأندلسية حيث استهلها بقوله (١) :

هُوَ الْأَمْرُ أَمْرُ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ رَدٌّ
يُؤْيِدُهُ أَنِيدُ وَيُسْمِوُ بِهِ حَدَّ
وَقَدْ وَضَعْتَ آيَاتَهُ وَأَبَادَتَهُ

وجمعت القصيدة النثر والشعر وجاءت في خمسة عشر بيتاً وعندما قرأها الخليفة رد عليها برسالة مماثلة شملت خمسة وثلاثين بيتاً استهلها بقوله " (٢) " .

تَسْئَلُ لِأَهْلِ الْحَقِّ نَيْلَ مَرَادِهِمْ وَطَابَ كَفْهُ فِيمَا يَرُوْمَوْنَهُ الْوَزْدُ
وَبِسِرَّتِ الْأَسْبَابِ فَاخْتَيَرْتِ الْكَنْىَ وَأَحْكَمْتِ الْأَمَانَ فَانْتَفَرَ الْجَنَدُ

والملحوظ أن أبيات الخليفة عبد المؤمن بن علي جاءت على القافية نفسها التي أرسلها ابنه يوسف ولم يكتف بالكافية بل جعلها على البحر الطويل، وهو البحر نفسه الذي جاءت عليه القصيدة.

ونختتم كلامنا عن التنويع بين الشعر والنشر في الرسائل الديوانية الموحدية بتعليق القلقشendi في تفسيره ظاهرة الشعر في الرسائل الديوانية حيث يقول (٣) "... وأما الشعر فيورد حيث يحسن إيراده ويفسنه حيث يحسن منعه وليس كل مكاتبة يحسن فيها إيراد الشعر بل يختلف الحال في ذلك بحسب المكتوب عنه والمكتوب إليه" .

الأمثال العربية القديمة :

كما كان للتراث الديني والشعري ثصيب في الكتب الديوانية الموحدية، كان للأمثال العربية القديمة حظٌ إلى جانبيهما، فجاءت هذه تقارن وفهما بوضعه وتشبه حال بحال لتدعمه القول وتبثبيت الرأي ، كما فعل الكاتب بآيات القرآن والأحاديث الدينية، والآيات الشعرية، يقول القلقشendi عن طريقة استعمال الأمثال العربية القديمة في

(١) المن بالامامة . ص ٧٦ .

(٢) المصدر نفسه ص ٨٠ .

(٣) صبح الاممى . ج ٢ . ص ٢٩٦ .

الرسائل،" (إن الكاتب إذا أكثر) من حفظ الامثال الشائعة استعمالها
القادات إليه معانيها، وسبقت إليه الفاظها، في وقت الاحتياج إلى
نظائرها من الواقع والاحوال، فاودعها في مكانها، واستشهد بها في
موضعها، والطريق في استعمالها في النثر كما في حل الأشعار
واستعمالها إلا أن الامثال لا يجوز تبديل الفاظها ولا يتغير أوضاعها
لأنها بذلك قد عرفت واحتهرت " (١) .

هذا والتي مرسية السيد عبد الرحمن ابن الخليفة يوسف بن
عبد المؤمن يرد على كتاب الفوئس الشامن ملك قشتالة وظريفة الذي
حاول استعمالته وتحريضه على المسلمين ووالده، حيث يقول (٢) "...
وهيئات إنما رويت أن تذكري بما على المسلمين من الجلاء، فمنتفت
كما ظنت وانعدت فيما زعمت، ولكنك تحيلت في الذي خيلت، وتفكرت
فيما ذكرت ولنفسك يا ابن البغي بغيت وأسرت الحسوجين ارتفيت
رويدك لا تصرف علينا كيدك، وعلى رسلك فلا حاجة لنا إلى امتراء
رسلك وحنانيك إن كنت ذا طب قطب لعيينيك" (٣) ثم ضرب له مثلا ثالثا

(١) صبح الامسي، ٥، ١، ٣٥٣

(٢) مخطوط العطاء الجزيل في كنز مطابخ الترسيل، ورقة ٣٤ .

(٣) في النص مثليين الأول هو "أسرت الحسوجين ارتفيت" ويضرب
بلسان الذي يوهم الناس أنه معهم ويسأدهم، ولكنه يجر المفع
لنفسه، والامل فيه أن يوهم بالليلن فيه أنه يريد الروحوة فقط
ولكنه في الوقت نفسه يحسو الليلن معها ... الميداني، مجمع
الامثال ج ٣ ص ٥٢٥، رقم ٤٦٧ شرح محمد أبو الفضل ابراهيم، دار
الجيل بيروت ط ٢، ١٩٨٢، أبي مجيد البكري فعل المقطفال في هرج
كتاب الامثال لأبي مجيد العباس بن سلام ص ٧٦، شرح د. احسان عباد،
د. مجيد ماجد الدين مؤسسة الرسالة ط ٣، ١٩٨٣، الزمخمرى
المستقل فى امثال العرب ج ٠٢، ص ٤١٩ رقم ٤١٩، لسان العرب مادة
(٤) "يسروا في ارتقاء"

والمثل الثاني هو " إن كنت ذا طب قطب لعيينيك" ويضرب لمن يدمى
ملما لا يحسنه فإذا كان مالما أو طببا فاليعلم نفسه ويطيبها،
المستقل فى امثال العرب ج ٢، ص ٤٠٦، رقم ١٥١١ - لسان العرب،
مادة طب، أبو الفضل المسكري، جمعرة الامثال ج ٢، ص ٤٢٣، ٤٢٤ .
رقم ١٩٤٤ . شرح أبو الفضل ابراهيم مجيد قطاطش كتاب الامثال
ص ٦١٨ رقم ٢٠٧ .

(٤) مخطوط العطاء الجزيل في كنز مطابخ الترسيل، ص ٣٥ .

في آخر الرسالة والمتمثل في قوله " وقد اعذر من انذر" (١) .

والمثل نفسه ختم به ابن تومرت رسالته التي هدد فيها حكم المرابطين حيث قال "... وكتابنا هذا إنذار وإنذار، وقد اعذر من انذر" (٢) .

ومن رسائل الجهاد كتاب ابن تومرت الموجه إلى جماعة الموحدين حيث يقول "... نسأل الله تمام النعمة التي أنعم فيها علينا والمزيد فيما به أحسن إلينا، فمن كان على هذا فهو منا ومن حزبنا، وعند الصباح يحمد القوم السرى" (٣) (٤) .

ومن كتاب الشكایة الموجهة من عبيد الحفرة إلى الخليفة محمد الناصر، استشهد الكاتب أبو محمد بن حامد بالمثل نفسه "... ولولا ضلالهم لمحو سرى ذلك الصباح" (٥) .

ومن الرسائل التي تعود الخلفاء الموحدون، إرسالها إلى الرعية يخبرونهم بانتصارتهم وفتحوازاتهم، كتاب الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بن علي، المصادر من مدينة قفصة عقب شهر رجب من عام

(١) يهرب لمسن انذر ونبهك فقد أصبح معدوراً منك، كتاب الامثال، ص ٢٢٦ رقم ٦٩٥، فصل المثال ص ٣٠٥، مجلد الامثال ج ٢ ص ٣٦٣، رقم ٢٨٩٦، لسان العرب، مادة (مندر)، جميرة الامثال ج ١ ، ص ١٦٢، رقم ١٦٧.

(٢) العجل الموهبة، ص ١١١.

(٣) المثل الوارد في النص، هو منذ الصباح يحمد القوم السرى . ويُهرب في الحث على مزاولة ومحاباة الأمور، وتحمل المهمة لا يقتضى الراحة، والهدف المطلوب، كتاب الامثال، ص ١٧٠، رقم ٤٧٠، المستقى في امثال العرب، ج ١، ص ١٦٨، رقم ٥٧٠، مجلد الامثال ج ٢ ص ٣١٨، رقم ٢٢٨٢، أبو طالب المفلل بن سلمة، كتاب الفاخر، ص ١٥٨، ١٥٩، تحق هالن ايزوس استوري ط ٢، ١٩٨٢، جميرة الامثال، ج ٢ ص ٢٤، وذهب القلقشندي، انه يهرب للخرفيب في السير في النيل، والحدث مليء، صبح الامثال ج ١، ص ٣٤٨.

٥٥٧٦ يبشر أهل الشبيبية بتمام فتح المدينة، واقتحامها من طرف الجيش الموحدي حيث يقول "... لقد كان باع فيها الشيطان وفرخ ودعاعهم إلى محاربة الله" (١) (٢) .

الإيجاز والاطناب

احتلت الرسائل الديوانية التي بين أيدينا مرتبة وسطى بين الطول والقصر وهذا عكس ما ذهب إليه حسن جلاب في قوله أنها امتازت بالطول، وأن معظمها تجاوز عشر صفحات، ومنها ما وصل عشرين صفحة (٣) .

لأن المادة المتوافرة لديه لا تسمح له أن يخرج بمثل هذه النتيجة، فما كان اعتماده إلا على عدد قليل مما توافر لديه من الرسائل الديوانية، المتناثرة بين صفحات الممادر المطبوعة كالبيان المقرب، ونظم الجمان والحلل الموشية والمن بالامامة ومجموعة بروفنصال وعلى الرغم من أن رسائل المن بالامامة وبروفنصال امتازت إلى حد ما بالطول، فإن كثيراً منها ظهر عليه الإيجاز كرسائل البيعة، أما الرسائل الست التي حققها بروفنصال ونشرها عام ١٩٢٨ بباريسن (٤) فامتازت في معظمها بالإيجاز على الرغم من ظهور البتر عليها.

وأما قوله - حسن جلاب - أن بعض الرسائل وصلت إلى عشرين صفحة (٥) فيإن الباحث لم يتوصل إلى إكتشاف ذلك بين الممادر المذكورة

(١) أصل المحتوى "قام فيما وفرج، يصرب لمن اشتد مقرها مسكنه له ولا يقادره أبداً، وهو شبيه بالطاطور الذي يجعل على بيضة مدة طويلة المستقص في أمثال العرب ٢٤٦، من ٢٤٦، رقم ٨٤٤، مجلد الامثال ١٤، رقم ٩٤، رقم ٢٣٩ لسان العرب مادة (فرج) .

(٢) مخطوط العطاء بالجزيل في كهف هطاء الترسيل، (الزوابع)، ورقة ٤.

(٣) الدولة الموحدية، آخر العقبية في الأدب، ص ١٣٨ .

. Documents in dits d'histoire almohade ppt-17 texte arabe (٤)

(٥) المرجع نفسه، ص ١٣٨ .

اعلاه، وأما الرسائلتان اللتان وردتا بالحلل الموشية (١) فامتازتا
باليجاز فالثانية نالت شهرة كبيرة في تاريخ الموحدين، وهي التي
الغى بها الخليفة المأمون مراسيم المهدى بن تومرت، وقد وردت في
غير الحلل الموشية (٢).

واما الاولى فهي لابن تومرت، ولو أنها جاءت خالية من البسمة
والتمليمة فقد ظهر عليها - في مجملها - التماس، وعدم البتر، ولم
يشر إليها الكاتب فمن مجموعته المستخرجة، ومن خلالها يهدى ابن
تومرت المرابطين بقوله (٣) : إلى القوم الذين استلزمهم الشيطان،
وغضب عليهم الرحمن، الغنة البااغية والشرمدة الطاغية اللمتونية
اما بعد فقد امرناكم بما نامر به انفسنا من تقوى الله العظيم
ولزوم طاعته، وان الدنيا مخلوقة للفناء، والجنة لمن اتقى والعقاب
لمن عصى، وقد وجبت لنا عليكم حقوق. بوجوب السنة، فان اديتموها
كنتم في عافية، والا فنستعين بالله على قتلكم حق نسمحوا آثاركم
ونهدم ديارهم وحتى يرجع العامر خاليا، والجديد باليها، وكتابنا
هذا إليكم إعذار وإنذار وقد اعذر من انذر والسلام عليكم، سلام
السنة لا سلام الرض".

او رسالة الثانية الموجهة للمرابطين كذلك "بسم الله
الرحمن الرحيم وملى الله على سيدنا محمد وآلـه الطاهرين، اما بعد
يا عفو الديار وعياد الفساق الاشرار فقد كاتبناكم بالبيان
وخاطبناكم بالبيان حتى سار كالبدر واستمر مرور الدهر فلم تجيبوا
ولا اطعتمـ بل تشققـتم عن الحق وعصيـتم وان الله سينتقم منكم
لأوليـائه نـقـمة من كان قبلـكم من الـامـمـ الجـاحـدةـ والـفـرقـ المـعـانـدةـ
فـانتـظـرواـ سـيفـ الدـمـ يـنـهـلـكـمـ وـحـجـارـةـ الـمـدـرـ تـدـفعـكـمـ ثـمـ لاـ يـكـونـ لـكـمـ

(١) الحلـلـ المـوـشـيـةـ ، صـ ١١١ـ ١٦٤ـ ١٦٥ـ .

(٢) المصـدرـ نـفـسـهـ ، صـ ١٦٤ـ ١٦٥ـ الـبـيـانـ الـمـقـرـبـ (ـقـسـمـ الـمـوـهـدـيـنـ) صـ ٢٨٧ـ ٢٨٦ـ .

(٣) المصـدرـ السـابـقـ ، صـ ١١١ـ .

استرجاع ولا يقبل فيكم استشفاع وهذه خيل الله قد اظللكم وجلها
وطفس عليكم سيلها فتاهبوا للموت والسلام على من اتبع الهدى هداه
ولم يغلب عليه هواء ورحمة الله وبركاته " (١) .

وهذا ما امتازت به كتب ابن تومرت باستثناء كتابه الموجه
إلى جماعة الموحدين (٢) فإن ما جعله على هذه الصورة هو ميله إلى
تبسيط الأمور للعامة ، وحرمه على الاستشهاد بمعظم الآيات القرآنية
التي تناولت موضوع الجهاد ، وبعف الأحاديث النبوية والأقوال
المأثورة ، ولو لا ذلك لا حذلت هي الأخرى مرتبة وسطى بين الإيجاز
والاطناب .

ويذهب الكلاعي في قوله عن الاطناب " إنه) يكتب به إلى عامة ،
وتفرع به آذان جماعة كالصلح بين العشائر والتحفيض على الحرب
والتحذير من المعمصية " (٣) .

لكن هذا لا ينطبق على رسالة الجهاد المكتوبة عن الخليفة
العادل الموجهة لأهل اندوغر (٤) او رسالة ابن تومرت (٥) .
ومع أن ابن عذاري لم يورد إلا الخبر الأساسي في الرسائل التي
استشهد بها في البيان ، فإننا أعدنا بناء رسالة فتح حصن شلبطرة *
معتمدين في ذلك على النص الآخر الذي أورده الحميري (٦) .

(١) ابن العلاني ، دليل تاريخ دمشق ، ص ٢٩٣ بيروت ١٩٠٨ .

(٢) أمر ما يطلب ، من من ٢٥٧-٢٦٤ . اهفال المؤتمر لأول ل بتاريخ المغرب
العربي وحضارته ٢ ١ ص ١٠٢-١١٠ .

(٣) إحكام منعة الكلام ، ص ٩٥ .

(٤) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٢٧٠-٢٧١ .

(٥) documents inedits d'histoire almohade , pp 8-10 texte arabe .

(*) هلبطرة = salvatierra فتحه الموحدون عام ٦٠٨ هـ الروض المعطار مادة هلبطرة .

(٦) الروض المعطار مادة جزيرة الاندلس ، مادة (هلبطرة) .

أو رسالة ابن جعفر بن عطية التي استشهد بها ابن الأبار (١) والحميري (٢) ولسان الدين بن الخطيب (٣) وعباس بن إبراهيم المراكشي (٤) والمقربي (٥) والنامر (٦).

فقد امتازت هي الأخرى بمرتبة وسطى بين الإيجاز والإطناب، ولو أنها من رسائل الافتخارات وهذا عكس ما ذهب إليه شهاب الدين محمود الحلبي في قوله : إن رسائل التهانى تمتاز بالاطناب (٧).

ونرى أن الموقف هو المقياس الوحيد الذي يتحكم في إيجاز وإطناب الرسالة وينال الموضوع التمثيل الثاني في بنية الرسالة، ومحتوها.

فكم امتاز كتاب بيعة أهل إشبيلية للخليفة يوسف بالإيجاز (٨)، امتاز كتاب العهد لمحمد الناصر من أهل قرطبة بالإطناب (٩)، وكما امتازت معظم كتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالإطناب (١٠)، جاء كتاب الخليفة المامون في الموضوع نفسه معتملاً (١١).

وبناءً عليه فلا يمكن أن يجزم كون الرسائل الديوانية الموحدية ظهر عليها الإيجاز أو الإطناب، أو توسطت الاثنين، لأن لكل مقاماً فقد يتطلب الموقف الإيجاز كما تتطلب الإطناب.

(١) امثال الكتاب . ص ٢٢٧-٢٢٩. (٢) البروف المعطار مادة (ماست).

(٣) الاحاطة ج ١ ص ٢٦٩-٢٧٠.

(٤) الاملام بمن حل بمرايهم وأهميات من الاملام ، ص ٢١٩-٢٢١.

(٥) النفع . ج ٧ . ص ٢٨٦-٢٨٨ . (٦) الاستفهام . ج ٢ . ص ١١١-١١٢ .

(٧) حسن التلوين . ص ٤٥٩-٤٦١ . (٨) المن بالامامة ، ص ٣٣٥ .

(٩) مخطوط الاسكوريال ، رقم ٤٨٨ ، ورقة ١٦٣ ب - ١٦٨ ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة م ١٢ . ج ٢ دiciembre ١٩٥٠ ص ١٦٦-١٧٢ .

(١٠) نظم الجمسان ، من ١٥٠-١٦٧ ، مجموع رسائل موحدية من ١٢٦-١٢٨ . الرسالة الثالثة والعشرون .

documents inedts d'histoire almohade appendie no 1
p p 134 - 145 texte arabe

(١١) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٢٦٧ - ٢٦٨ .

واما المادة المتوافرة لدينا فهي لا تشمل كل الفترة الزمنية لحكم الموحدين لأننا لو رتبنا الرسائل ترتيبا زمنيا ، سنقع في فجوة كبيرة الواقعة بين الواحد والعشرين من شهر رمضان من عام ٦١٢هـ (١) والعشر من شهر ربیع الاول من عام ٦١٧هـ (٢) لم نعثر على رسالة واحدة في حياة الخليفة المستنصر خلال هذه الفترة ، وهذا لا ينفي أن تكون هناك رسائل مخطوطة غير معروفة تعكس معظم هذه الآراء وربما اثبتتها.

وما يستخلص من بعض الرسائل المخطوطة أنها غير أصلية بل أعيد تحريرها بعد جمعها فحذف منها المقدمة والخاتمة ، وتدخل جامعا في بعض الأحيان فحذف أمورا كثيرة من متنها كما نقف على ذلك في رسالة طلبة قرطبة الموجهة إلى الخليفة محمد الناصر حيث تدخل جامعاً الرسالة بقوله : "... وكان بعد هذا دعاء للحفلة الإمامية يليق بمقامها العظيم لم يثبت في المبادفة ، ولم اذكره عند نقل المبادفة إلى هنا لبعد العهد بذلك التاريخ ، إذ كان نقل المبادفة في شهر رمضان المعظم في سنة تسعين وخمسمائة ولم اذكر شيئاً من الدعاء الشاب في آخر كتاب البيعة".

وقوله (٤) "... وتتابعت الأسماء حتى كملت أسماء الحاضرين من أهل الحافظة والمستنفرین من أهل البدایة والحمد لله رب العالمين". وهذا بدون نقل الأسماء كما وجدنا في الأصل المنقول عنه ، او تدخل ناقل الرسالة بحذف أمور كثيرة من صدر رسالة الخليفة يوسف حول توقيع الهدنة مع النصارى "... من أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين ایده الله بنصرة وأمده بمعونته إلى الطلبة والموحدين

(١) مخطوط المطهار الجزيل في كشف مطهار الترسيل ، ورقة ٧٠ .

(٢) البيان المغrib (قسم الموحدين) ص ٢٦٨ .

(٣) مخطوط الاسكوریال رقم ٤٨٨ ورقة ١١٦٧ ، مجلة كلية الاداب جامعية القاهرة م ١٢ ٢٥ ، ص ١٧٣ ، ديسمبر ١٩٥٠ .

(٤) المصدر نفسه ورقة ١١٦٣ المرجع نفسه ص ١٦٦ .

والشيوخ والاعيان والكافة بمراياش ادام الله كرامتهم بتقواه سلام عليكم إلى آخر المصدر" (١) .

فحذف ناقل الرسالة الكلام الذي ورد في الاصل المنقول عنه ، وانتقل مباشرة للموضوع الاساسي.

وكذا الحال في رسالة السيد عبد الرحمن ابن الخليفة عبد المؤمن بن علي الموجهة إلى الغونس الثامن ملك قشتالة وطليطلة حيث يقول "... أما بعد الحمد لله تعالى إلى آخر المصدر" (٢) .

وتتبه الناقل إلى كتاب الشكایة الذي هو بمقدار نقله شبيه بالذي سبقه فقطع الكلام بقوله (٣) "... وكان نجلكم طالع مثل هذا بافعال القوم ، ثم استمرت على نفس التي نجلكم" .

ولم تقتصر هذه الامثلة على الرسائل المخطوطة بل شملت المحقق المطبوعة في كتاب بيعة اهل مكتبة الخليفة العادل ورد ما ياتي "... وقيدوا عليه شهاداتهم" (٤) وهي أسماء اهل مكتبة ، الذين رفعوا بيعتهم للخليفة العادل لكن ناقل الرسالة اضاع علينا بعض الحقائق ربما كانت ستثير السبيل لبعض القضايا الفاصلة .

ومن خلال الرسالة الأخيرة نتساءل ، هل وجد ابن عذاري هذا الكلام منقولا في الرسالة وهو بمقدار كتابة البيان ، أم تدخل فحذف الأسماء الواردة بها ؟ . وصرح الكاتب نفسه بعد الاستشهاد بفقرة من رسالة الخليفة عبد المؤمن بن علي بظاهر قسطنطينية أنها " ... طويلة نظما ونشرنا وأفربنا عنها لاختصار" (٥) واستشهد ابن صاحب الملا

(١) مخطوط العطاء الجزيل في عهد قطبه الحرسيل (الزواد) ورقة ٢١ .

(٢) مخطوط العطاء الجزيل في عهد قطبه الحرسيل ورقة ٥٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ورقة ١٦٩ .

(٤) البيان المغرب . (قسم الموحدين) ص ٣٧٨ .

(٥) المصدر نفسه ص ٦٣ .

بها كاملة دون أي حذف (١).

فرسالة فتح حمن شلبيطرة) التي أوردها ابن عذاري (٢) توحى للوهلة الأولى بالإيجاز، لكن إعادة بنائتها معتمدين ، على النص الآخر الذي أورده الحميري (٣) يجعلها متوسطة بين الإيجاز والإطناب، وربما لو عثثنا على نص آخر ورد به مصدر الرسالة وخاتمتها وربما بعض ما حذف من متنها لامتزالت بالاطناب.

لذا فإن القول بأن الرسائل الديوانية الموحدية امتازت بالإيجاز أو الإطناب أو احتلت مرتبة وسطى بين الاثنين حكم نسبي حتى الآن.

وأما الرسائل الموجهة إلى الرعية ، التي امتازت بالإطناب وتكرار متراوحتها، فإننا لم نجد أدق من تعليل أبي العلاء العسكري في قوله (٤) "... و (الاطناب) مشترك فيه الخامدة والعامدة ، والغبي والفطن ، والرفق والمرتفق ، ولمعنى، ما أطيلت الكتب السلطانية في إفهام الرعاعيا". فهذا من الأسباب التي جعلت بعض الرسائل تمتاز بالإطناب ، إضافة إلى استعمال الكاتب عدداً كبيراً من المحسنات البدوية أمماً جعله يطبب في كثير من الأحيان.

لكن إذا لم توجد رسائل أخرى متباينة بين الموحدين وجمهوريّة بيشه وجنة غير المتوفرة لديها) فإنه بامكاننا أن نقول إنها امتازت بالإيجاز نظراً لعدم دخول البتر عليها ، بالإضافة إلى رسائل التوقيعات لأنها تحمل الإيجاز في حد ذاتها.

ونرى أن الإيجاز والإطناب ليسا غاية ، وإنما وسيلة ، يسيران في كنف الظروف المحاطة بالرسالة ، فقد يجد الكاتب نفسه أحوج إلى الإطناب فيطلب أو إلى الإيجاز فيوجز.

(١) المن بالعامدة . . من ص ٧٨-٨٣ .

(٢) المصدر السابق . . ص ٢٦١ ، ٢٦٢ .

(٣) الروض المعطار ، صفة جزيرة الاندلس ، مادة (شنبيطرة) .

(٤) كتاب الصناعتين . . ص ٢٠٩ .

ويذكر ابن عذاري ضمن احداث عام ٥٩١هـ أن الخليفة المنصور بعد فوزه في الازك امر كاتبـه ، ان يكتب لامة بمناسبة هذا الانتصار وان يوجز في الوصف قدر الايجاز ، وان ينحو من خلالة منحي رسائل الفتوحات والانتصارات في مهد الصحابة رضي الله عنهم (١) . ويذهب الكلاعي في حديثه عن الايجاز انه (٢) "... يخاطب به اهل الرتب العالية ، والهمم السامية لأن الموجز عند هذه الطائفة انفق من الإطالة ، والإشارة لديهم انجح من تطويل المقالة ، وما ذاك إلا بعد همهم ، وفتح خواطيرهم ... والأصل في ذلك التخفيف عن اهل الممالك ، لأن قراءة الكتب وسماعها كلفة والواجب تخفيف التكلف عن الاكابر والملوك" .

لكن الخليفة المرتضى خالقه في كتابه الموجه إلى البابا إينه سانش آشن الرابع (٣) لأنه لم يجد بداً من الإطناب ، فال موقف فرض عليه ذلك اثناء مخاطبته لرجل على غير ملته ، وفي فترة ضفت فيها الدولة الموحدية ، والظروف التي احاطت بها قبل كتابة الرسالة . ونجد الخليفة المنصور في رده على كتاب الفونس الثامن ملك قشتالة وطلبيطة يجيئه ببعض الكلمات فقط لأن الموقف حتم عليه ذلك ، فلم يجد احسن من قوله تعالى " (إِرْجِعُوهُمْ فَلَنَّ تَبَيَّنُهُمْ بِجُنُودِهِ لَا قَبْلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنَخْرُجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) الجواب ما ترى لا ماتسمع " (٤) (٥) .

وأنشدت بيت المتنبي متمثلا في قوله :

"ولا كتب إلا المشرفية والقنا ولارسل إلا الخميس العرمم " (٦) (٧)

(١) البيان المغرب (قسم الموحدين) ، ص ٢٢١ .

(٢) احكام صنعة الكلام ، ص ٩١ .

p 30.31 une lettre de lalmohade murtada au pape innocent 4. (٣)
voir

(٤) سورة النحل ، آية ٣٧ (٥) الانبياء المطروب ، ص ٢٢١ . وميره .

(٦) ديوان المتنبي ، ٣٥٢ ص ٣٥ .
" ولا كتب إلا المشرفية منه ولارسل إلا الخميس العرمم "

(٧) المصدر السابق ، ص ٢٢١ . وميره .

الجمل الدعائية والمعترضة

يقصد بالجملة الدعائية الدعاء للمرسل - بكسر السين - بطول العمر وعز دولته وتعظيمها بالخير والبركات ودوار عزته (١) .
 وأما الجملة المعترضة فيقصد بها الجملة، أو الكلمة التي تأتي بين معتبرتين على شكل دعاء، فإذا ذكرت مدينة من مدن الموحدين يتبعها الكاتب بجملة اعتراضية دعائية كقوله : حرسها الله (٢) أو كلأها الله (٣) أو كرمها الله (٤) أو فرها الله (٥) ، وإذا كانت من المدن الإسلامية التي سقطت بيد النماري كانت الجملة الدعائية امادها الله (٦) أما إذا ذكرت المدن الزهرانية كانت الجملة الدعائية المعترضة فتحتها الله (٧) ورفعي الله عنه بالنسبة لمهدיהם ابن تومرت (٨) ، وايده الله لكل خليفة من خلفائهم (٩) ، ووفهم الله لطبقات الموحدين (١٠) .

ومن الجمل الدعائية التي وردت ضمن الكتب الديوانية الموحدية رسالة وجهت إلى السيد أبي إسحاق أخي الخليفة المرتضى، أثنا، تحضير الجو لتقديم البيعة للخليفة الجديد، استهلها بقوله

(١١)

(١) أحكام صحة الكلام ، ص ٧٥ .

(٢) مجموع رسائل موحدية ، ص ١ ، ٤ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥ ، ١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٩٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٥ ، ٩١ ، ٩٢ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٨ ، ١٣ ، ٢١ ، ٨٢ ، ٨٨ ، ١٣٤ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ١٩٧ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ١٧٦ ، ١٩٤ ، ٢٣٠ .

(٨) المصدر نفسه ، ص ٨ ، ١٢ ، ٢١ ، ٨٢ ، ٨٨ ، ١٣٥ .

(٩) المصدر نفسه ، ص ١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١٧ .

(١٠) المصدر نفسه ، ص ١ ، ٣ ، ٥ ، ٧ ... نظم الجمان ، ص ١٦٤ ، ١٦٧ .

(١١) رسائل ديوانية من سبعة ، ص ١٠٩ .

السيد الأجل الأعز أبو إسحاق الأمير الطاهر المرحوم أبي إبراهيم ابن سيدنا الخليفتين الإمامين أميري المؤمنين، زاد الله مقامهم الأسمى طهوراً وعلواً، وابقاء مؤملاً في المهمات مرجواً ولا أعدم عوارات المصنوع الجميل له إطاراً ولا نمواً وعرف من اعتنائه بمصالح أوليائه ما يزال الشكر له مردداً متلواً".

وبعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، والرفيق عن الإمام المهدي يستمر في الدعاء لل الخليفة المرتضى "... كتب الله لمقامكم الأسمى سعراً لا يزال الدهر عنه مبتسماً وقمحاً للأمر في العناية بمصالح عباد الله وببلاده ممتنعاً وحمدًا لا يبغي بطيبه بديلاً" (١).

وعلى نحو ما سبق جاءت رسالة أهل قرطبة في تقديم البيعة بولالية العهد لمحمد الناصر ابن الخليفة يعقوب المنصور، حيث تكررت المترادفات نفسها في مطلع الرسالة "... الحفرة الإمامية العلية المعظمة المكرمة السنوية الطاهرة القدسية معلية منار الإسلام ومصفيّة أحكام الكرام والأئمة الناصحاء الأعلام في تحسين النظر لامة محمد عليه أفضل الصلاة وأطيب السلام، حفارة سيدنا ومولانا الإمام الاهدى المترضى، نور الحق المشهور وسيف الله المنتضي أمير المؤمنين ابن سيدنا ومولانا الإمام أمير المؤمنين ابن سيدنا ومولانا الخليفة أمير المؤمنين قرن الله امرهم . وعمرهم بالدوام ، وزين عقدهم وعدهم بالاتساق والانتظام . واطلع بدور سعدهم، وشموس مجدهم على اجمل احوال الكمال والتمام كما جعل لهم مواقب الايام وفرق طاعتهم على كافة الانماط" (٢).

إن الإطناب في النص ملفت للانتباه، فقد كرر الكاتب اللفاظ نفسها في التعظيم والدعاء للمرسل - بكسر السين - كقوله "... الحفرة الإمامية العلية المعظمة المكرمة السنوية الطاهرة القدسية".

(١) رسائل ديوانية من سبعة . من ١١٠ .

(٢) مخطوط الاسكور بال رقم ٤٨٨ . ورقة ١٦٣ بـ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة م ١٢ ، ٢٥ ديسمبر ١٩٥٠ من.

وحول هذا يقول الكلامي (١) إن إطناب الكاتب في الدعاء للمرسل - بكسر السين - دليل على ضعف المادة .

وعلى نحوه سار كتاب الشكایة المقدم من الكاتب أبي القاسم البلاوي عن السيد إبراهيم ابن الخليفة يوسف دار موضوعا حول عبث جماعة فلانة بمنطقة اشبيلية (٢) "... الشیخ الاجل الافر الاکرم الاشی خالد الاراد الاخلص الاذکر الافضل ابو سعید ابن الشیخ الاجل ابی محمد بن الشیخ الاجل المرحوم إبراهيم بن اسحاق ادام الله عزته ووصل كرامته ورفقته ولیه في الله تعالى ومحبة فيه البر بجانبه المؤشر له الحفی به".

ومن الملاحظ أن الجمل الدعائية تكثر ضمن الرسائل الموجهة من الولاة والقضاة والطبقات الموحدية إلى الخلفاء، أو ما أدنى من ذلك أي توجّه من ديوان القاضي إلى ديوان الوالي، فالدعاء لا يرد ضمن الكتب الصادرة من ديوان الخليفة إلى من هو أدنى منه مرتبة، بل يأتي في هذه الحالة على صفة الشكر لله عز وجل.

اما الجمل المعترضة فتاتي هي الأخرى على شكل دعاء وإن كانت غير متسلسلة إلا إذا اقتداء سياق الكلام لذلك.

وهذا ما نجده في كتاب أبي جعفر بن عطية المادر عن الخليفة عبد المؤمن بن علي المؤرخ في التاسع من شهر ربيع الثاني عام ٥٤٣هـ حيث يقول (٣) "... وهذا الأمر - وفقكم الله - هو أمر المهدى - رضي الله عنه - حق فتامل، ومع معالمه الجلاء فلا ظن ولا تخيل، والمهدى - رضي الله عنه - قد بشر به النبي - ملئ الله عليه وسلم - في غير ما حديث، وظهرت علاماته وآياته في قديم مزامره وحديث، ودل على اسمه وزمانه و فعله ومكانه، بادلة رفعت الاشكال والتعسف،

(١) أحكام منحة الكلام ، ص ٧٢ .

(٢) مخطوط العطاء الجزيل في عطف مخطوطة الترسيل ، ورقة ١٦٧ .

(٣) مجموع رسائل موحدية ، من ٨ ، الرسالة الرابعة .

فاتى - رضي الله عنه - كما نعت النبى - عليه السلام - ووصف وقال -
صلى الله عليه وسلم - فيه وفي طائفته العزيزة ما قد ظهر ظهور
الإشاعة والإذاعة".

وسار أخوه عقيل بن عطية على نهجه في رسالة عن الخليفة
عبدالمؤمن بن علي، المؤرخة في العشرين الأولى من شعبان عام ٥٥٢هـ
حيث يقول (١) "... إلى أن تمكن لهم أخذ بياست - حرسها الله -
فحملوا منها بالجامع ... والآن - وفقكم الله - قد استراحت الاندلس
من دائرها العفال ... وخطاب الطلبة - أعزهم الله - معلمين على
الجملة والإجمال، بتلك الفتوح ... ومبينين بأنها - والحمد لله -
متصلة في عنفوانها جارية في ميدانها ملء عنانها وأعلمها
وفيقكم الله - بما تمنى من هذه المسرات المتواترة".

وتبيّن لنا أن الجمل الدعائية والمعترفة تكثر في عهد بداية
الدولة، وهو ما نجده في رسائل أبي جعفر بطية، وتقل بعدها حتى تزول
 تماماً فلم نجد جملة اعتراضية واحدة فمن الرسائل الديوانية خلا
فترات متباينة من عهد الدولة، ونعتقد أن ذلك يرجع للمفهوم الدعائي
التي اعتمدت عليها الدولة لبث آرائها الجديدة بين الناس أو في
صفة امتياز بها الكاتب أبو جعفر بن عطية وأخيه عقيل إذ تكثر في
رسائلهما بشكل واضح وملفت للانتباه.

والواضح في الصورة المخطوطية للرسالة الخامسة، في مجموعة
بروفنسال، التي ضمنها عبد الهادى التزاوى (٢) أن أصل الجمل
الاعتراضية والفوائل وردتا على شكل ثلاث نقاط بشكل مثلث وهذا ما
يلحظ في معظم رسائل مخطوط العطاء، الجزيل وزوايته، وليس بين
شرطتين، وأعتقد أن هذا ما جعل المحقق يستغني عن استعمال
الشرطتين، ويكتفى بالفوائل، وهو ما تمثله رسائل الممن بالإمامية.

(١) المصدر نفسه، ص ٨٠، الرسالة السادسة مهر.

(٢) التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج ٦ ص ٨٢.

وعند المقارنة بين رسالة الفصول المستخرجة من مخطوط فام
التي حققها بروفنسال وضمنها في ملحق كتابه الوثائق غير المنشورة
عن كتاب الموحدين (١)، أو الرسالة نفسها المبتورة والمستخرجة من
مخطوط الأسكوريال (٢) جعل الجمل الاعترافية بين فاصلتين، ولكنه
عندما أعاد تحقيقها مرة أخرى ونشرها عام ١٩٤٠ (٣) جعلها بين
معترضتين.

documents inédits d'histoire almohade appendice no 1 (١)

ibid pp 13-17 texte arabe (٢)

(٣) مجموع رسائل موحدية ، من ص ١٢٦ - ١٣٨ الرسالة الثالثة وابن معروف .

الأساليب :

تبين لنا من خلال دراستنا لمختلف الرسائل الديوانية الموحدية أنها تحلت بثلاثة أساليب .

فأولها الأسلوب المرسل : ونقدم به تلك الرسائل التي أُنبعثت على سليقة حرة ، فلا سمع يكتنفها ولا مقابلة ولا ازدواج ... ، حيث تحرر الكاتب من قيود المفهوم وجعل المعنى هدفة ، وال فكرة نصب عينيه ، والهدف من كتابته إبلاغ المرسل - بكسر السين - والفرق الذي يمbo إلية .

وفي هذا يقول عبد القاهر الجرجاني (١) "... ولن تجد أيمان طائراً وأحسن أولاً وآخرًا وأهدي إلى الإحسان، وأجلب إلى الاستحسان، من أن ترسل المعانى على سجيتها، وتدعها تتطلب لأنفسها، فإنها إذا تركت وما تريده لم تكتس إلا ما يليق بها .

ومن ذلك كتاب الحرف على الجهد لابن تومرت، الموجه إلى جماعة الموحدين (٢) "... والدين الذي جاهدوا عليه هو الدين، لا يحول ولا يزول، حتى ينفع في المصور، والسنة التي قاتلوا عليها هي هذه (٣)، لا تبدل ولا تتغير، حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فاصبروا على هذا الدين كما صبروا، وجاهدوا عليه كما جاهدوا، واحتسبوا ما أصابكم في سبيل الله كما احتسبوا ثناهم عندهم من الأجر ما نالوا، فإنهم إنما نالوا التعيم الدائم بالصبر على الجهد، والاستعداد بالاعمال المألفة ولزوم التقوى في السر والعلنية " .

فيجاء رسالته على شكل خطبة من خطب الجمعة ، وكأنها من النشر الشفاهي، الذي يتحرر فيه الخطيب من كل القيود ، فيجعل

(١) اسرار البلاغة ، من ٢٠٠١٩ .

(٢) أهز ما يطلب ، ص ٢٥٩ ، اشغال المؤتمر الاول ل بتاريخ المغرب العربي وحضارته ، ج ١ ص ١٠٥ .

(٣) هي الاتصال ولا تتحبد .

الالفاظ مسترسلة متتالية خاضعة للمعاني فلا تكلف يعتريها ولا فنعة
تحويها .

وعلى نحوها جاء كتاب عبد الرحمن ابن الخليفة المنصور الموجه
إلى الأرسفسك، وحكام بيشة، حيث التزم الأسلوب المرسل نظراً للموقف،
وهو إبلاغ الحكومة البيشية بحادثة الإعداء على المسلمين حيث يقول " ... وقد علمتم مالم تزل الحفرة العلية الإمامية، أدام الله نصرها
تامر به من حفظ النصارى المعاهددين، وإجرائهم على العدل حيث حلوا،
من بلاد الموحدين لا تنالهم مفرة في متصرفاتهم ولا يتعدى على أحد
منهم في تجارتكم وقد وصلنا إلى تونس - كلاماً الله - فوجدنا مسطحات
من إخوانكم أخذوا مراكب المسلمين، وقتلوا جملة بمنهم، واستأصلوا
أحوالهم وفعلوا ما لو رفعناه إلى الحفرة العلية الإمامية - أدام
الله تأييدها - لخيف على إخوانكم الذين ببلاد الموحدين كلها، لكن
رأينا أن نصرف عقوبتهم في هذه المرة إليكم لتفعلوا فيهم ما يفعله
اشياخ جنوة في من تعدى على المسلمين " .

يتضح من خلال النص أن السيد عبد الرحمن استرسل في كتابة
فكان أسلوبه بسيطاً، خالياً من كل تكلف بعيداً عن المحسنات اللغوية
طلق العنوان لقلمة، فاسترسل كلامه سلساً بلا تكلف ولا تعقيد .

أما الأسلوب الثاني فهو المتوازن، ونقدم به ذلك الأسلوب
الذي تتساوى فيه الجمل، وتتوازن، بحيث تتساوى الألفاظ في الفقرة
الأولى، والثانية، وبذلك تخضع الجمل لقانون الاعتدال،
والتساوي .

وفي ذلك يقول ابن الأثير (١) "... تكون الفاظ الفوامل من
الكلام المنثور متساوية في الوزن ... وللكلام بذلك طلاوة ، ورونق ،
وسبيه الاعتدال لانه مطلوب في جميع الاشياء وإذا كانت مقاطع الكلام

(١) المثل الساخر . ٢٩١ ص ١٥ .

معتدلة وقعت من النفس موقع الاستحسان وهذا لامرأة فيه لوفوجه وهذا النوع من الكلام أخو السجع في المعادلة دون المماطلة لأن في السجع اعتدالاً وزيادة على الاعتدال " .

ونمثل له برسالة أبي عبدالله بن عياش عن الخليفة المنصور في نكبة ابن رشد حيث يقول (١) "... وقد كان في سالف الدهر قوم خافوا في بحور الأوهام وأقر لهم عوامهم بشوف عليهم في الأفهام، حيث لا داعي يدعوا إلا الحسقي القيصوم، ولا حاكم يفصل بين المشكوك فيه والمعلوم، فخلدوا في العالم محفاً مالها من خلف، مسودة المعاني والأوراق، بعدها من الشريhen بعد المشرقيين، وتباينها تباين الشقلين، يوهمون أن العقل ميزانها، والحق برهانها " .

يتضح من خلال النص، كيف لجا الكاتب لاستعمال الفقر المتوازنة، بحيث لم يختل الوزن بين الفقرتين، وقد رتبها على شكل مدر وعجز البيت الشعري، معتمداً على الجمل القصيرة بحيث لا تتعدى الجملة الواحدة ست كلمات .

ونحو ذلك كتاب ابن عميرة، عن والي بلنسية، الموجه إلى الخليفة المأمون، وهو يبرز الظروف التي آلت إليها دولة الموحدين في العدة الاندلسية بمقدمة عامة والناحية الشرقية الاندلسية بمقدمة خاصة ، "... وكانت هذه الخلافة العلية المأمونية مطلع شمسه، ومطاف أمله في أمسه، استشرف إليها والعيون سواه، واثمر لها والآحوال نواه، وافصح بها بين قلوب متكرة وانواه ... فلما اشرقت بها الأيام، واجتمع عليها الآثام، رأى أن له في دعوتها قدم صدق، وأن له في خدمتها دعوى حق، وتسامت العيون إليه نظراً لرتبة إليها يرقى، وخطوة فخارها في عقبة يبقى، فما أكثر ما نزل إليه المرتفعون وأمل

(١) الذيل والحكمة، السفر السادس، ص ٢٦، ٢٧، هـ من ترجمة ابن رشد.

شاعة المشفعون "(١)" .

وآخر ما نشهد له بالأسلوب المتوازن كتاب الخليفة المستنصر، الموجه إلى الرعية، وهو من كتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث يقول (٢) "... فقد علمتم أن الدين هو الأساس الوثيق والبناء، العتيق، والسطاط المفروض، والعلم المنصب والتجربة الذي لا يبور، والطريق الذي لا يجور" .

واما الأسلوب الثالث فهو المسجع : ويقدم به تلك المحسنات اللفظية والزخرفية التي تتوافق فيها الفوائل في الحرف الأخير (٣) .

ويكسمن الاختلاف بين الأسلوب المتوازن والمسجع، كون الاول يعتني بتوازن الفقرتين، وتوافقهما، بينما يأتي الثاني - المسجع - على فاصلتين، وثلاث واربع دون الاعتناء بالوزن، وقد استحسنه الكلاعي، وحمده الله، إلا إذا بدا عليه التكلف والصنعة (٤) .

ويحتل الأسلوب المسجع حيزاً واسعاً بين الأسلوبين السابقين، فهو يمثل الشكل العام الذي امتازت به الكتب الديوانية بمقدمة عامة في تلك الفقرة، وأكثر كتاب الدواوين من استعمالهم في رسائلهم، ويندر ان تجد كاتباً ديوانياً موحدياً لا يسع.

ونمثل بذلك بعدة اوجه تأتي الفوائل فيها على اشكال مختلفة، وأول ما نقف عليه كتاب أبي جعفر بن عطيه عن الخليفة عبد المؤمن بن علي الموجه إلى الطلبة بالعدوة الاندلسية، وذلك في السادس عشر من شهر ربيع الاول عام ٥٤٣هـ فعندما وصل الكاتب إلى ذكر الرقاميين وهم الذين يحملون الكتب ويقومون بتوزيعها . قال (١) مخطوط جامعه الحسن الثاني، ورقة ٤٤ ، الخزانة العامة (الرباط) رقم ٤٥٠٢ .

(٢) البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص ٢٦٨ .

(٣) المثل الساخر، ج ١ ص ٢١٠، معجم البلاغة العربية من ٢٧٥، رقم ٢٥٧ .

(٤) أحكام صنعة الكلام، ص ٢٣٥ .

"... وهذا فعل كل فرقة منهم في سيرها، وسواء رأيهم بذلك في المخازن وغيرها، وإن من جملة ما حكى عنهم أنهم يتالجون في الطرق جموعاً، ويحلون بأفنية الناس حلولاً شفيعاً، يكلفونهم مؤناتهم تكليف المجرم، ويتحكمون عليه بحكم المفترم، حتى إنهم لا يرضون في ضيافتهم إلا باسمن الجزر وناهيك بهذا الاجتراء العظيم الفرر، فسارعوا - وفقك الله تعالى - إلى حسم هذه العلة من أصلها وبادروا إلى تلك العادة الذميمة وفعلها " (١) .

لقد استعمل الكاتب في النص سجعات مختلفة وجعلها على فاصلتين وهذا بين سيرها وغيرها وبين جموعاً وشنيقاً، وبين المجرم والمفترم، وبين الجزر والفرر، وبين أصلها وفعلها .

وأما الرسائل التي جاءت على ثلاث سجعات فنستشهد لها برسالة أبي حفص عمر من جماعة العشرة بمناسبة انتصار الجيش الموحدي بوادي ماسة وهي من إنشاء أبي، جعفر بن عطية وفيها يقول (٢) "... كان أولئك الفالون (المرتدون) (٣) (من أهل ماست) (٤) قد بطروا عدواً وأظلموا ((واقتطفوا الكفر معنى واسماً وأملي لهم الله تعالى)) (٥) ليزدادوا إثماً (٦) وكان مقدمهم الشقي قد استمال التفوس بخزنبلاته و (استهوى) (٧) القلوب بمهولاته، ونصب (له) (٨) الشيطان (ماشاء) (٩) من حيلاته . فاتته (المخاطبات) (١٠) من بعد

(١) نظم الجمان، ص ١٦٢، ١٦٣.

(٢) وردت الرسالة في أكثر من مصدر، وامتندت اعتماد الكتاب بقده، ص ٢٢٨، تحق. صالح الأهربي، دمشق ١٩٦١.

(٣) ناقمة في النفح والاستقامه . (٤) زيادة من الروض المعطار.

(٥) زيادة من النفح والاستقامه .

(٦) في الروض المعطار، وارتكبو أهلك وجرباً.

(٧) في الروض المعطار، استهوى.

(٨) في الروض المعطار، به (٩) زيادة من الروض المعطار .

(١٠) في الاحاطة المخاطبة . (١١) في الاملام من .

(و) (١) كثب، و (نسلت) (٢) إليه الرسل من كل حدب، واعقدته الخواطر (الزانفة) (٣) أعجب عجب (٤) وكان الذي قادهم (إلى ذلك) (٥) وأوردهم تلك المهالك، ومول من (كان) (٦) بتلك السواحل ممن ارتمس برسم الانقطاع عن الناس فيما سلف من الأعوام، واشتغل على (زعمه) (٧) (بالعيام والقيام) (٨) آناء، (الليل) (٩) و (اطراف) (١٠) الآيام، لبسو (لناس) (١١) اثواباً وتذرعوا (للرياء) (١٢) جلباباً، فلم يفتح الله (تعالى) (١٣) لهم (لتوفيق) (١٤). بابا (١٥).

فقد تتطور أسلوب الكاتب في هذه الرسالة من استعماله سجعتين إلى ثلاث سجعات فكانت النعمات واحدة لكنها ب بنفس اطول .

واما الشكل الثالث فجاء على اكثر من ثلاث سجعات لكنه بمقارنة مع الشكلين السابقين لم يستعمل الا نادراً، واعتقد ان

(١) في الروض المعطار، نسلت.

(٢) ناقمة من الامتاب والاملام والنفح والاستفهام .

(٣) هنا ينبعي نب الروض، ينتقل إلى فقرة أخرى من الرسالة نفسها .

(٤) في الاحاطة والاملام، ندى.

(٥) ناقمة من الاحاطة .

(٧) في الاحاطة رفعه .

(٨) في الاستفهام بالقيام والصيام .

(٩) في النفح والاستفهام، الليالي .

(١٠) ناقمة في الاحاطة والنفح والاستفهام .

(١١) في الاحاطة والنفح والاملام والاستفهام، الناموس .

(١٢) في الاحاطة والنفح والاملام والاستفهام، الرياء .

(١٣) زيادة من النفح والاملام والاستفهام .

(١٤) في الاحاطة والاملام إلى التوفيق .

(١٥) الاحاطة (ج ١، ص ٢٦٩، النفح ج ٧، ص ١٨٧، الروض المعطار، مادة (ماست)، الاملام بمن حل بمرافقه وأهمات من الاملام، ج ١ ص ٦٦٦٥).

الصعوبة . ففي الومول إلى استعمال أربع سجعات جعلت الكاتب يبتعد عن هذا الشكل ويلجأ إلى الشكلين السابقين)و مما يندفع فمن هذا الشكل رسالة أبي عبدالله بن عياش، عن الخليفة محمد الناصر ابن الخليفة المنصور بمنزل الموحدين بظاهر المهدية حيث يقول (١) "... وكان قد أعد بمدينة إطرابلس مهاماته ، واتخذها ملجاً من طواري الاغترار وآفاته ، والله قد نزهها لأن تكون عمرة لسياراته ، وعممة لهفواته ، فبینا نحن في اثناء هذه الحال بظاهر قابس إذا بوجوه قومها يرفعهم التيار المتدافع ، ويقدمهم الموج الخافف الدافع ، ويلوح للهدي على اسارير كبيرهم وسفيرهم نور ساطع ، ويجمع بيننا وبينهم الاوطاع إلى الحق وهو سبب جامع " .

على الرغم من تمكن الكاتب استعمال أربع سجعات، إلا أن الفوائل في معظمها طويلة باستثناء الفاملة الرابعة حيث انتهت بعد كلمتين ، وهذا ما يستعمل للتذبيه المستمع والقارئ(لكي ينتقل إلى سجعة مختلفة ولكنه خالف ذلك في السجعة الأخرى، وكان عليه أن يستمر على النغمة السابقة فشعرت النغمة الموسيقية واختلفت بين فاملة وأخرى وكما في الكاتب بدا يبحث عن السجعة الثالثة والرابعة)، فسار قوله من لحظة إلى أخرى، إلى أن عشر عليها، وفي هذا يقول ابن الأثير "... ينبغي أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة طنانة رنانة لاغثة ولا باردة "(٢)، وربما كان هذا التعليل سبباً من الأسباب التي جعلت الكتاب يصررون النظر عن هذا المصنف من السجع والاعتماد على السعدين والثلاث سجعات .

ولكنه يحلو لبعض الكتاب(استعمال سجعة واحدة متكررة في فوائل عدة ، ويأتي بها الكاتب على طريقتين الأولى يستعمل فيها سجعة واحدة تتكرر أربع أو خمس مرات) ثم . يأتي بسجعتين أو ثلاث سجعات، ويعود للسجعة الأولى، فيكررها حسبما تلبي له إلى أن تخونه او

(١) مجموع رسائل موحدة ، ٢٥٤ ، الرسالة السابعة والثلاثون .

(٢) المثل السادس . ج ٠١ ص ٢١٣ .

يفيرها بسجعتين أو ثلاث سجعات متشابهة ثم يعود إليها من جديد وهذا التنويع بين السجعات المتشابهة استعمله الكاتب أبو عبدالله بن عياش بمناسبة فتح جزيرة منورقة (١) .

اما الطريقة الثالثة فيستعمل الكاتب سجعة واحدة تكرر عدة مرات بحيث تستمر النغمة نفسها فمن فوامل متعددة ، ونستشهد لها برسالة الكاتب أبي الحسن بن عياش عن الأمير يوسف إلى أهل غرناطة وذلك في الرابع عشر من شهر شوال عام ٩٥٦ حيث يقول (٢) "... حيرته ، وندمه كما أن من صدق في الاعتقال بحبه ، والتمسك بعفته ، ويرken إلى ذراه وأوى إلى حرمه ، فقد أخذ بالوثيق من عهود ذممه ، وارتقي في مرتبى فوزه في سببه المتدين وسلمه ونملي على محمد رسوله ونبيه الذي ابتعثه بباهر حكمه ، ومعجز كلامه ، فهدى إلى نهج الحق وأممه ودل على سنته ولقمه وآثار برسالته الجامعة ما غطى من غياب الفلال وظلمه ، وابلغها حقيقية سمحه إلى عرب الانتمال وعمجه " .
لقد استعمل الكاتب سجعة تكررت احدى عشرة مرة ، ثم غيرها ، وماد إليها مرة أخرى ، ولم يكتفى باستعمال حرف الماء بل جعله ، مرتبطاً بحرف الميم ولم يبدلها ، لافي الفقرة الأولى ولا في الثانية .

الجناح :

هو استعمال كليتين متجانستين في الفظ مختلفتين في المعنى ، ويأتي على ضربين الأول يسمى الجناح التام لاتفاق التلفظين المتجانستين في اربع اوجه نوع الحروف عددها ، شكلها ، ترتيبها ، أما الناقص فهو ما اختلفت الكلمتان في نوع واحد من الاوجه السابقة على شرط أن يستعمل دون تكلف (٣) .

(١) المصدر السابق . من ٢٤٢ الرسالة نفسها .

(٢) الممن بالامامة من ٢٣٤ .

(٣) المثلث السادس ١٦ ص ٢٦٢ ، كتاب المذاهبين . من ٣٥٣ حسن التتوسل من ١٨٣ - ١٨٤ . معجم البلاغة العربية . ص ١٣٦ - ١٣٧ رقم ١٥٦ بباب الجيم .

وقد تبيّن لنا أن الجناس في الرسائل الديوانية ورد على الشكل الثاني - الناقم -، ولم نقف على جناس تام من خلال انتقادنا للرسائل التي بين أيدينا، وربما كان السبب في لك اعتماد الكاتب على السجع، والإزواج، وتوازن الفقر، وهو ما يبث نفمة موسيقية بين الجمل .

واما الجناس الناقم، فباء على اوجه مختلفة ، فمنها "اللاحق" وهو تباعد الحرفين المتبعان في المخرج كأن يكون الأول شفواً والثاني حلقاً (١)، ونستشهد له بقول أبي جعفر بن عطية (٢) "... التزام الملوات، وسائر الطاعات، وتلاوة القرآن والتوحيد فهي أكرم التلاوات، وأصفحوا وأصلحوا، وتعاملوا بالخير" .

لقد جاءنا الكاتب بين كلمتي أصفحوا وأصلحوا، وذلك باختلاف حرف الفاء واللام، وهما متبعان من حيث مخرجهما.

واما الجناس المطلق، فيعتمد به توافق الكلمتين من ناحية الحروف دون الاشتقاء (٣)، ونستشهد له بقول أبي جعفر بن عطية في قوله (٤) "... فإننا كتبنا إليكم - كتب الله لكم أجر من جاهد واجتهد" فجاءنا جناساً ناقماً بين جاهد واجتهد .

والجناس المشتق الناقم، يعتمد على اشتقاء اللفظتين من أصل واحد (٥) ونمثل له بقول أبي جعفر بن عطية حيث يقول (٦) "... عمرت بدعوته الأنجلاد والأغوار، وخصم بحجه الكفر والكفار" . فاشتق اللفظة الثانية من الأولى وهي الكفر .

(١) انظر معجم البلاغة العربية ، من ٦٠٢ ، رقم ٧٥٧ باب اللام .

(٢) مجموع رسائل موحدية ، من ٣ ، الرسالة الأولى .

(٣) المصدر السابق من ١٣٧ ، رقم ١٥١ باب الجيم ، و من ٣٨٣ ، رقم ٤٨٢ باب المصادر .

(٤) المصدر السابق ، من ٥ ، الرسالة الثالثة .

(٥) معجم البلاغة العربية من ١٣٨ ، رقم ١٥٢ باب الجيم .

(٦) صيغ الاعمى ٦٠ ، من ٤٣٣ ، مجموع رسائل موحدية ، من ٣٥ ، الرسالة العاشرة .

والجنس المضارع عكس اللاحق، ويعرف من حرفين متقاربين في مخرجهما، شفويين أو لسانيين (١)، وهذا ما نجده في رسالة أبي عقيل ابن عطية عن الخليفة عبد المؤمن بن علي بحضور مراكش حول زيارة قبر المهدي بن تومرت حيث يقول (٢) "... وتحمل لنفسهم كل استبشار واستبشر، واستمر الأمر على هذه الصورة المجلوّة والسور المتلوّة" فجاء الكاتب جناساً ناقماً مضارعاً بين الصورة والسور، لأن مخرج السين والمصاد واحد إلا أنه باعد بين الاستبشار والاستبشر من حيث مخرج المصاد والسين وهو جناس لاحق.

وأما المكتنف فهو من الجناس الناقص كذلك، ويستدل به بزيادة حرف واحد في وسط الكلمة (٣)، ونستشهد له بقول أبي عقيل بن عطية "... فسرنا بمن أمرنا بالنهوض من مشيخة الموحدين أعادهم الله وأعيانهم" (٤) فجاء جناساً ناقماً مكتنفاً بين أعادهم، وهي من العون، وأعيانهم، وهم الأعيان، الشرفاء وذلك بزيادة حرف اليماء بين العين والالف.

وأما الجنس الناقص المردوف فيشهد به بإضافة حرف واحد في أول إحدى اللفظتين، كقول عبدالله بن عياش (٥) "... تشد بها قوى الطاعة، ويتوجه بها ما يتوجه من اقامة فرophon الله المتممّة المطاعة". فجاء جناساً ناقماً مردوفاً بين لفظة الطاعة ولفظة المطاعة بإضافة حرف الميم.

واما الممحف فهو اختلاف الحروف من حيث النقط (٦) وعلى نحوه

(١) معجم البلاغة العربية، ص ١٣٨ رقم ١٥١ باب الجيم ومن ٣٤٨ رقم ٤٣٩ باب الفاء.

(٢) مجموع رسائل موحدية، ص ٨٣ الرسالة السابعة مهرة.

(٣) معجم البلاغة العربية، ص ١٣٧، رقم ١٥١ باب الجيم

(٤) مجموع رسائل موحدية، ص ٨٣ الرسالة السابعة مهرة.

(٥) المصدر نفسه، ص ٩٤، الرسالة الثامنة مهرة.

(٦) معجم البلاغة العربية ص ٢٤١، رقم ٣١٦ باب الجيم.

جاءت رسالة عبدالله بن عياش في قوله (١) "... ولو يعلم الكافرون
أن الكرة عليهم تجويع الخلل وتهلك الحي الحلال" .

والجنسان الناقص المحرف هو توافق اللفظتين في عدد الحروف
وشكلها واختلافها من حيث الحركات (٢) كقول أبي جعفر بن عطية في
رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "... فمن لم يعرف المرسل
لم يصدق بالمرسل، ولا بالرسالة" (٣) فجاء من جناسا ناقصا محرفا بين
المرسل والمرسل وذلك بكسر السين الأولى وفتح الثانية ويقصد بالأولى
المولى عز وجل والثانية، النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

الازدواج

وهو من المحسنات اللغوية التي تردد استعمالها فمن الرسائل
الديوانية الموحدية ونقصد به توافق الفقرتين، على فاعلتين و
حروفين وهو شبيه بالأسلوب المتوازن، إلا أنه يختلف عنه في تشابه
حروفين في الفقرتين المتوازنتين، في مقابل الأسلوب المتوازن، الذي
يعتمد على تعادل الفقرتين وتشابه حرف واحد في الفاعلتين .

ولقد فطن كثير من كتاب الدواوين عند الموحدين لاستعماله،
لكنه لم يأت به غير المحدثين من الكتاب المتمكّنين، الذين اجادوا
استعماله فلم يوظف متکلفا، ولا مختلا وقد عده أبو الهلال العسكري من
حمديد القول، إذ "... لا يحسن منثور الكلام ولا يحلو حتى يكون
مزدوجا، ولا تکاد تجد لبلیغ کلاما يخلو من الإزدواج، ولو استفني کلام
من الإزدواج لكان القرآن، لأن في نظمته خارج من کلام الخلق، وقد كثر
الإزدواج فيه. حتى حصل في أواسط الآيات فضلاً عما تزاوج في الفوائل
منه" (٤) .

فمن ذلك كتاب بخط أبي القاسم البلوي، عن الخليفة يوسف
بحضرة مراكش إلى الطلبة الغزاة بـإفريقيا، في غرة رجب عام ٥٥٦ هـ

(١) مجموع رسائل موحدية ص ٢٣٩، رسالة الخامسة والستون .

(٢) معجم البلاهة العربية ص ١٦١، رقم ١٨٣ باب الحاء .

(٣) المصدر السابق، ص ١٣٣، رسالة الثالثة والعشرون .

(٤) عتاب الصنامقين، ص ٢٨٦ .

وَمَا جَاءَ فِيهِ (١) "... وَذَكْرُتُمْ أَنْبَاءَ تِلْكَ الْجَهَاتِ - حَاطِهَا اللَّهُ -
وَمَا عَمِرْتُمْ مِنْ وَقُورِ الْخَيْرَاتِ، وَالْهَدْوَنِ، وَاسْتَرْسَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ الدُّعَةِ
وَالسُّكُونِ، وَمَا غَفَرْتُمْ مِنْ وَقُورِ الْخَيْرَاتِ، وَظُهُورِ الْبَرَكَاتِ، وَإِرْسَالِ
الرَّحْمَةِ الَّتِي آذَنْتُ بِالْأَقْبَالِ، وَالْخَمْبُ وَبِإِنْصَارِ الْمَحْلِ وَالْجَذْبِ،
وَاشْتِفَالِهِمْ بِمَمْالِحِهِمْ وَإِقْبَالِهِمْ عَلَى مَرَاشِدِهِمْ" ، تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ
عَدَدًا كَبِيرًا مِنْ صُورِ الْأَزْدَوَاجِ، إِذْ تَبَرَّزُ سُعْتُهَا فِي صُورٍ مُتَعَدِّدةٍ مُثَلِّ
الْأَمْنَةِ وَالدُّعَةِ، الْهَدْوَنِ وَالسُّكُونِ، وَقُورِ وَظُهُورِ الْخَيْرَاتِ، وَالْبَرَكَاتِ
الْأَقْبَالِ وَالْمَحْلِ، الْخَمْبُ وَالْجَذْبُ، وَاشْتِفَالِهِمْ وَإِقْبَالِهِمْ، مَمْالِحِهِمْ
وَمَرَاشِدِهِمْ ، إِلَى آخِرِ ذَلِكَ مِنْ صُورِ الْأَزْدَوَاجِ الْوَارِدَةِ فِي النَّصِّ .

وَمِنْ ذَلِكَ كِتَابِ الْخَلِيفَةِ الْعَادِلِ الْمَوْجَهِ لِأَهْلِ الْعُدُوَّةِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ
جَعْلِيَّةِ ، ابْنِ عَذَارِيِّ فِيمَنْ أَحْدَاثُهُ عَامَ ٥٦٢٢هـ وَهُوَ شَبِيهُ بِرِسَالَةِ الْبَيَانِ
الْمُبْتَوِرَةِ ، اسْتَهْلَكَهَا بِقُولِهِ (٢) "وَأَنْ تَعْلَمُوا رَبِّي اللَّهُ عَنْكُمْ أَنَّ
الْمُوْهَدِينَ ، أَعْزَمُهُمُ اللَّهُ لَمْ يَزَالُو يَتَعَرَّفُونَ فِي أُوبَتِهِمْ هَذِهِ مِنَ التَّيسِيرِ
وَالْتَّسْهِيلِ وَاسْتِهْمَاحِ الْمُصْنَعِ الْجَمِيلِ مَا قَرُبَ لَهُمْ كُلُّ قَاصٍ وَذَلِلٍ لَهُمْ كُلُّ
عَاصٍ ، وَيَسِّرْ كُلَّ عَسِيرٍ وَجَبِرْ كُلَّ كَسِيرٍ" .

وَصُورِ الْأَزْدَوَاجِ وَافْسَحَةٌ فِي رِسَالَةِ الْخَلِيفَةِ الْعَادِلِ ، وَلَوْ أَنَّهَا
قَلِيلَةٌ فَقَدْ تَعْدَى الْكَاتِبُ تَشَابِهَ حِرْفَيْنِ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ حِيثُ زَاوِجَ بَيْنَ
لَهُمِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ ، وَكُلِّ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ ، وَجَاءَ بَعْدَهَا بِخَاصٍ وَقَاصٍ
لِيَزَاوِجَ بَيْنَهُمَا فِي نَهَايَةِ الْفَامِلَتَيْنِ ، وَكَذَا يَسِّرْ كُلَّ عَسِيرٍ ، حِيثُ زَاوِجَ
مَا بَعْدَهَا بِمَا يَوَافِقُهُمَا بِجَبِرٍ كُلَّ كَسِيرٍ .

وَمِنْ صُورِ الْأَزْدَوَاجِ الَّتِي نَقْتَبِسُهَا مِنْ رِسَالَتِ الْاِنْتِهَارَاتِ ، كِتَابِ
الْأَمْيَرِ يَوْسُفِ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ الْمَادِرِ مِنْ جَبَلِ الْكَوَاكِبِ ، إِلَى الْطَّلَبَةِ
وَالْمُوْهَدِينَ وَالشِّيُوخَ وَالْأَعْمَانَ وَالْكَافِةِ بِمَدِينَةِ غَرْنَاطَةِ فِي الْرَّابِعِ
عَشَرَ مِنْ شَهْرِ شُوَّالِ عَامِ ٥٥٦٢هـ ، مِنْ إِنْشَاءِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ عَيَّاشٍ ، حِيثُ

(١) مُخْطُوطُ الْعَطَاءِ ، الْجَزِيلُ فِي عَجَفِ الْعَطَاءِ ، التَّرْسِيلُ (الْزَوَادِ) وَرْفَهَ ١٧.

(٢) الْبَيَانُ الْمَغْرِبُ (قَسْمُ الْمُوْهَدِينَ) ص ٢٧٠ ، ٢٧١ .

يقول (١) " والقصد لما يراه من تذكير الفاصل، وتبسيط الجاهل وإقالة العاشر وهداية الحائر " فزوج بين تذكير وتبسيط وبين الفاصل والجاهل في الجملة الأولى، وبين إقالة وهداية، وبين العاشر والحاير في الجملة الثانية .

وكما هو واضح من خلال الرسائل الديوانية الموحدية ، ان الازدواج نادر ما يستعمل لأن الكتاب اعتمدوا على السجع في تحبير رسائلهم ، وعلى الرغم من قلة الازدواج في الرسائل فقد اسقط الكاتب نفما موسيقيا عذبا على الجمل وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على براعة تحكم الكاتب في قلمه ، وحسن استعماله للفاظ المواتية والمناسبة لذلك.

الطباق

هو الجمع بين ضدين مختلفين ويستعمل في المطابقة بين لفظين وتطور الكلمة فاستعملت مرادفة لمطابقة البعير في سيرة ، ويقدم بذلك أن يضع البعير رجليه موضع يديه (٢) .

ويأتي الطباق - ويسمى المطابقة والتطبيق والتفاء والتكافؤ - على وجهين إيجابي وسلبي .

فالاول ان ترد الكلمتان مختلفتين في اللفظ والمعنى، وقد كثر استعماله ضمن الرسائل الديوانية الموحدية ونستشهد له بكتاب الامير يوسف بن عبد المؤمن بحضور مراكش الموجه إلى أخيه الامير ابي سعيد بقرطبة ، المؤرخ في الثالث من شهر رمضان عام ٥٥٦هـ من إنشاء ابي الحسن بن عيسى، وهو من رسائل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفيه يقول (٣) "... ويوجب لكم الرضى في كافة أقوالكم

(١) المن بالامامة . ٢٣٥ .

(٢) الرمخوري أساس البلاغة ، ج ٢ ص ٦٤ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م مكتاب الصناعتين ص ٣٤٤ . حسن التوسل . ص ١٩٩ .

(٣) المن بالامامة ، ص ٢٢٩ .

وافعالكم تقوى الله في السر والجهر وخيبة في الباطن والظاهر ...
وتوفيق في القول والعمل بفضل الله ... إلى الصغير والكبير ويجمع
الناس لقراءته وتلقي مضمونه ويساوي فيه الغائب والشاهد والبادي
والحاصل باسماع من حضر ومخاطبة من ثاب " حيث حشد الكاتب عددا
كبيراً من صور الطباقي على الرغم من قصر النص فطابق بين القول
والعمل وبين السر والجهر، وبين الباطن والظاهر وبين القول
والعمل، وبين الصغير والكبير وبين الغائب والشاهد، وبين البادي
والحاصل، والخصوم والغياب وبين من يسمع ومن يخاطب - بفتح الطاء - .

ومن الأمثلة على ذلك رسالة مفواد بن إدريين، عن السيد عبد
الرحمن بن الخليفة يوسف بمرسية الموجهة إلى الفونس الثامن ملك
قشتالة وطلسيطة، المؤرخة في منتصف ذي الحجة، عام ٥٨٤ هـ حيث يقول
(١) "... تتساوى الأسنة والزجاج أو تتماثل العقب والحجاج أو عمر
بن عبد العزيز والحجاج، ومتى تطابقت اللصوص في الحرم والحجاج؟ (وما
يُستَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فَرَاتٌ سَارِعٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مُنْجٌ أَجَاجٌ)" (٢) .

تطابق بين الأسنة والزجاج، وبين العقب والحجاج، وبين عمر بن
عبد العزيز والحجاج، وبين اللصوص والحجاج في الحرم، وبين بحرین
الأول شرابه عذب والثاني مالح .

ومن صور الطباقي كذلك ماورد في رسالة أبي محمد بن حامد عن
عبد الحفصة الموجهة إلى الخليفة محمد الناصر، وهي من رسائل
الشكایات ومما جاء على لسانهم (٣) "... امثال ما أمروا به ورحلوا
عن هذه الجهات بقلهم وكثرتهم ... ليعلموا في حلهم وترحالهم ...
فساروا تسيل بهم الاباطح والربى ... وببركة الحضرة الإمامية تكتنفهم
عن اليمين والشمال ... وتربيهم النجح في صفي الاقوال والاعمال " .

(١) مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل، ورقة ٣٤.

(٢) آية ١٢، سورة همزة.

(٣) مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل (الزوائد) ورقة ٢٣.

هذه الفقرة مشابهة للتي سبقتها من حيث كثرة المصور الوارد بها على الرغم من قصرها، وأما ما ورد بها من صور الطباق فيتمثل في قلهم وكثرتهم وبين حلهم وترحالهم، وبين الإباطح والربى وبين اليمين والشمال، وبين الأقوال والأفعال.

ويلاحظ الباحث أن المصور البيانية الأخرى متفاوتة في الرسائل الديوانية الموحدية، فتقل وتكثر، بينما يحتل الطباق الحيز الكبير في مقابل المصور الأخرى من جناس ومقابلة.

ونختتم القول عن الطباق الإيجابي برسالة كتبت اثناء تهيئة البيعة للخليفة المرتضى (١) "... وقد حملوهم من المماليق التي لا ينفرد واحد دون شأن بقليل منها ولا كثير والمنافع التي لا يختص خاص دون عام منها بصغر ولا كبير".

واما الوجه الثاني من الطباق فهو السلبي، لكن بعد تفحص مجل الكتب الديوانية الموحدية المتوافرة لدينا، لم نقف إلا على مثال واحد، وربما كان السبب في ذلك هو الهدف الذي كتبت من أجله الرسالة، وهو إبلاغ المرسل - بكسر السين - لذا ابتعد الكاتب الديواني الموحدى على الاستعانة بهذا الشكل، والاقتناء على الشكل الأول . واما المثال الفريد فقد ورد بكتاب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر، من إنشاء أبي جعفر بن عطية حيث يقول "... ولا يكن منهم إلا من يفرق بين الحلال والحرام، ويميز ويعرف ما يجوز شربه وما لا يجوز" (٢) فتطابق طباقا إيجابيا بين الحلال والحرام، وطباقا سلبيا بين الشطر الثاني، حيث استعمل لام النفي بين يجوز ولا يجوز وهو المعروف بالطباق السلبي.

(١) رسائل ديوانية من سبعة، في العرقى من ١١١ اثناء، خلف الخافقى الفيتوري.

(٢) نظم الجمان، من ١٦١. تحق محمد الحبيب العيلة الرباط ١٩٧٩.

وتعتني باللفظ والمعنى و هي اشمل واعم من الطلاق، فيؤتى بالكلام وما يوافقه او يخالفه (١).

فمن ذلك قول ابن تومرت يستنفر الموحدين إلى الجهاد (٤) " . . . فجعلوا بينهم المودة والرحمة ، وجعلوا بينهم وبين عدوهم الشدة والفلحة . . . فكل هول وشدة غشיהם قابلوه بالقوة والتوكيل على الله ، وكل هذر وأذى مسهم قابلوه بالمبر والاحتساب " .

فقابل المودة والرحمة بين الموحدين والغلاظة بينهم وبين
عدوهم، وكل فزع وشدة حلت عليهم قابلوها بالتوكل على الله وفي
مقابل ذلك تأتي بالجملة الثانية، فيقابلون الفرر والأذى بالمبر
والاحتساب.

وفي رسالة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، المعروفة
بالرسالة الجامعية لاتنواع الاوامر، قابل ابو جعفر بن عطية بين لقاء
الانسان الخالي من اتباع الهوى لربه ، وبيان لقاء الشقي المذنب في
قوله (٣) . . . فالسعيد من لقي ربه مبرءاً من اتباع الهوى سليماً و
الشقي من آتى مليماً ، بالحساب الكبائر ملوماً .

ومن الأمثلة على ذلك كتاب أبي الحسن بن عياش حيث بعث السيدين أبي حفص وأبي سعيد، من ظاهر مرسية رسالة إلى الأمير يوسف في أواسط ذي الحجة عام ٥٥٦ـ حيث يقول (٤) "... وثبت الله أقدام

(١) حسن التوسي ، من ٢٠٣٠٢٠٢ ، معجم البلاطة العربية ، ص ٥٢١ رقم ٦١٩
بيان المقاوم.

(٢) أصل معاً بطلب، من ٤٥٩، اهتمام المؤتمرات الأولى ل التاريخ المغاربي المغربي، من ١٠٤، ١٠٥.

(٣) نظم الجمان، ص ١٥٣.

(٤) المدن باللامامة من ٢٠٦

الموحدين وزلزال (١) اقدام الملحدين .

ومن صور المقابلة ما ورد في كتاب الشكاة الموجه من طرف عبيد الحفرة إلى الخليفة محمد الناصر "... ولم يعلموا أن الغي وإن أهل مجتث فرعه وأصله، وإن البغي وإن أهل ممحو نوعه وأصله" (٢).

وبعث الخليفة العادل رسالة إلى مسلمي الاندلس يحثهم على الجهاد بعد أن اجتمع الجيش بالعدوة المغربية وهو على أهبة الجواز إلى العدوة الاندلسية لكن بقاء هذا الجمع الغفير بالمغرب وهو على "... حلول استدعاء واستنفار لاحلول إقامة واستقرار (٣). حيث قابل الجملة الأولى بالثانية من حيث الاستدعاة والاستنفار والإقامة والاستقرار.

ومن رسائل الحض على الجهاد وقابل ابن تومرت بين عدة صورة في قوله (٤) "... جعلوا الحق باطلًا والباطل حقاً والكفر إيماناً والإيمان كفراً، والهدى ضلالاً، والضلالة هدى، والعدل جوراً، والجور عدلاً".

الخيال والصور البيانية

على الرغم من اهتمام كتاب الدواوين بنقل الصورة الواقعية للمجتمع الموحدى، فإن القالب الذي رسم لهم ليimbوا فيه كتبهم، لم يمنعهم من التخلص منه بين فترة وأخرى، لاستعانته بالخيال والصور البيانية.

ولو أن الخيال مجال بعيد عن السلطة وتشريعاتها وقوانينها، فإن الكاتب أبا عبد الله بن عياش، لم تكتنفه الفرحة بعد حصار المهدية براً وبحراً، وفتحها على يد الخليفة محمد الناصر، وعلى أثرها وجه كتاباً للإمام يصف من خلاله مدينة المهدية وكيف تم الاستيلاء عليها.

(١) في الأصل وزلزال (الله).

(٢) مخطوط العطاء الجزيء في كھف مظاہ الخرسیل (الزوائد) ورقة ٧٢ .

(٣) البيان المغرب (قسم الموحدين) من ٢٧١ .

"... ولما اجتلينا منها عروسنا قد مد بين يديها بساط (من) (١) الماء، وتوجت بالهلال، و(قرطت) (٢) بالشريان، ووشحت (بغيوم) (٣) السماء والسحب (نسجت) (٤) عليها (اردانها) (٥)، فتبديها (٦) تارة متلثمة وطوراً سافرة، وكأنما شرفاتها المشرفة أنامل مخيبة بالدياجي (مختتمة) (٧) بالكوناكب الظاهرة تضحي (فاحكة) (٨) عن هنـب لا (ترزال) (٩) تقبله أفواه المجانيق، وتمسي باسمة عن (شفـر) (١٠) لا تبرح ترشـقـه شفـاهـ سـهـامـ الـحرـيقـ) خطـبـنـاـهاـ فـارـادـتـ التـنبـيـهـ عـلـىـ قـدـرـهـاـ،ـ وـالـتـوـفـيرـ فيـ (ـإـغـلـاءـ) (١١) مـهـرـهـاـ،ـ وـمـنـ خطـبـ الحـسـنـاءـ لـمـ (ـيـغـلـهـ) (١٢) المـهـرـ،ـ فـتـمـنـعـ تـمـنـعـ المـقـمـورـاتـ فيـ الـخـيـامـ،ـ وـاطـالـتـ إـعـمـالـ الـعـاـمـلـ فـيـ خـدـمـتـهـاـ وـتـجـرـيدـ الـحـسـامـ إـلـىـ (ـأـنـ) (١٣) تـحـقـقـتـ عـظـمـ مـوـقـعـهـاـ فـيـ النـفـوسـ،ـ وـرـأـتـ كـثـرـةـ مـاـ الـقـيـ (ـإـلـيـهـ) (١٤) مـنـ نـثـارـ الرـؤـوسـ،ـ (ـفـجـنـحـتـ) (١٥) إـلـىـ الـإـحـسـانـ بـعـدـ النـشـوـزـ،ـ وـرـأـتـ الـلـجـاجـ فـيـ الـإـمـتـنـاعـ مـنـ قـبـولـ الـإـحـسـانـ لـاـ يـحـوـزـ،ـ فـامـكـنـتـ زـمـامـهـاـ مـنـ يـدـ (ـخـاطـبـهـ) (١٦) بـعـدـ مـطاـوـلـةـ خـطـبـهـاـ وـخـطـابـهـاـ،ـ وـاـمـتـعـتـهـ عـلـىـ رـغـمـ رـقـيبـهـ بـعـنـاقـهـ وـرـشـقـ رـضـابـهـاـ،ـ فـبـاتـ بـهـاـ مـعـرـسـاـ حـيـثـ لـاـ مـجـالـ .

 (١) ناقصة في الاحاطة . (٢) في الاحاطة قرطته .

(٣) في مخطوط المرقصات، والاحاطة بنجوم .

(٤) في مخطوط المرقصات، والاحاطة ، تسحب .

(٥) في مخطوط المرقصات، وطبعه ١١٢٨٦ مصر، و ط ١٩٧٣، بيروت اردانها .

(٦) في مخطوط المرقصات، ط ١٢٧٦، مصر و ط ١٩٧٣، بيروت تبديها .

(٧) في الاحاطة مختتمة . (٨) ناقصة من الاحاطة .

(٩) في مخطوط المرقصات يزال .

(١٠) في المرقصات ط ١٢٨٦ مصر و ط ١٩٧٣، بيروت، والاحاطة لمسن .

(١١) في الاحاطة إملاء . (١٢) في مخطوط المرقصات، يفلها .

(١٣) ناقصة من المرقصات ط ١٩٧٣، بيروت .

(١٤) في الاحاطة بها . (١٥) في الاحاطة ، جنحت .

(١٦) في مخطوط المرقصات، خطابها .

إلا من البنود ولا خلوق إلا من دماء أبطال الجنود" (١) .

ومن رسائل الانتصارات يصف كاتب عبد المؤمن بن علي نزول الجيش الموحدي مدينة تارو دانت التي تشتهر بقصب السكر، وكيف اشعل الجند النار به فصار الدخان المتماude كالسحاب، حيث يقول (٢) "... ثم نزل الموحدون في وسط تارودانت، واستقروا بها وهزموها وحرقوها واطلقوا النار في القصب، إذ لا يقدر عليه من كثنته إلا بالنار ونحن ننظر إلى الدخان، قد علا، وارتفع في الهواء وتالف فصار كالسحاب المتراكم" .

ويصف أبو الحسن بن عياش جبل الكواكب بقوله (٣) "... جبل الكواكب ... الذي زاحم بمنكبه وتنطاول بانفه، فلمنكبه العم الذي لا يفرع ولأنفه الشم الذي لا يقرع" .

ويصف أبو جعفر بن عطية في رسالته الشهيرة التي حملته إلى ديوان الكتابة، ثم الوزارة - نهاية معركة وادي ماست وانتصار الموحدين بقوله (٤) : "... (انبسطت) (٥) مراقات (الدماء) (٦) على صفحات الماء، و (حكت) (٧) حمرتها على (زرقتها) (٨) حمرة الشفق (على) (٩) (زرقة) (١٠) السماء، و (ظهرت) (١١) العبرة للمعتبر، في جري (الدماء)، (١٢) الاهاطة، ٤٨٦، ٤٨٧، ابن سعيد المغربي المرقمات المطربيات من ١١ ط مصر ١٢٨٦، وطبع بيروت ١٩٧٣، دار حمدو ميلو من ١٨، مخطوط الموقف المطربي رقم ٧٥٤٦.
اوراق المخطوط غير مرقمة في الاصل). bibli univer lips.

(٢) نظم الجمان، ص ٢٢٢ ٢٣٨

(٤) اهتاب الكتاب من ٣٢٩، الاهاطة ١٠، ص ٢٧، الروض المعطار، مادة (مساة)، النفع، ٧٥، ص ١٨٨، الاستقطام، ٢٥، ص ١١٣، الاعلام بمن حل بمراكيش من واهمات الاعلام، ص ٧٧١.

(٥) في الاهاطة، سطط.

(٧) في الروض المعطار، محكت.

(٨) في الاهاطة والروض المعطار، زرقة.

(٩) في الروض المعطار، فين.

(١٠) في الاهاطة والروض المعطار، والاعلام، درق.

(١١) في النفع، والاعلام، والاستقطام، جري.

-
-
- (3)
.....
- (2)
.....
- (1)
.....
-

.....) (2) + (3) .

(1) (.....) (1) (.....) ? 1050 1050

دام حكم بنى عبد المؤمن للمغرب ، والأندلس من عام ٥٢٤هـ إلى عام ٦٦٧هـ وكان لهذه المدة الزمنية الطويلة ، أن حظي ديوان الخلفاء بمراکش ، بعدد وافر من الكتاب الذين علا صيتهم في المغرب بقطاعه الثلاثة ، وجزيرة الأندلس من خلال رسائلهم الديوانية ، التي كان يحملها الرقاصون ، لتقرأ في النهاية ، على الآسياد الأمراء ، والولاة ، والرعايا .

ولولا ضياع قسم كبير من هذه الرسائل لوجدنا عدداً كبيراً من هؤلاء الكتاب، وأما الرسائل التي وصلتنا ، فقد تجاوز كتابها عشرين كتاباً ، فرجعنا إلى ترجمة المشهورين منهم ضمن كتب التراجم ، ومنهم من استعمال علينا الاهتداء إلى ترجمة لهم من خلال المصادر المتوفرة لدينا ، ومنهم من لا يمكن معرفة اسمه نظراً لذكر كنيته فقط ، كابن فلان ، أو أبي فلان ، واحياناً لم يتمكن من تحديد المنطقة التي مدرت منها الرسالة ، هل هي مغربية أم إندلسية ؟ لأنها تذكر في العادة بفلانة ، وسكانها بأهل فلانة .

فقد وقفتا لابن عميرة (١) ، على رسالتين ديوانيتين الأولى وجهت من والي إشبيلية إلى الخليفة المستنصر (٢) ، والثانية من الخليفة الرشيد موجهة إلى أهل شرق الأندلس ، مؤرخة في الحادي والعشرين من شهر شعبان عام ٦٣٦هـ (٣) .

(١) انظر شرحته في متوان الدراسية ص ٢٩٨، ٢٩٩، رقم ٩٢ الاحاطة ١٢ ص ١٧٩-١٨٦، ابن الإبار ، تحفة القادر ، مطبوعة احسان مباد دار الفرب الاسلامي ط ١ ، ١٩٨٦، ابن سعيد الاندلسي ، اختصار القدح المعلى في التاريخي المحتوى ص ٤٢، رقم ٦، تحق ابن ابراهيم الابياري ، دار الكتب المصري دار الكتاب اللبناني ، ط ٢ عام ١٩٨٠.

(٢) صبح الامضي ج ٦ ، ص ٤٣٤ .

(٣) محمد ماهر حمادة ، الوثائق السياسية والإدارية - الأندلس وهماك افريقيا - ص ٤٢١-٤٣٣ ط مسام ١٩٨٠، سوريا ، مصر المعاشر ابسطين والموحدين ج ٢ ، ص ٧٣٧، ٧٣٨ ، رقم ٦ .

كما وقفتنا أيفا على أربع رسائل لأبي القاسم البلوي (١) صنفناها ضمن رسائل الاعتداءات والشكایات (٢) ، وأما أبو بحر مفوان بن إدريس ، صاحب زاد المسافر فاستشهدنا له برسالة واحدة ، وجهت إلى ملك قشتالة وطليطلة (٣) ، ومثله أبو الربيع سليمان المودي ، في رسالته الموجهة إلى ملك غانة (٤) ، وأبو موسى قافي مراكش (٥) وغيرهم من الكتاب .

ومنهم من لم نعثر له على ترجمة فيما بين أيدينا من الممادر ، كأحمد بن محمد الذي أورد له ابن صاحب الملا رسالة في بيعة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بن علي ، المصادر عن أهل إشبيلية عام ٥٥٦هـ (٦) ، الذي قال عنه عبدالهادي التازي لم يذكر ابن صاحب الملا "نعتا ، ولا نسبا ، ولا لقبا لاحمد هذا ، ولم يرد اسمه أكثر من هذه المرة ، واظن أنه يعني به أبا العباس احمد بن محمد بن احمد بن مقدام الرعيوني الإشبيلي ومن كان صاحب أبا بكر بن العربي في وروده على مراكش لبيعة عبد المؤمن عام ٥٥٤هـ فقد ظل بعد عودته على ملة بالسادة الموحدين وقد توفي في آخر سنة أربع وسبعين مائة " (٧) وبعد الوقوف على مجلل الرسائل الديوانية الموحدية ، اخترنا ثلاثة كتاب ديوانيين أولهم ، أبو جعفر بن عطية من المغرب الأقصى ، والثاني أبو الفضل بن محشرة . من المغرب الأوسط ، والثالث أبو الحسن بن عياش من العدوة الاندلسية .

(١) الدليل والتكاملة السفر ١ ، ق ٢ ص ٤٥٣-٤٦٠ رقم ٦٧٤ القديح المعلى ح ١٦٠ رقم ٢٠ .

(٢) مخطوط الغطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل ، ورقة ١٦٧-١٦٧ .

(٣) مخطوط الغطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل ورقة ٣٣-٣٥ .

(٤) النفح ح ٤ ص ١٠٤ .

(٥) التكميلة رقم ١٩٣١ ، بقية الملتمس ص ٤٠٤ رقم ١١٥٥ .

(٦) المن بالامامة . ص ٢٥٩-٢٦١ رقم ١ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ٢٥٩ هامش رقم ١ .

أبو جعفر بن عطية :

بعد سنتين من بيعة ابن تومرت ولد أبو جعفر أحمد بن أبي جعفر ابن محمد بن عطية ، ولقد أرادت القدر ، أن يعيش فترة طويلة من حياته خادماً للمرابطين لأن والده أما أحمد جعفر بن محمد بن عطية ، غير الرزقان تاركاً وراءه قرية أجداده قمرلة ، وهي ناحية ، من نواحي طرطوشة في شمال شرق الاندلس ، وقيل من دائمة (١) لينتقل إلى مراكش خادماً للمرابطين .

ولا نعرف عن سلفه إلا ما ذكره أحمد بن القاضي قائلًا ، إن أباه " كان من أهل الحفظ للحديث ، والمعروف بالتوثيق ، وسكن مراكش ، فحظي عند علي بن يوسف بن تاشفين ، "(٢) ، ولم يكتف عبد الرحمن بن خلدون بأمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين بل زاد ابنه تاشفين ، حيث كتب عنهما أبو أحمد (٣) ، ونقل النامر الرواية نفسها ليثبتها ضمن كلامه عن أبي جعفر بن عطية الابن (٤) .

ولد ابن عطية الابن عام ٥١٧هـ (٥) بمراكش وأعتقد أنه كان يتربى في صباء على ديوان الكتابة ، الذي كان يشتغل به والده ، فتتلمذ على يديه ، وعلى طائفة من شيوخ مراكش متربداً على الزوايا ، والكتاتيب ، وهي عادة أبناء المغرب ، في تعليم ابنائهم ، وهذا ما انفرد به لسان الدين بن الخطيب عن كثير من ترجموا لابن عطية الابن قائلًا (٦) " إن أبا جعفر أخذ عن أبيه ، وعن طائفة كبيرة من أهل مراكش " .

وإذا كنا لا نعرف هؤلاء الشيوخ ، فإننا نعرف ، بإن أبناء المغرب والأندلس يستهلون دراستهم بحفظ قسم من القرآن - إن لم يكن

(١) الحلة السيراء ، ٢٥ ، ص ٢٣٨ ، جدورة الاقتباس ، ص ١٧٨ ، الاحاطة ١٥ ص ٢٦٤ ، الاستقصاء ٢٢ ص ١٣١ ، النفح ٧ ص ١٨٢ ، اصلاح المراكبي ، ١٢ ، ص ٦١ .

(٢) جدورة الاقتباس ، ص ١٧٨ .

(٣) تاريخ ابن خلدون ٧ ص ٤٨٠ .

(٤) الاستقصاء ٢٢ ص ١٣١ .

(٥) الاحاطة ١٥ ص ٢٧١ ، اصلاح المراكبي ١٥ ص ٦٦ .

(٦) الاحاطة ، ١٢ ص ٢٦٠ .

كله - وبعضاً الأحاديث النبوية ، ثم ينتقل الطالب بعدها ليستقي مادة لغوية ومادة أدبية مستخرجة من دواوين شعراء العصر الجاهلي والعباسي.

وقد أخلص ابن عطية الأب لسيده علي بن يوسف بن تاشفين ، ثم لابنه تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين ، في فترة كانت دولة الموحدين تنتقل من انتصار لانتصار ، ودولة المرابطين تعاني من كثرة الحروب ، وانفصال أكثر سكان المغرب الأقصى والأوسط للدولة الجديدة ، وبقي ابن عطية الأب مخلصاً للمرابطين مدينا لهم بالجميل ، حيث بقي إلى آخر أيامه على ولائه لهم ، وبعد وفاة تاشفين بن علي وقع ابن عطية الأب في قبضة عبد المؤمن بن علي فعفا عنه (١) ، وعلى الرغم من ذلك فقد ابتعد ابن عطية الأب كل البعد عن الدولة الجديدة ، فاتجه نحو فاس ، وعندما نزل عبد المؤمن بن علي بها اعتزم ابن عطية الأب الهروب ، فقبض عليه ، ويقول عبد الرحمن بن خلدون إنه (٢) "اعتذر فلم يقبل عذرها وقتله".

لقد ذهب ابن عطية الأب ضحية إخلاصه للمرابطين ، ويفسّر عبد الرحمن بن خلدون بعد هذه الحادثة أن ابن عطية الأبن كان في تلك الفترة يكتب لاسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين (٣) ، وعمره لم يتجاوز الثالثة والعشرين ، حيث يذكر أحمد بن القافقي أن والده توفي عام ٤٤٠ هـ (٤) ، وقل من يمل إلى هذه الدرجة في هذا العمر المبكر ، فقد قال ابن الأبار (٥) " وكان في أول أمره قد كتب لاسحاق ابن علي بن يوسف بن تاشفين " وهو أقدم مصدر يمكن الاعتماد عليه حيث توفي ابن الأبار عام ٦٥٨ هـ ، أما لسان الدين بن الخطيب فقد ذكر أنه (٦) كتب عن علي بن يوسف بن تاشفين وعن ابنه تاشفين وعن أبي اسحاق ، وكان أحظى كتابهم " دون أن يستشهد برسالة واحدة من تلك الرسائل التي قيل أنه كتبها عن الأمراء المرابطين .

(١) تاريخ ابن خلدون ج ٦ ص ٤٨٠ . (٢) المصدر نفسه ج ٦ ص ٤٨٣ .

(٣) المصدر نفسه ج ٦ ص ٤٨٣ . (٤) جذوة الاقتباس ص ١٧٨ .

(٥) امتحاب الكتاب ص ٢٢٦ . (٦) الاحاطة ج ١ ص ٢٦٣ .

وقد نقل عنه المقربي الرواية نفسها (١) .

ويذكر المقربي أن الكتابة في الاندلس والمغرب تنقسم إلى قسمين (٢)" أعلامها كاتب الرسائل وله خط في القلوب ، والعيون عند أهل الاندلس ، وأشرف أسمائه الكاتب ... واهل الاندلس كثيرو الإنتقاد على صاحب هذه السمة لا يكادون يغفلون عن فتراته لحظة ، فإن كان ناقماً عن درجات الكمال لم ينفعه جاهه ولا عشراته من سلطانه من تسلط الألسن في المحافل والطعن عليه وعلى صاحبه . والكاتب الآخر كاتب الزمام ، هكذا يعرفون كاتب الجهدية ولا يكون بالأندلس وبحر العدوة لا نمرانيا ولا يهوديا البتة ، إذ هذا الشغل فيه يحتاج صاحبه إلى عظامه الناس ووجوههم " .

ويتم اختيار كاتب الديوان حسب ما أورده عبد الرحمن بن خلدون حيث يقول (٣) "واعلم أن صاحب هذه الخطة لابد من أن يتخير ارفع طبقات الناس، وأهل العلم لما يعرض في مجالس الملوك ، ومقامد أحكامهم من أمثال ذلك ما تدعوا إليه عشرة الملوك من القيام على الآداب ، والتحلّق بالتفاهم مع ما يضطر إليه في الترسيل ، وتطبيق مقامد الكلام من البلاغة وأسرارها" .

ولا اعتقاد أن شاباً في مثل هذا العمر يجالس الأمراء ، ويكتب عندهم ، فقد ولد أبو جعفر بن عطية عام ٥٥١هـ وعمر أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين أربعون عاماً، وعندما بلغ عمر أبي جعفر العشرين كان عمر علي بن يوسف بن تاشفين ستين عاماً، واستبعد أن يطلب أمير المسلمين من شاب في هذا العمر أن يكتب له رسالة ديوانية ترسل إلى الملوك أو تقرأ على الرعية ، وقد ذكر ابن أبي زرع فمن كتاب علي بن يوسف بن تاشفين اسم أبي محمد بن أسباط (٤) دون غيره من الكتاب ، وقد أضاف الغبريني ضمن ترجمته لابن محشرة رتبة أخرى للكاتب الديواني وهي كاتب السر (٥) ويبدو أن الخلفاء (٦) النفع في ٧٠١٣٨٢هـ ص ٢٠٥ . () مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٤٧ . () الانبياء المطروب ، ص ٢٦٤ . () متوان الدراسية ، ص ٢٦٤ .

والامراء بالعدووية تعودوا على تصنیف الكتاب حسب الدرجات فاعلاها كاتب السر ، ثم كاتب الديوان ، ويأتي في الدرجة الثالثة ما ذكره المقرري وهو كاتب الزمام واظن انه كان يكلف بتحقيق ما ورد في الرسالة وتحقيق اخطائها والتأكد من الآيات القرآنية الواردة بها، وربما اعاد تحبيرها حتى تخرج في احسن صورة

وهذا ما جعلني اقول إن ابا عيسى بن عطية ، لم يكن كاتباً لأحد من هؤلاء الامراء ، ولكنه كلف بمساعدة والده في تحبير الرسائل ، واجراها إلى الناس في احسن صورة لذا لم يعثر على رسالة واحدة ، ولا قصيدة واحدة قالها ابن عطية اثناء حكم المرابطين فسان جوج كولان ، sait george collin levi provencal ، وليفي بروفنسال أولياً أهمية كبيرة في استخراج الرسائل الديوانية الموحدية وتحقيقها وقد تردد اسم ابن عطية الابن في كتابات ليفي بروفنسال provencal فلو عثر على رسالة لابي عيسى بن عطية ، كتبت في مهد المرابطين ، أو أدنى إشارة لكان قد ذكرها.

اما رسالة الفمول ، التي وردت كاملة في مخطوط القرروبيين ، فقد ذكرها بروفنسال provencal وقال انه عثر على نسخة اخرى مبتوحة بالاسكوريا (١) ، وقدم لها وصفاً لمخطوط القرروبيين ، قائلاً : انه يحتوي على احدى وستين رسالة ، اربع منها مشرقية ، ثنتان منها كتبها القاضي الفاضل ، بعد فتح بيت المقدس عام ٥٨٣هـ ، وثنتان للبيويهيين ، وست وثلاثون رسالة موحدية ، اضاف إليها رسالة نقلها من صبح الانعش وأما الرسائل الباقية فعددتها احدى وعشرون رسالة مرابطية (٢) ، ولم ينشر بروفنسال إلا الرسائل الموحدية ولم يقدر على رسالة واحدة فمن الرسائل المرابطية ، كتبها ابو عيسى بن عطية ، او نسبت إليه .

un recueil de lettres officielles almohades p 3 (١)

ibid . p 3 . (٢)

اما مخطوط الاسكوربالي رقم ٥٥٣٨ ، فقد وردت فيه رسالة كتب عن الامير تاشفين بن علي بن تاشفين قبل وفاته بمنة يسيرة، التي دار موضوعها حول إحراق كتب الغزالى ، واما كاتبها فهو ابو عبدالله ابن ابي الخصال ، وله رسالة اخرى عن الامير نفسه ، ختمت بما ياتي " (١) ... كمل ما كتب به الفقيه الاديب البليغ الارب ذو الوزارتين ، عبدالله بن ابي الخصال عن امير المسلمين".

اما وقد كتب عن إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين فإذن استبعد ذلك، لأن ابن عذاري ذكر أن عبد المؤمن بن علي بعد فتحه مراكش عام ٤١ هـ، دخل قصر الامير فوجده مستخفيا في كدس فحم في إحدى غرف الدار المذكورة فسيق إلى الامير (عبد المؤمن) فأشقق عليه وحن لمفرسته وكان ابن ستة عشر عاماً وهم أن يعفو عنه ويسلمه" (٢) وعمر أبي جعفر بن عطية ثلاثة وعشرون عاماً، وقد شاهدت مراكش في تلك الفترة وما قبلها معارك دامية لم ينج منها أحد ، وهذا ما يفسر عدم العثور على رسالة واحدة لابي جعفر ، كتبت في فترة المرابطين ، وقد عقب محقق الاعلام بمن حل مراكش وأتممات من الاعلام على قول لسان الدين بن الخطيب ، الذي ذكر أن أبي جعفر بن عطية كتب لعلي بن يوسف بن تاشفين وابنته تاشفين وابنه إسحاق، قائلا إن ابن الخطيب التبس عليه الامربين الابن وبين ابيه أبي جعفر بن محمد بن عطية فإن الذي كتب لعلي بن يوسف ثم لابنه تاشفين هو الأب لا الابن ، أما الابن المترجم فقد كتب لاسحاق ، وربما لابيه تاشفين (٣) وقد استبعد ذلك وبعد القضاء على آخر حكام المرابطين ، لم يجد ابو جعفر بن عطية ما يفعله سوى الهروب من قبضة الموحدين ، فقد ظل والده مخليماً للمرابطين حتى أقي القبر عليه للمرة الثانية بفاس ، فقتل وبقي ابنته خادمة لاسحاق بن علي بعد مقتل والده .

(١) مخطوط الاسكوربالي ، رقم ٥٣٨ ورقة ١٤ .

(٢) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٢٨ .

(٣) اعلام المرابطين ص ٦١ ، هامش ٢ .

فابن البار يقول إنه بعد مقتل "اسحاق وطائفة من اصحابه توارى أبو جعفر ، ودخل في غمار الناس ، وبلغ به الجد في الاستخفاء والاستئثار إلى أن ارتسם في المرتزقين من الرماة ليتبليغ بما يجري عليه "(١) ولا تختلف رواية ابن البار عن رواية عبد الواحد المراكشي، الذي يقول إنه هرب من قبضة الموحدين بعد انصراف دولة المرابطين، فغير هيئة وتسلل في صفوف الجيش ، ويقدم به جيش عبد المؤمن (٢) وأما ابن الخطيب فيقول (٣)"لما انقطعت دولة لمتونة دخل لفيف الناس ، وأخفى نفسه " وعلى الرغم من الاختلاف البسيط في سرد هذه الروايات، فهي تتفق في كونه هرب من قبضة الموحدين ، وتسلل في صفوف المرتزقة ، ويقدم بهم جيش الموحدين ، أو تسلل بين صفوف العامة فاختفى عن أبصار الناس.

لكن عبد الرحمن بن خلدون، يذكر رواية أخرى مفادها، أن عبد المؤمن بن علي، عندما دخل مراكش، وقبض على آخر حكام المرابطين، عفا عن كل من كان معه من الناس (٤)، ونقل الناصر عن هذه الرواية نفسها (٥) .

وتنقطع أخبار أبي جعفر بن عطية ، حتى يكشف عنه في جيش القائد الموحدي أبي حفص عمر الهمتاني، من أصحاب ابن تومرت، وذلك بعد القضاء على ثورة الماسي الذي خرج على الموحدين وادعى هو الآخر الهدایة ، وتسمى بابن تومرت، وانتهت هذه المعركة بفوز الموحدين في ذي الحجة من عام ٥٥١هـ حسب رواية ابن خلدون (٦) أو يوم الخميس السادس عشر من ذي الحجة عام ٥٤٢هـ حسب رواية ابن البار (٧)، وهذا ما يثبت قول المراكشي إنه هرب، وتسلل في صفوف الجيش وقد ذكر أن أبي جعفر بن عطية كان محسنا للرمي.

(١) اهتم بالكتاب ، ص ٢٦٦ . (٢) المعجب ، ص ١٩٩ .

(٣) الاحاطة ج ١ ص ٢٦٣ . (٤) تاريخ ابن خلدون ، ج ٠٦ ص ٤٨٣ .

(٥) الاستفهام ج ٠٢ ص ١٣١ . (٦) الممدو نفسه ج ٠٦ ص ٤٨٠ .

(٧) اهتم بالكتاب ، ص ٢٢٦ .

ولم يسبق للقائد الموحدى أبا حفص عمر الهمتاتى قبل هذه المعركة أن شاهد أبا جعفر بن عطية ، لكن ابن الإبار الذى عاش ، في كتف الدولة الحفصية بتونس ، يبدأ ترجمته لأبا جعفر بن عطية بقوله " صناعة الإيالة الحفصية " وينتقل ابن الإبار بعد هذه المقدمة فيكتفى على أبا حفص بعد قفائه على ثورة الماسى حيث يقول (١) "... إلى أن شار الداعى المعروف بالماسى واستفحى أمره فنهض ، إليه الأمير المعظم المجاهد المقدم المبارك ناصر دعاء التوحيد " .

ولم يكن لأبا حفص يد في ذلك ، فقد جمعت بينهما المدفة فقط ، وتعرف عليه عبد المؤمن بن علي ، وقربه منه ، بعد أن قرأ رسالته التي كتبها بهذه المناسبة . فبعد انتهاء المعركة يقول ابن الإبار " (٢) فتبه على أبا جعفر ، وقد أخفي نفسه في رمام العسكر ، وتذكر جهده ، وهو المعروف غير المنكر ، فدعا به لسعادته وأوعز إليه بإرادته فكتب رسالته التي أورثه تشريفاً وتكريماً .

وتتفق رواية ابن الإبار مع رواية ابن خلدون ، كون أبا حفص طلب من أبا جعفر الكتابة فوافقه على طلبه وكتب رسالته (٣) .

اما لسان الدين بن الخطيب فيقول إن أبا حفص أراد (٤) " إعلام الخليفة عبد المؤمن بما سناه الله ، فلم يلقي في جميع من استصحبه من يجيئ عنه ، ويوفى بما أراده ، فذكر له أن فتى من الرماه يحاصر بشين من الأدب ، والأشعار ، والرسائل ، فاستحضره ، وعرف عليه غرضه ، فتجاهل ، وظاهر بالعجز ، فلم يقبل عذره واحتدى عليه فكتب رسالة فائقة مشهورة " .

ويقول عبد الواحد المراكشى ، إن أبا جعفر وفق في كتابة هذه الرسالة ولكن بدون أن يستشهد بها فاهملها ، وقال إن الذي منعه عن رسمها هو طولها (٥) .

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٢٦ . (٢) المصدر نفسه ، ص ٢٢٦ .

(٣) تاريخ ابن خلدون ج ٦ ، ص ٤٨٤ . (٤) الاحاطة ، ج ١ ص ٢٦٤ .

(٥) المعجب ، ص ١٩٩ .

ولقد كانت هذه الرسالة، وسيلة في وصوله إلى الكتابة والوزارة لدى عبد المؤمن فعندما "قرئت في مجلس الخليفة استغрабها الحاضرون من الطلبة، والفقهاء، والكتاب والتبهاء، والشعراء واستحسنها الخلفاء لما فيها من وصف الحال بعنابة الإبداع، وأنها أخذت من الفماعة، والبلاغة، والتشبيه الغريب بالقلوب والاسماع واجمع البلفاء على إيداعها غاية الإبداع، فكانت سبباً بسعده ورفعه قدره وتحمده فاستكتبه عبد المؤمن إثر ذلك ثم علا قدره "(١) .

وهذه الرسالة هي الأولى التي كتبها أبو جعفر بن عطية للموحدين، وربما كانت أول رسالة ديوانية يكتبها في حياته، بعد أن تدرب على قراءة الرسائل أثناء مساعدته والده في ديوان المرابطين وقد ورد فيها عن الماسي .

"... فصرع (بحمد الله) (٢) (تعالى) (٣) لحيته، وبادرت إليه متونه، واتته، وافدات الخطيبات عن يساره، ويمينه و(قد) (٤) كان يدعى (أنه بشر بيان) (٥) المنذية في هذه الأعوام لا تصيبه، (٦)، والتوائب لا تنبوه، ويقول في سواه قوله كثيراً، ويختلق على الله إفكاً وزوراً فلما (عاينوا) (٧) هيئة، افطجاعه و(رأوا) (٨) ما خطته الآسنة (على أفلعه) (٩)، ونجد فيه من أمر الله (تعالى) (١٠)، مالم يقدروا على استرجاعه (انهزم) (١١) من كان لهم من الانحراف، وتساقطوا على وجوههم

(١) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٣١ .

(٢) في الاحاطة وأعلام المرائحي، وبالحمد لله

(٣) زيادة من النفع . (٤) ناقمة في الاحاطة وأعلام المرائحي .

(٥) ناقمة في الاحاطة .

(٦) في المصدر نفسه . لا تصيبه، ويزعم أنه يبهر بذلك، والتوائب لا تنبوه .

(٧) في النفع، رأوا . (٨) في المصدر نفسه ، وما .

(٩) في الاحاطة ، وأعلام المرائحي، في اصحابه .

(١٠) ناقمة في الاحاطة وأعلام المرائحي .

(١١) في الاحاطة وأعلام المرائحي هرم .

تساقط الذباب، وأعطوا عن بكرة أبيهم (صفحات) (١) الرقاب، ولم تقطر كلورهم إلا على الأعقاب، فامتلأت تلك الجهات بآجسادهم، وآدنت الأجال بانصراف آمادهم، واحد الله (تعالى) (٢) يكفرهم، وفسادهم، فلم يعain منهم إلا من خر صريعاً وسقى الأرض نجيعاً " (٣) .

لقد كان أبو جعفر بن عطية بسيطاً في حياته، وكتاباته، فلم يتكلف في استعمال الكلمات الفخمة بل كتب بأسلوب بسيط، فجاءت معانيه واضحة، إلى جانب استعماله الجمل القصيرة، فاستحوذ بقلمه، على فكر عبد المؤمن فأعجب به وبقلمه وقربه، وزاده منصب الوزارة .

فابن الأبار يذكر أنه الوزير الكاتب، دون أن يفصل بين الكتابة والوزارة وعند كلامه عن الرسالة التي كتبها لعبد المؤمن يقول (٤) " وبسبها أوثر بالكتابة الكلية والوزارة " .

ويقول عبد الرحمن بن خلدون، لما قرأ عبد المؤمن رسالته أعجب ببلاغته فجعله كاتباً له ثم استوزره (٥) وقد ورد الكلام نفسه عند عبد الواحد المراكشي . ولسان الدين بن الخطيب، والمقربي .

وكأن عبد المؤمن بن علي يصطحب وزيره في رحلاته وغزواته فيبعد عودتهما من زيارة ضريح ابن تومرت كتب أبو جعفر بن عطية رسالة وجهت إلى طلبة الأندلس والتي دار موضوعها حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٦) ومحب عبد المؤمن وزيره إلى تلمسان ، حيث كتب عنه رسالة حول انتصار جيش الموحدين بمنطقة سطيف (٧) ، كما وجهه

(١) في الاحاطة وأعلام المراكشي صحفة (٢) زيادة من النهي .

(٣) اقتباس الكتاب، من ٢٢٩ - ٢٢٨، الاحاطة ١٥، من ٢٦٩ - ٢٧٠، النهج، ٧٥، ٦٦٦٦٥، ١٨٧، الأعلام بمن حل مراكش وأهميات من الأعلام، ج ١، من ٤٨٣ - ٤٨٤ .

(٤) اقتباس الكتاب . (٥) تاريخ ابن خلدون ج ٦، من ٤٨٣ .

(٦) نظم الجمان ص ص ١٥٠ - ١٦٧ .

(٧) مجموع رسائل موحديّة من من ٤٣ - ٤٦، الرسالة الخامسة .

عبد المؤمن لعقد الصلح مع فصاري المرية (١) وعندما قام اخوه المهدى بن تومرت، عبد العزيز، وعيسى بالثورة على عبد المؤمن ارسله لاطفاء الفتنة، فكتب ابو جعفر بن عطية رسالة حول هذا الموضوع (٢) ولما خرج عبد المؤمن من مراكش قاصدا سلا، لاستقبال كبيرة العرب، قبل ان يعين ابنته محمد اوليا لعهده امتطبه معه، وكتب عنه رسالة بهذه المناسبة (٣) إلى غير ذلك من الرسائل التي كتبها، اثناء رحلاته مع الخليفة عبد المؤمن .

ولم يكن عبد المؤمن بن علي يستطيع الاستغناء عنه في اموره السياسية ، واصحاده للثورات، التي كانت تقوم بين فترة واخرى، في المغرب الاقمى والاوسيط، وهذا ما يتضح من خلال رسالته التي كتبها من بجایة في رفقة عبد المؤمن الموجهة لاهل قسطنطينية حيث وعظهم ودعاهم للدخول في طاعة الموحدين . (٤) .

ونجد من خلال الرسائل التي حققها بروفنصال ان ابا جعفر بن عطية لم ينفرد بالكتابة للخليفة عبد المؤمن، بل جعل اخاه عقيل بن عطية كاتبا للخليفة كذلك وامتطبه الخليفة عبد المؤمن إلى بجایة ليكتب عنه رسالة بعد فتح قسطنطينية (٥) وبعد زيارتهما لفريج ابن تومرت كتب عنه رسالة في الثامن من شوال عام ٥٥٢هـ (٦) كما كتب عنه رسالة أخرى بمناسبة فتح المرية، وبسياسة وأبذه (٧) .

(١) الانبياء المصطرب، ص ١٩٣ - ١٩٤، الاحاطة ١٢ ص ٢٦٥، الاستدلال، ٢٥ ص ١١٢ .

(٢) مجموع رسائل موحديّة ، ص ٣٧ - ٤٦، الرسالة الحادية عشرة .

(٣) المصدر نفسه ص ٥٥ - ٦٦، الرسالة الشائعة عشرة .

(٤) مجموع رسائل موحديّة ص ٢٢ - ٢٣، الرسالة السابعة .

(٥) المصدر نفسه ص ٢٢ - ٢٦، الرسالة الخامسة .

(٦) المصدر نفسه ص ٩٣-٨٩ الرسالة السابعة عشرة .

(٧) المصدر نفسه ص ٨١-٧١، الرسالة السادسة عشرة .

ولم يشارك أبو جعفر بن عطية الخليفة في غزواته فقط بل شاركه في نظم الشعر وإبداء الرأي في مختلف أمور الحياة، حيث نجد عبد المؤمن يقول بعد أن شاهد جارية تنظر من الشباك :

قَدَتْ فُؤَادِي مِنَ الشَّبَاكِ إِذْ نَظَرَتْ
فَقَالَ أَبْنَ عَطِيَّةَ : حَوَّرَاءَ تَرَنَوْ إِلَى الْغَشَاقِ بِالْمَقْلِ
فَقَالَ عَبْدُ الْمُؤْمِنَ : كَانَمَا لَحْظَهَا فِي قَلْبِ مَا شِئْهَا
فَقَالَ أَبْنَ عَطِيَّةَ : سَيِّفَ الْمُؤْيَدَ عَبْدُ الْمُؤْمِنَ بْنُ عَلِيٍّ

ووجد الخليفة ، في كاتبه ، ووزيره ما ترتاح له النفس لذا قال عنه ابن الأبار " بهر بهاؤه ، واشتهر ابتداؤه ، وانتهاه ، حتى ساق الأيام بل الآلام بعضاه ، واستوثق له أدنى الشرق واقصاه "(١) .

لكن مع كل هذا يبقى أبو جعفر بن عطية الأديب الكاتب، الذي ينظر إلى الحياة نظرة تختلف في بعدها عن نظرة الخليفة ، ونجد عبد الواحد المراكشي يقول (٢)، أخبرني الفقيه المتنبي أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبي جعفر الوزير عن أبيه عن جده الوزير أبي جعفر قال : دخلت على عبد المؤمن وهو في بستان له قد اينعت شماره ، وتفتحت ازهاره ، وتجاوיבت على اغمانه اطياره ، وتكامل من كل جهة حسنة ، وهو قاعد في قبة مشرفة على البستان ، فسلمت ، وجعلت انظر يمنة وشامه ، متعجبًا مما ارى من حسن ذلك البستان ، فقال لي : يا أبا جعفر ، اراك كثير النظر إلى هذا البستان قلت : يطيل الله بقاء أمير المؤمنين ، والله إن هذا المنظر حسن فقال : يا أبا جعفر المنظر الحسن هذا ؟ قلت : نعم ، فسكت عنى ، فلما كان بعد يومين أو ثلاثة ، امر بعرض العسكر آخذى أسلحتهم وجلس في مكان مظل ، وجعلت العسكر تمر عليه قبيلة بعد قبيلة وكتيبة إثر كتيبة ، لا تمر كتيبة إلا والتي بعدها احسن منها ، جودة ، سلاح وفراهة خيل ، وظهور قوة ، فلما رأى ذلك التفت إلى وقال يا أبا جعفر ، هذا هو المنظر الحسن ، لا شمارك وأشجارك .

(١) الانبياء المطروب ، ص ٢٠٣ ، النهج ٢ ٧ ص ١٨٦ ، هجرة الفوار الزعيمية من

١٣٥٣

(٢) المعجب ، ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

لقد عاش أبو جعفر أطول فترة من حياته خادماً للمرابطين
مدينا لهم، وشاءت القدر أن يتولى منصب الوزارة والكتابة لدى
ال الخليفة عبد المؤمن، الذي أمر بقتل والده، ولم ينظم أبو جعفر
للموحدين إلا بعد وفاة إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين، ولو حكم
المرابطون أكثر من هذه المرة، لبقي أبو جعفر بن عطية مخلصاً لهم
لكن الوزير الكاتب لم يكن ناكراً لجميل عبد المؤمن، وبذل كل جهده
في خدمة دولة فهذا النامي يقول عنه (١) "حمدت سيرته وادارته،
وقاد العساكر، وجمع الاموال، وبذلها، وبعد في الدولة صيته، ونسى
من الرتبة عند السلطان مالم ينله أحد في دولته، وتحبب إلى الناس
باجمال السعي والاحسان، فعمت صناته ... وكان محمود السيرة مبحث
المحاولات، ناجح المساعي، سعيد المأخذ ميسر المأرب، وكانت وزارته
زياناً للوقت، وكمالاً للدولة "، وأما رسائله الديوانية التي كتبها
عن عبد المؤمن بن علي فقد بقى رائداً لها، بحيث نجد كل الكتاب
الذين تولوا مهنة الكتابة من بعده ينهمون نهجه ويسيرون على
مفوّل رسائله، التي أصبحت نموذجاً يحتذى بها كل من احترف المتنعة
من بعده، وتطورت الأحداث في عهده حيث عين عبد المؤمن ابنه
وليأ للعهد وجعل ابنته ولادة على البلاد.

وجمع مجموعة كبيرة من سكان المغرب الأوسط ومن المقربين
لديه من منطقة كومية وكانت جماعة كبيرة من أهل تحسد أباً جعفر بن
عطية على المكانة الرفيعة التي وصلها، ويأتي على رأسهم كل من
بایع ابن تومرت ولا يزال حياً في تلك الفترة من أهل الخمسين
والسبعين، فعند ما كلف الخليفة ابنه بمهمة الجهاد في العدوة
الأندلسية عام ٥٥١، بعث معه وزيره أباً جعفر بن عطية، ولما خلا
الجو لحسابه، أوغروا صدر الخليفة عليه (٢) .

(١) الاستفهام، ج ٢، ص ١٣١ .

(٢) الاحاطة، ج ١، ص ٢٦٥، النفح، ج ٧، ص ١٨٣، الاستفهام، ج ٢، ص ١٣٢ .

وبعد عمل منصل وصل عبد السلام الكومي من أهل الخليفة أن يستميل قلبه، ونجد الخليفة عبد المؤمن ينقلب ضد كاتبه وزيره، وفي تلك الفترة قدمت قصيدة بين يديه من انشاء مروان بن عبد العزير يقول فيها (١) .

قُلْ لِلَّامَامِ أَطَالَ اللَّهُ مَدْتَهُ فَوْلَا تَبَيَّنَ لِذِي لَبْ حَقَائِقَهُ
إِنَّ الْزَّارِجِينَ قَوْمٌ قَدْ وَتَرَتَهُمْ وَطَالِبُ الْكُثُرِ لَمْ تُؤْمِنْ بِوَائِقَهُ
وَلِيُؤْزِيْرِ إِلَى سَأَرَاهِيمْ مِكْلَهُ بِذَاكَ مَا كَثُرْتُ فِيهِمْ عَلَانِقَهُ
فَبَادِرِ الْحَزَمَ فِي إِطْفَاءِ نَارِهِمْ فَرَبِّمَا عَاقَ عَنْ أَمْرٍ مَوَائِقَهُ
هُمُ الْعَدُوُّ وَمَنْ وَالْأَهْمُ كُهُمْ فَسَاحَدَرَ عَدُوكَ وَأَخْدَرَ مَنْ بُصَادَقَهُ
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي نَاصِحٌ لَكُمْ وَالْحَقُّ أَبْلَجَ لَا تَخْفَى طَرَائِقَهُ

وكما اختلفت الروايات في كثير من أمور حياته تضاربت في سبب قتيله، قال لسان الدين بن الخطيب (٢) وعبد الواحد المراكشي (٣) والمقربي (٤) إن الخليفة أطعنه على سر فافشاه وزاد لسان الدين ابن الخطيب (٥) " كونه لم يقف في اصطدام العدد الكبير من الملتوين حتى تزوج بنت يحيى الحمار من أمرائهم، وكانت امها زينب بنت علي بن يوسف " .

ويقول عبد الواحد المراكشي ان زينب بنت ابي بكر بن يوسف ابن تاشقين المعروفة ببنت المصراوية، وأخوها يحيى فارس المرابطين يعرف أيضا ببيحيى بن المصراوية (٦) .

ورغم هذه الاختلافات، فليبي هناك اي ضرر، من زواج ابي جعفر ابن عطية بأميرة مرابطية، وقد قربه عبد المؤمن، وعفا عن كل سكان مراكش بعد مقتل اسحاق بن يوسف بن تاشقين آخر امراء المرابطين .

(١) الاحاطة ج ١ ص ٢٦٦ . النفح ج ٧ ص ١٨٢ . الاستقامة ج ٢ ص ١٣٢ .

(٢) الاحاطة ج ١ ص ٢٦٦ . (٣) المعجب، ص ١٩٩ .

(٤) النفح . ج ٧ ص ١٨٣ . (٥) الاحاطة . ج ١ ص ٢٦٥ .

(٦) المعجب، ص ١٩٩ .

ولما انتهى الامر إلى ابي جعفر ، وهو بالعدوة الاندلسية قفل راجعا إلى مراكش وعندما توجه عبد المؤمن إلى تيبل ، لزيارة ضريح ابن تومرت، اصطحب ابا جعفر وأخوه عقيل ، وبعد عودتهم ، من الزيارة ، امر عبد المؤمن بقتلهم . (١)

لقد كان عبد المؤمن تلميذا مخلصا لمعلمه ابن تومرت ، وحضر معه أيام التمييز حيث امر ابن تومرت عبد الواحد الونشريسي بقتل مجموعة كبيرة من الذين شك في إخلاصهم وقد تميزت دولة الموحدين عن المرابطين بسياساتها الدموية حيث لم يشفع ابن تومرت ، ولا عبد المؤمن ، على كل من شك في أخلاصه للدولة ، فامر الخليفة بقتل ابن عطيه الاب عام ٥٤٠ هـ ثم قتل ابنيه ابا جعفر وابا عقيل في التاسع والعشرين من شهر صفر عام ٥٥٣ هـ . (٢)

ابن محثرة :

هو ابو الفضل ، حسب عبد الواحد المراكشي (٣) ، وابن ابي زرع (٤) ، وعبد الملك المراكشي (٥) ، وأما عند الغبريني (٦) فهو ، ابو الفضل ، وابو العلى ، وهو ابو العباس عند بن عذاري (٧) ، ولسان الدين بن الخطيب (٨) .

والملحوظ ان كنية ابي الفضل ، ترددت غير مرة ، وقد اجمعوا عليها المصادر فهو اذن ابو الفضل بن محمد بن علي بن طاهر تميم القيسى عند الغبريني ، ولم يتمكن محمد بن شريفه من قراءة الكلمة المطمئنة بين تميم والقيسى ، فكتب ابن محمد بن طاهر بن تميم [.....] القيسى (٩) .

(١) الاحاطة ١٦٠ ص ٢٦٦ .

(٢) الحلقة السيراء ٢٢ ، ص ٢٣٨ ، البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٥٨ .

(٣) المعجب ، ص ٢٤٤ . (٤) الانجیس المنظوب ، ص ٢٠٦ .

(٥) التدیل والتحکمة السفر ٨ ، ق ١ ، ص ٥٤ . (٦) متوان الدراسية ، ص ٥٣ .

(٧) البيان المغرب ، (قسم الموحدين) ٢٠ ص ١٦٦ .

(٨) الاحاطة ، ج ٤ ، ص ٣٥٥ . (٩) التدیل والتحکمة السفر ٨ ، ق ١ ، ص ٥٤ .

وهو جعفر بن احمد عند عبد الواحد المراكشي (١)، وعلي بن طاهر عند ابن الزبيير (٢) وابن ظاهر عند ابن ابي زرع (٣) ولسان الدين بن الخطيب (٤)، واكتفى ابن عذاري بظاهر دون اي ذكر (٥) المعروف بمحشرة عند ابن ابي زرع (٦)، وبابن محشرة عند عبد الواحد المراكشي (٧)، وابن عذاري (٨) والغبريني (٩) وهو ابن محشرة عند عبد الملك المراكشي (١٠)، وابن الزبيير (١١)، ولسان الدين بن الخطيب (١٢).

ولد عام ٥٥٤هـ (١٣) او قبلها بيسير بمنطقة اشير من قلعة بني حماء، وهي فاحية من فواحى بجایة ولا نعرف عن عائلته سوى انه كان من بيت علم وجلال، وان اباه كان قاضيا ببجایة (١٤) ولا نعرف عن صباء وشيوخه الا انه كان تلميذا لابي القاسم الفالمي (١٥)، وانفرد ابن الزبيير من كل المترجمين - بكسر الجيم - لابن محشرة انه " روى عن ابي بكر بن ثالب بن عطية ، وابي بكر بن ساق ، وابي محمد الشامقى ، وروى عنه ابن اخته القاضى ابو عبدالله . (١٦)

-
- (١) المعجب، ص ٢٤٤ . (٢) صلة الصلة من ٢٩١ .
 (٣) الانيس المطروب، ٢٠٦ . (٤) الاحاطة، ج ٤، ص ٣٥٥ .
 (٥) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ١٦٦ .
 (٦) الانيس المطروب، ص ٢٠٦ . (٧) المعجب، ص ٢٤٤ .
 (٨) البيان المغرب (قسم الموحدين) ، ١٦٦ .
 (٩) متوان الدراسية، ص ٥٣ .
 (١٠) الدليل والتكميلة، السفر ٨ ف ١ ص ٥٤ .
 (١١) صلة الصلة ، ص ٢٩١ . (١٢) الاحاطة، ج ٤، ص ٣٥٥ .
 (١٣) الدليل والتكميلة السفر ٨ ف ١ ص ٥٤ . متوان الدراسية ، ص ٥٥ .
 (١٤) المصدر نفسه ، ص ٥٣ .
 (١٥) المصدر نفسه ، ص ٥٣ .
 (١٦) صلة الصلة من ٢٩١ .

ولا نعرف من المدن التي رحل إليها طالباً للعلم إلا مدينة بجاية، التي استدعاه منها الخليفة يوسف بن عبد المؤمن إلى ديوانه بمراكش، والسبب في ذلك أن كاتب سر الخليفة توفي في تلك الفترة، وبعد البحث عن كاتب آخر، شاءت القدر أن يزور أبو سرحان مسعود ابن سلطان الرياحي المعروف بمسعود البلطي (١)، الخليفة يوسف بمراكش " وكانت له عنده مزية، وكان يحضر معه أكثر الأوقات في الخلوات قال : دخلت عليه يوماً فوجده مغتماً، وقد ظهر التغير في وجهه، فقلت له يا سيدنا يا أمير المؤمنين ما الذي أهلكم الله ؟ فقال لي إن كاتب سرتنا فلانا قد مات وقد احتجنا إلى من نقيمه مقامه، وما وجدنا، لانه يحتاج في كاتب السر ان يكون على صفة كذا، وعلى نعمت كذا فقلت له بشراك يا سيدنا يا أمير المؤمنين، هذا الرجل بجاية، أبو الفضل بن محشة، وومن له في صفاتة ما وقع منه موقع القبول، فكتب إليه أمير المؤمنين من حينه، وامر والي بجاية ان يحتفي به ويحمله غير محمل فلم يمكنه بعد وصول الامر الاطاعة أمير المؤمنين ولم يمكنه التخلف " (٢)

وكان ابن محشة البجائي مضطراً للرحيل عن بلده، فوفد على مراكش مكرهاً عندما بعث الخليفة يوسف في طلبه " مع علمه أنه استدعاه لمنصب يسمى به على امثاله، ولكن عزة العلم أغنته عن النساء، وحملت له من المزية في الانفس ازيد مما يقاس " (٣) .

وتم استدعاء ابن محشة بعد وفاة كاتب سر الخليفة يوسف بن عبد المؤمن كما ذكر الغبريني، وأعتقد انه يقصد أبا الحسن بن عياش المتوفي عام ٥٦٨هـ وعمر ابن محشة ثمانية عشر عاماً او ما يزيد .

(١) هو مسعود بن سلطان بن زمام، كان من الخارجين على بن عبد المؤمن، متواتر الدرایة هامش ١ ص ٤٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٥ .

(*) مدينة صغيرة تقع بشرق المغرب الأوسط (الجزائر) تحيط بها الجبال، الاستبسار ، ص ١٧٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٥٣ .

فبعد الواحد المراكشي يذكر ان ابن محشة خدم ابا القاسم القالسي (١) الى ان توفي، فكتب مكانه اي انه كان موجودا بمراكش ساعة وفاة القالسي، وهؤلاء الكتاب الثلاثة خصم الخليفة يوسف لنفسه، اي انهم كانوا معروفيين بكتبة سر الخليفة .

ولما مثل بين يدي الخليفة يوسف لمن فيه الاخلاق الحميدة فوق ابو الفضل من نفس الخليفة موقعا حسنا، فأكرمه، ورفع منزلته، غير ان الحсад، كادوا ان ينجحوا في تعكير صفو هذه العلاقة الجيدة، حين اتهموا ابا الفضل بالتقاعس عن المجيء فور استدعاء الخليفة له، والتأخر عن تلبية ندائها، وعندما واجهه الخليفة معتابا اجاب مشبها اتيان الخليفة باتيان الملاة قائلا له " يا امير المؤمنين انت امام المسلمين، وما احسب ان محل الإمامة إلا ك محل الملاة ، فكما آتني إلى الملاة آتني إلى هذا المحل، وقد قال رسول الله صلى الله وسلم (إذا أقيمت الملاة، فلا تاتوها، وانتم تسعون واتوها تمدون، وعليكم السكينة فما ادركتم فعلوا وما فاتكم فاتمو) (٢) فاستحسن الخليفة ذلك منه، وعظمت منزلته في نفسه .

وبعد وفاة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بن علي، كتب ابن محشة للخليفة يعقوب المنصور شم لابنه محمد الناصر، وذكر ابن عبد الملك، ان ابن محشة دخل بلاد الاندلس وكتب إلى الخليفة المنصور (٣)، لكن ابن الزبيير قال ان الشيخ - يقصد ابن عبد الملك ذكره في الذيل " ولم يذكر انه دخل الاندلس والله اعلم " (٤) .

لكن آخر ما وصل إلينا من رسائل ابن محشة هي رسالته المفروضة في ٢٦ من جمادي الثاني عام ٥٥٨هـ (٥)، وذلك قبل وفاته

(١) المعجب، ص ٢٤٤ . (٢) متوان الدراسية، ص ٥٤، ٥٥ .

(٣) الذيل والتحملة المسفر ٨ في ١ من ٥٤ .

(٤) صلة الملة، ص ٢٩٩ .

(٥) مجموع رسائل موحدة من ص ٢١٨-٢٢٨، الرسالة الرابعة والخلاصون.

بائني عشر عاما فاستخلفه ابو عبد الله بن عياش، اي ان رسائل ابن محشة التي وصلتنا، كتبت في عهد الخليفة يوسف وابنه يعقوب المنصور، والتي جانب براعته في الكتابة جمع بين سعة الرواية والفقه والتبليل، والتفوي، والحفظ والذكاء، وأضاف عبد الملك المراكشي حسن الخط والتواضع (١) .

اما انتاج ابن محشة الادبي فكل ما وصل اليانا من رسائله الديوانية التي حققها لييفي برونفصال، المستخرجة من مخطوط القزوين من طرق زميله جورج كولان عام ١٩٢٦م وعددتها تسعة رسائل، وقد كتبت عن الخليفة يوسف وابنه يعقوب المنصور .

الرسالة الاولى هي السادسة والعشرون، في مجموعة بروفندصال ، وقد كتبها ابن محشة عن الخليفة يوسف ابن عبد المؤمن بن علي بتونس، وذلك في منتصف شهر شوال عام ٥٧٦هـ الموجهة الى الطلبة والموحدين، والشيوخ، والاعيان والكافة بقرطبة يخبرهم بتحرك قبيلة رياح نحو جزيرة الاندلس للجهاد، والملاحظ ان هذه الرسالة تؤكد مشاركة القبائل العربية في الجهاد بالعدوة الاندلسية، كما ذكر ذلك عبد الرحمن بن خلدون (٢) .

فبعد فتح قفصة اتجه الخليفة يوسف نحو المنطقة الشمالية بال المغرب الاواني فجمع اشياخ العرب من قبيلة رياح وعمرفوه ... ان الغرض فيهم إنما هو غزو الروم الذين بجزيرة الاندلس - مهدنا الله - ... وإن كانت هذه البلاد هي التربة التي مست أولا جلودهم، وقفوا فيها من الشباب عهودهم، فالذي ينتقلون إليه من الرباط في سبيل الله بجمع لهم الخير في الدين، والدنيا والشرف بالكون في عدد كلمات الله العليا، وبين لهم انهم إذا استقبلوا هذا الفزو السعيد، والغرض الحميد بنيات متجردة وعزائم فيه

(١) الانيس المطرب، ص ٢٠٦، ٢٠٧، المصحّب من ٢٤٤، التبليل والتفوي، السفر ٨ في ٦ ص ٥٤ .

(٢) تاريخ ابن خلدون، ج ٦، ص ٠٠٠ .

متجددة، ونفروا إليه، بجعلتهم من غير استثناء، واستحبوا معهم من تتعلق به الخواطر من أهل وابناء ... وجعلوا ذلك كله وراءهم حيث ما يرسم لهم من بلاد الاندلس - مهدها الله - ثم صدوا لعدوهم وتفرغوا لرواحهم في سبيل الله وغدوهم كانت خواطيرهم لغزو أعدائهم أفرغ " (١) .

وكتب ابن محشة بعد وفاة الخليفة يوسف لابنه يعقوب المنصور، الذي ذكر أن آباء الخليفة يوسف كان قد نقل مجموعة كبيرة من القبائل العربية إلى المغرب الأقصى ثم إلى الاندلس، لمشاركة أخوانهم في الجهاد، بالعدوة الاندلسية، وقد عاد الجيش الموحدى ضافرا، فران القبائل العربية، وإخوانهم الموحدون مبايعة الخليفة يعقوب المنصور أميرا للمؤمنين فقد "... رجع الموحدون - اعزهم الله - من غزوتهم المبرورة التي اعز الله بها المسلمين ... وبلغهم من نكبة أعدائهم، وتدويخ أكتافهم، وارجاعهم، ما تجاوز أماناتهم وأمالهم، تعين الوقت الموعود، وحضر الزمن المرسوم له المحدود، وكان بحكم الاحتفال للغزو العبارية، وحرم الكافة على افتئام أجور المساهمة فيها والمشاركة أجمع من الموحدين - أعادهم الله - ومن أنساف إليهم من الأجناد، ومن كافة العرب ... واحضروا لأخذ البيعة عليهم أفواجا، وسلكوا من الطاعة الصادقة سبل فجاجا، واقتفو في ذلك من أشار هذا الأمر العظيم ... وبادر الأعيان من الموحدين، وغيرهم - وفق الله جميعهم - إلى البيعة، وسارعوا، وترادف الناس بعدهم، وتنتابعوا، واعطى الجميع صفة ايديهم باخلاص من سائرهم، وبسايعوا، والزموا فروض البيعة بشرطها، وقيودها، ووقفوا عند رسومها المعلومة، وحدودها، وأمضوا على أنفسهم، أحكام حقوق الطاعة الصحيحة وعهودها " (٢) .

(١) مجموع رسائل موحدية ، من ١٥٢، ١٥٣، الرسالة السادسة والعشرون .

(٢) مجموع رسائل موحدية ، من ١٦١، ١٦٢، الرسالة السابعة والعشرون .

وإلى جانب ما تحمله رسالة ابن محسرة ، من أهمية من بيعة الخليفة المنصور ومشاركة القبائل العربية ، إلى جانب إخوانهم البربر في الجهاد ، بالعدوة الاندلسية فهي تصح تاريخ وفاة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بن علي ، فقد ذكر ابن عذاري (١) والنويري (٢) ، وابن أبي زرع (٣) ، ولسان الدين بن الخطيب (٤) ، والزرκشي (٥) ، إن وفاة الخليفة يوسف كانت يوم السبت الثاني عشر من شهر ربيع الأول ، وسحب ابن محسرة الخليفة يوسف أثنا ، جهاده بمنطقة شنترين ، وكتب هذه الرسالة في بيعة الخليفة يعقوب المنصور في السابع من جمادي الأول ، أي بعد وفاة الخليفة يوسف بخمسين يوما وهو ما يؤكّد الخطأ الذي وقع فيه عبد الواحد المراكشي (٦) حيث ذكر أن وفاة الخليفة يوسف كانت في السابع من شهر رجب من العام نفسه ، أي بعد بيعة الخليفة يعقوب المنصور بمدة شهرين ، ونقل عنه ابن خلkan (٧) هذا التاريخ .

واما الرسالة الثامنة والعشرون فمن مجموعة بروفنسال فقد كتبها ابن محسرة عن الخليفة يعقوب المنصور ، في او اخر رمضان عام ٥٨٠ هـ الموجهة إلى الطلبة والموحدين والاشياخ والاعيان ، الكافة باشبالية ، التي يدور موضوعها ، حول الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بصفة عامة ، وبخاصة القرار الذي اتخذه الخليفة بمنع شرب الرب حيث كتب ابن محسرة عن الخليفة قائلا " ... فإن النام تجوزوا في أمر الرب تجوزا اغفلوا فيه الاجتهاد ورتعوا حول حماه رتعوا ارتعهم فيه اوكياد ، وتسامحوا فيه تسامحا حرق المتعارف من الماذون فيه والمعتاد ، وحاول اتخاذه وببيعه من لا يتوقف على احترام ، ولا يتخوف بما يكتسب من آثام ... ولما تقرر عندنا من الالتباس في ذلك ما تقرر ، وتردد على اسماعنا ما استرسل فيه وتكرر ، وعلمنا ان

(١) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ١٦٤ .

(٢) نهاية الاربـ. ص ٤٣٣ . (٣) الانبياء المطروبـ. ص ٢١٥ .

(٤) رقم الحلـ. ص ٥٨ . (٥) شاریخ الدوکتینـ. ص ١٤ .

(٧) وفيات الاممـانـ. ج ٢ ، ص ١٣٨ . (٦) المعجبـ. ص ٢٦١ .

الذى وسع على الناس من اتخاذه لم يتبعن لهم الحق فيه على وجهه ولن يتحرر، وأن ذلك مما يصعب عليهم بسبب ما تناهلو فيه ويعتذر، رأينا - والله المستعان - أن قطعه بالكلية أخلق بالاحتياط لدينهم وأجدر، فمن العصمة الا يجدوه ومن العون لهم على تركه أن يعدموه ويغدوه، فإذا وفاصم كتابنا هذا بحول الله - عزوجل - فاقطعواه جملة وتفصيلاً، ولا تجدوا أحداً إلى بيته سبيلاً واشتدوا في ذلك اشتداداً لا يوسع مستسمحاً فيه مدوفاً عن هذا القصد الحميد ولا عدول، واحلوا الحوانين التي كان يباع فيها منه وافقروها واصرفوها لغير ذلك من المباحات وميروها، والديار المعروفة ببيته أيضاً لا تتركوها على ذلك ولا تقرروها واريقوها ما تلقون من مشتبه وملتبسه، وعاقبوا من تجدوهه عنده أشد عقوبة على دلسه، وتتبعوا في ذلك أبلغ تتبع واسده، ومن وجدتم عنده رائحة منه كائناً من كان فاقيموا عليه ما رسمه الشرع في ذلك وحده" . (١)

لقد تبين لنا أن هذه الرسالة لا تختلف عن رسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي سبقتها، باستثناء أنها صدرت عن الخليفة الثالث يعقوب المظمور، وذيلت بتاريخ مختلف عن الرسائل التي سبقتها، وكانت الرسالة الجامعة لأنواع الأوامر ورسالة الفصول نموذجاً لكتابه رسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلال حكم الموحديين للمغرب والأندلس، وأعتقد أن الكتاب الدين تولوا منصب الكتابة الديوانية في عهد الموحديين، اعتمدوا، على رسائل أبي جعفر ابن عطيه في إخراج رسائلهم الديوانية في أحسن صورة .

وتتبه بروفنسال Provencal لهذه الظاهرة، فقال مَرِان الكتاب الذين جاؤوا بعد أبي جعفر بن عطيه اعتمدوا في كتابة رسائلهم التي تناولت موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على رسالة الفصول ، فيغيرون تاريخها واسماء الشخصيات التي ارسلت إليهم ويحتفظون بشكلها الخارجي (٢) .

(١) مجموع رسائل موحدية من س ١٦٥-١٦٧، الرسالة الثامنة والعشرون .

وكتب ابن مبشرة رسالته الرابعة عن الخليفة يعقوب المنصور ، في الخامن من ربیع الثانی عام ٥٥٨ هـ ووجهها إلى الطلبة والموحدین والاشیاخ ، والاعیان والکافة باشبيلیة ، وتتضمن الرسالة ، موضوع إعادة فتح بجاية بعد سقوطها في يد شقی میورقة على ابن غانیة (١) الذي غادر جزیرة - میورقة - وتوجه إلى المغرب الأوسط ليستولي على المنطقة الشرقية منه (بجاية) ، ففرض الضرائب على الناس ، وطبع في الاستیلاء على قسنطینیة * ، ولكن اهلها قاوموا ، وردوه عنها ، وأرسل الخليفة جیشا بقيادة الطلبة ، فقفوا عليه وتم بعون الله عزوجل فتح بجاية للمرة الثانية على يد الخليفة يعقوب المنصور بعد أن فتحها جده عبد المؤمن بن علي (٢) .

وعن هذه الحادثة ، يقول ابن مبشرة " ... وقد علمت - وفكم الله ... ما كانت عليه حالة الكافر الغادر ، اللعين الخائن الخاسر ... ولما عنت للفاسق الفرصة ، اغتنم بزعمه انتهازها ، ولما مكنته الغرة ، حاول برایة البائس اقتناصها واحتيازها ، وتطلب من امامیه ... فداخل اوباشا ممن كان بجاية ومن رق دینه ، وضعف إيمانه ويقینه ، وزان على قلبه شیطاته المفل وقرینه ، فيسروا له تمهد

(١) يقول الفرد بل Alfred Bel : إنه في عام ٤٤٦ هـ خلف الموحديون المرابطین ، وانتهت الامبراطورية التي أسسها يوسف بن تاھفین . بوهادھ حمیدة إسحاق بن ملي بن يوسف بن تاھفین بفتح مرائھ ، ومنذما عبر الموحدون جبل طارق ، ففرض الجہاد ، مطم خطرهم ، وبذلت الدولة الجديدة تعدد امراء البليبار ، بغايا المرابطین بالاندلس ، وعلى امل التحرر من قبیل الموحدین ، الى جانب الحقد الذي يکنھ على بن هانیة لبني عبد المؤمن ، دخل الامیر ملي بن هانیة في محاربة الموحدین . ونقل صحبة اخویه ، قلب المعركة إلى المغرب الأوسط من طريق البحر ، فاستولى على بجاية ، وكان آخر حکام بنی حماد يحمل في قلبه حقدا على الموحدین ، الذين قھوا على دولته ، ولكن بعد انتقامات قليلة اضطر ملي بن هانیة للهروب إلى المغرب الأقصی ، وشوفی بما بعد ثلاث سنوات من الصمود ، وترك بعده أخاه ، قائد انجواته .
Les Banov ghania Alfred Bel p ٩، ١٠. paris 1903

(*) قسنطینیة : من المدن الجزائریة ، تقع على جبل مظیم ، ولها نهر كبسیر ، وهي مدينة حصينة الاستیصار ، من ١٦٦٠-١٦٥٠ . بسط الارض في الطول والعرض ، من ٧٦ .

(٢) مجموع رسائل موحديۃ . ص ١٧ - ٢٣ ، الرسالة السابعة ، المصدر نفسه من ٢٢ - ٢٦ ، الرسالة الشامنة .

مهوتها ... ولما قر فيها قراره، وانتشر بها فساقه وفجaries، ووضج لـه من املـه الكذوب في تملكـها صـبهـ ونهـارـهـ، تعاـوتـ إـلـيـهـ ذـئـابـ الفـارـةـ وـكـلـابـهـاـ ... فـقـويـ طـمـعـهـ فيـ الـاستـيـلاـ، عـلـىـ ذـوـاتـهـ، وـسـولـتـ لـهـ نـفـسـهـ الـخـبـيـثـ الـاسـتـحـواـدـ عـلـىـ جـهـاتـهـاـ، وـالـتـمـكـنـ مـنـ اـرـجـانـهـاـ وـجـنـبـاتـهـاـ ... ولـما استـفـزـ بـمـاـ تـهـيـأـ لـهـ بـبـجـايـةـ وـجـهـاتـهـ الـغـرـبـيـةـ طـمـعـهـ، وـاسـتـجـرـهـ حـرـصـهـ الـمـؤـذـيـ وجـشـعـهـ، وـوـعـدـهـ التـمـلـكـ لـاـقـطـارـهـاـ، وـالـاسـتـيـلاـ، عـلـىـ بـوـادـيـهـاـ وـأـمـصـارـهـاـ، ظـنـونـهـ الـخـائـبـةـ، قـمـدـ إـلـىـ قـسـنـطـيـنـيـةـ كـلـاـمـاـ اللـهــ مـؤـمـلاـ اـخـتـدـاعـ أـهـلـهـاـ، وـمـقـدـراـ نـفـودـ حـيـلـهـ فيـ خـتـرـهـاـ وـخـتـلـهـاـ، وـمـعـمـلاـ، جـهـدـهـ، وـمـصـرـفـاـ مـكـرـهـ وـكـيـدـهـ، فـيـمـاـ يـنـهـلـ حـبـلـهـ الـوـاهـيـ بـحـبـلـهـاـ، فـالـفـيـ بـمـاـئـرـ أـهـلـهـاـ مـسـتـحـكـمـةـ وـعـقـانـدـهـمـ عـلـىـ التـقـوـيـ مـنـبـرـمـةـ وـقـلـوبـهـمـ عـلـىـ الطـاعـةـ الـمـحـيـحـةـ، وـالـمـوـالـةـ الـخـالـصـةـ الـصـحـيـحـةـ، مـلـتـثـمـةـ مـنـتـظـمـةـ فـخـابـ بـحـمـدـ اللـهـ سـعـيـهـ وـفـالـ رـأـيـهـ " (١) * .

- أما الرسالة الثالثون، في مجموعة بروفنتمال [Provencal] المؤرخة في الثامن عشر من شهر شعبان عام ٥٨٤هـ فقد كتبها ابن محشرة عن الخليفة يعقوب المنصور، من قابس** ووجهت إلى الطلبة، الموحدين والأشياخ والكافة بمراكش، وفيها يصف ابن محشرة الهزيمة النهاية التي تلقـتها عـائلـةـ ابنـ غـانـيـةـ، وـاعـادـةـ فـتحـ قـابـسـ .

(١) مجموع رسائل موحديـة من م ١٧٠ - ١٧٤ الرسالة التاسعة والعشرون .

(*) يقول ابن الاشیر انه بعد وفاة الخليفة يوسف، خرج على بن "هانـيـةـ" من جزيرـتهـ متـجـهاـ هـطـرـ بـجـايـةـ، وـدـخـلـهـ بـدـونـ قـتـالـ نـظـرـاـ لـمـسـاـمـدـةـ جـمـاـمـةـ منـ بـنـيـ حـمـادـ، وـكـانـ وـالـيـهـ هـيـ طـرـيـقـ إـلـىـ مـرـاكـشـ، وـلـمـ سـمـعـ باـسـتـيـلاـ الـمـيـورـقـيـ مـلـىـ بـجـايـةـ رـجـعـ بـصـحبـةـ ثـلـاثـ مـائـةـ شـارـسـ، وـجـمـعـتـ لـهـ الـقـبـائلـ الـبـرـبرـيـةـ وـالـعـرـبـيـةـ الـفـهـارـسـ أـخـرىـ، لـكـنـ هـلـىـ السـرـمـمـ منـ هـذـاـ، انـهـزـمـ وـالـيـ بـجـايـةـ **، وـهـمـادـ إـلـىـ مـرـاكـشـ، وـاتـجـهـ هـلـىـ بـنـيـ هـانـيـةـ إـلـىـ قـسـنـطـيـنـيـةـ وـحـاصـرـهـاـ بـدـونـ جـدـوـيـ، وـهـمـادـ وـالـيـ بـجـايـةـ مـرـةـ أـخـرىـ إـلـىـ إـلـيـ بـجـايـةـ صـحبـهـ جـيـشـ آخرـ أـرـسـلـهـ الـخـلـيـفـةـ الـمـنـصـورـ فـحاـصـرـ الـجـيـشـ الـمـدـيـنـةـ بـرـاـ وـبـحـرـاـ، حـتـىـ الـفـطـرـ الـمـيـورـقـيـ إـلـىـ الـعـرـوـبـ صـحـيـةـ أـخـوـيـهـ إـلـىـ نـوـاهـيـ إـفـرـيـقـيـةـ، الـكـامـلـ، جـ ٩ـ، مـ ١٩٦ـ.

(**) يقول الفردـيلـ، إنـ الـقـبـائلـ الـبـرـبرـيـةـ وـالـعـرـبـيـةـ اـنـهـمـتـ، إـلـىـ جـانـبـ الـمـيـورـقـيـ، وـكـانـ هـذـاـ سـبـباـ فـيـ هـزـيـمـةـ وـالـيـ اـهـبـيـيـةـ .

les Banov ghanya, p 44

(*) قـابـسـ، مـدـيـنـةـ قـدـيـمـةـ تـقـعـ فـيـ جـنـوبـ تـونـسـ لـهـ حـصـنـ مـقـبـعـ، وـتـمـتـهرـ بـزـرـاـمـةـ الـمـوزـ، شـبـعـاـ اـبـنـ سـعـيـدـ الـمـغـرـبـيـ بـمـدـيـنـةـ دـمـشقـ فـيـ بـلـادـ الـشـامـ، الـاسـتـبـصـارـ، مـ ١١٢ـ، ١١٣ـ، مـبـسـطـ الـاـرـضـ فـيـ الـطـوـلـ وـالـعـرـضـ، صـ ٧٨ـ.

بعد خروج الميورقيين من جزيرتهم، اتجهوا إلى بجاية، فلما لحق بهم جيش الموحدين بقيادة الطلبة، فرت عائلة الميورقي إلى إفريقيا بتونس، واحتارت المنطقة المحراوية منزلًا لها، واعتدت ومن معها على أهل تلك المنطقة، واستولت على زرعهم وعندما وصل الجيش الموحدى إلى إفريقيا في فصل الصيف، تم القضاء على بعض هؤلاء المتمردين، وبعد فشل خطة الميورقيين اتجهوا نحو قابس بمحبة مجموعة من الغز، فاتجه الجيش الموحدى إلى القิروان ثم قابس، حيث نشب معركة دموية، انتصر على أشرها الموحدون على الميورقيين، والغز، واستمر البحث عن المتمردين، يوماً وليلة، ثم دخل جيش الموحدين قابس، وأمن أهلها^(١).

وفي الثاني من شهر رمضان عام ٤٥٥هـ كتب ابن محشرة رسالة عن الخليفة يعقوب المنصور، أخبرهم فيها بحمار الجيش الموحدى لمدينة قفصة، ودخول أهل الجرير تحت لواء الموحدين، واستهل ابن محشرة رسالته مذكراً الموحدين، بانتصار جيشه في مناطق إفريقيا، واستيلائه على مدينة قابس ومقدارته إياها متوجهًا نحو المناطق المحراوية بنواحي الجريد، التي تقع بمنطقة نائية لم تطأها أقدام الجيش الموحدى من قبل لافعدام الماء بها، وذكرهم في مستهل رسالته هذه باستقبال سكان المنطقة لهم مما أتاح لهم دخولها سلماً، وسلم لهم سكان الجريد القادة الذين نصبهم المتمردون على بلادهم باستثناء الذين تمكّنوا من الهروب، إلى المحراء، تاركين وراءهم ممتلكاتهم، ثم قدم ابن محشرة وصفاً دقيقاً لبلاد الجريد حيث يقول: "... لم يكن الومض يعرف عن مفتاحها، ولا يؤدي كنه صورتها، ولا يطلع السامع على ما يحتلية المعابين من حقيقتها... إقليم متسع لا يكفي، رحب الأوساط والأطراف، كثث المنافع والمرافق، واللطاف، جم الحدائق، الغلب والجنات الآلاف، وكل مدينة منه مستقلة بذاتها"^(٢).

(١) مجموع رسائل موحديّة، ص ١٨٠ - ١٩١، الرسالة الحادية والثلاثون.

(٢) مجموع رسائل موحديّة، ص ١٩٧، الرسالة الحادية والثلاثون.

وكتب ابن مبشرة رسالة من قصمة، بتأمر الخليفة يعقوب المنصور، وجهها إلى الطلبة، الموحدين والأشياخ، والأعيان، والكافحة بمراكش .

فبعد فتح قابس اتجه الجيش الموحدي بقيادة الخليفة يعقوب المنصور إلى مدينة قصمة، المحاطة بأسوارها الشاهقة، وعند الوصول إليها "... شرع في العمل بالآلات المذكورة فذهب إليهم مجانيق ينهد من جنادلها النيق، ولا يبل كليهما ولا ستفيق، فيذهب بها كل يوم منهم، ومن أسوارهم طائفة منهم أو فريق، ويصيب عليهم منها عذاب وأصاب وحريق، وتمبيهم منها صواعق لا تستطيع نفوسيم المحروبة وقلوبهم المنحوبة، صبرا على إحتمال بلائها المهنك، ولا تطير، واستمرت مدة على ذلكيتها فيهم، وقتل مقاتلهم وهدم مبانيهم وأحدق بهم أذاها الملائم من جميع أرجائهم، ونواحיהם، حتى الحقت بالأرض مسافات من جدارهم ... وهدمت عدداً من أبراجهم الشاهقة، وديارهم "(١) ولما تيقن أهل قصمة من تمكّن الجيش الموحدي منهم طلبوا الأمان، وقف الخليفة يعقوب المنصور راجعاً إلى مراكش مصطحبًا بمجموعة كبيرة من الغز التركمان لاستعمالهم بعد ذلك في الجهاد بالعدوة الاندلسية .

وكتب ابن مبشرة رسالة ديوانية أخرى على لسان الخليفة يعقوب المنصور في العاشر من ربیع الأول عام ٥٨٤هـ وجهها، إلى الطلبة، والموحدين والأشياخ والأعيان بمراكش، لخص فيها الانتصارات والفتحات بالمناطق الشرقية من المغرب الأوسط والأندلس، واطلع الخليفة أهل مراكش على نتائج هذه الرحلة المباركة إلى البلاد الشرقية حيث تم فتح بجاية وقابس وقصمة .

وبعد نهاية هذه الرحلة الطويلة بالبلاد الشرقية أمر الخليفة ولاتها الاعتناء بسكانها، فاعيدت لهم أراضيهم المسلوبة ،

(١) مجموع رسائل موحدية ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، الرسالة الثانية والثلاثون .

وعين الخليفة مجموعة من الطلبة الذين سيقومون بمراقبة وسير العمل بها .

والملاحظ ان هذه الوثيقة التي جاءت لتحمل نتائج هذه الرحلة التي اشرف الخليفة يعقوب المنصور بنفسه على إتمامها، ونجاحها، تحمل التاريخ الدقيق لاستيلاء الجيش الموحدي على بلاد المغرب الأدنى، وعودة المجاهدين إلى مقرهم بمراكش .

بعد عودة الخليفة يعقوب المنصور، من رحلته للمغرب الأوسط ، والأندلس التي توجت بانتصاراته ، وفتحواهاته عزم على عبور بحر الرقاق، والاتجاه إلى الاندلس لجهاد النصارى بها ، ويعتبر هذا الجواز للعدوة الاندلسية الجواز الأول، وأما الثاني فقد توج بمعركة الأزرك الشهيرة ، فكتب ابن محشرة على لسانه رسالة وجهت إلى طيبة سبتة في ٢٦ من جمادى الثاني عام ٥٨٦هـ، أخبرهم أن الخليفة قرر الجواز إلى العدوة الاندلسية لجهاد النصارى، فاستنفر جند الموحدين وأخوانهم العرب، واتجه شطر جزيرة الاندلس، بدون أن ينتظر وصول الوفود التي لبت نداء الجهاد، وامر الخليفة يعقوب المنصور طلبة سبتة انه عزم على الجهاد، لأن ملك قشتالة الفونس الشامن بعث إليه كتابا يطلب منه ابرام اتفاقية سلم بينهما، وأنه مستعد لمحاربة النصارى في مقابل ذلك، فوافق الخليفة على ذلك، وبمشاورة وصول الجيش قصر المزار ، وصل وفد ملك قشتالة إلى اشبيلية فاستقبلهم الطلبة ومن معهم من الموحدين، وتم عقد الهدنة مع ملك قشتالة، وبعث ملك ليون الفونس القاسع وفدا لتجديد الهدنة المبرمة مع الموحدين، ولم يبق للخليفة إلا الاتجاه نحو البرتغال للقاء ملكها ابن الريق، ويذكر ابن محشرة - على لسان الخليفة يعقوب المنصور - المناطق التي مر بها المجاهدون بعد عبورهم جبل طارق إلى أن وصلوا إلى شنزيين وخلال هذه الرحلة جمع الموحدون الغنائم، التي حازوا عليها، وقتل الخليفة راجعا إلى مراكش بدون أن يدخل البرتغال، بعد أن بث الرعب في نفس ملوكها، واعتبرت هذه الرحلة

انتصاراً أضيف إلى الانتصارات بال المغرب (١) .

أبو الحسن بن عياش :

هو أبو الحسن (٢) عبد الملك بن عياش بن فرج بن عبد الملك بن هارون الأزدي (٣) من أهل بابرة * أصله، وينتسب، إلى قرطبة، حيث كان أبوه إماماً بمسجد من مساجدها (٤) .

أخذ عن أبيه فاقراه وسمع منه (٥)، كما روى عن أبي عبد الله ابن مسعود ومحمد بن مسعود بن أبي الخمال، وأبي القاسم بن بشكوان . كما روى عنه ابنه، أبو الحسن علي وأبو محمد عبد الله (٦)، وكان زاهداً فاضلاً ورعاً مشهراً بالأدب، والبلاغة والشعر، فكان من القلة الذين جمعوا ما بين النثر والنظم، كما كان من أهل الحديث والفقه (٧)، مما دعا أبو جعفر أحمد بن محمد بن حمدين قاضي الجماعة، بقرطبة إلى استدعائه، ليكتب عنه أو آخر أيام المرابطين (٨) .

وبقي أبو الحسن في صحبة أحمد بن محمد بن حمدين حتى اشار صاحبه الفتنة، ففي قرطبة فاضطر إلى الفرار من قرطبة متوجهًا نحو

(١) مجموع رسائل موحدية ، ص ٢١٨-٢٢٨، الرسالة الرابعة والثلاثون .

(٢) ذكر مبد الوحد المراكشي لقبه، أبو محمد، المعجب . ٢٤٠

(٣) الدليل والذكمة السفرة، ٣ ٢٦

(*) مدينة اندلسية هدية وهي عورة من عور باجة الروض المعمطار مادة (بابره) .

(+) un recueil de lettre officielle almoahade. p 8
وانتظر الدليل والذكمة السفرة . ٥، ق ١ ص ٢٦، وأعلام المراكشي ٤ ٨، ص ٣٥٧، الانيس المطرب، ص ٢٠٦، التكميلة، رقم ١٧٢١ .

(٥) الدليل والذكمة السفرة . ٥، ق ١ ص ٢٦، أعلام المراكشي ٤ ٨، ص ٣٥٧ التكميلة رقم ١٧٢١ .

(٦) الدليل والذكمة السفرة . ٥، ق ١ ص ٢٦، أعلام المراكشي ٤ ٨، ص ٣٥٧ بعد أن ذكر مبد الملك المراكشي اسم ابنه أبو محمد مبد الله انتقل بعدها فطال هو أبو محمد مبد الله .

(٧) المصدر السابق، السفرة . ٥، ق ١ ص ٢٧، المصدر السابق . ٤ ٨، ص ٣٥٧ .

(٨) المصدر السابق، السفرة . ٥، ق ١ ص ٢٧، المصدر السابق . ٤ ٨، ص ٣٥٧ التكميلة، رقم ١٧٢١ .

إشبيلية (١)، لينقطع إلى التعبد، والتزهد، لا يتقوت إلا من مال صديقه أبي الصبيع الباقي لعلمه بطريق مكنته لوراثته إياه عن أسلفه (٢) .

وظل أبو الحسن بن عياش على حاله هذه، إلى أن أرسل، أبو إسحاق براز بن محمد المسوفي، عامل الخليفة عبد المؤمن بن علي باشبيلية يلزمه الكتابة عنه "فتقلدتها على كره، وتقية على نفسه (٣)، لكن ابن حذاري ذكر أن الذي قربه هو أبو بكر المرادي (٤)، وليس أبو إسحاق براز محمد المسوفي وهكذا اعتقاد أبو الحسن محبة ذوي الشان، والسلطة، والكتابة عنهم "فعدل عن طريقتة الأولى المثلثة (٥)، ويقدم بها عبد الملك المراكشي، حياة الزهد، والتعبد، فكتب عن أبي حفص عمر بن الخليفة عبد المؤمن بن علي ومحبه إلى تلمسان (٦)، ثم كتب عن الخليفة عبد المؤمن بن علي بعد مقتل أبي جعفر بن عطية (٧) وبعد وفاة الخليفة عبد المؤمن بن علي ، بقي أبو الحسن ابن عياش كاتباً ديوانياً لدى الخليفة الجديد، أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (٨)، لكن عبد الملك المراكشي ذكر أنه كتب عن أبي يعقوب يوسف، وهو والياً باشبيلية، لكننا لم نقف على رسالة واحدة كتبها، أبو الحسن عن والي إشبيلية ابن الخليفة عبد المؤمن .

(١) المصدر السابق . ج ٨، ص ٣٥٧ . التذيل والتحكمة السفر ٥، ق ١ ص ٢٧ . البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ١٦٧ .

(٢) المصدر السابق السفر ٥، ق ١ ص ٢٧ . اعلام المراكشي . ج ٣٥٧ .

(٣) التذيل والتحكمة . السفر ٥، ق ١ ص ٢٧ . اعلام المراكشي ج ٣٥٧ .

(٤) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ١٦٧ .

(٥) التذيل والتحكمة السفر ٥ ق ١ ص ٢٧ . اعلام المراكشي ج ٣٥٧ . التكميلة رقم ١٧٢١ .

(٦) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ١٦٧ . التذيل والتحكمة السفر ٥ ق ١ ص ٢٧ . اعلام المراكشي ج ٣٥٧ .

(٧) المصجب، ص ٢٠٠ . التذيل والتحكمة السفر ٥، ق ١ ص ٢٧ . اعلام المراكشي، ج ٣٥٧ .

(٨) التذيل والتحكمة السفر ٥ ق ١ ص ٢٧ . اعلام المراكشي ج ٣٥٨ .

وحيظي، أبو الحسن بن عياش، بالمنزلة الرفيعة، والرزق الوفير، فقد قال دنيا عريفة، وكانت له منهم منزلة، وكان مدحه "(١)"، ونقدم أبو الحسن بن عياش على تحوله، من حياة الزهد والعبادة إلى مصاحبة أرباب النفوذ، واصحاب السيادة وذوي السلطة، ويبرر صاحب أبو الاصبع الباقي، أن آبا الحسن بن عياش قال قبل وفاته بثلاثة أيام .

عَمَّيْتُ (هُوَى نَفْسِي صَغِيرًا) (٢) (فَعِنْدَمَا) (٣)

رَمَّتِي التَّلَيَّابِي بِالْمَشِيبِ وَبِالْكَبَرِ

**أَطْعَتَ الْهَوَى، عَكَسَ الْقَفِيَّةَ لَيْتَـ
خَلِقْتَ كَبِيرًا وَأَنْتَقْلَتَ إِلَى الْصَّغِيرِ**

لقد جمع أبو الحسن بن عياش بين الشعر والنشر، فمدحه ابن البار قائلًا : " كان عبد الملك، مع تقدمه في الأدب، وتمرد في النشر مشاركاً في النظم، من ابرع الناس خطأ وحسنهم وراقة، وكانت له من الولاية منزلة جليلة " (٤) .

وإذا كنا لا نعرف السنة التي ولد فيها أبو الحسن بن عياش ، فقد اجمع المصادر أن وفاته كانت في عام ٥٦٨هـ (٥)، وذكر ابن صاحب المصلا أن وفاته كانت باشبيلية في ليلة الأربعاء غرة جمادى الآخرة عام ٥٦٨هـ، وأن جنازته كانت مشهورة وملئ عليه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن (٦) .

(١) المصدر السابق السفر ٥ ق ١ ص ٢٧ . المصدر السابق ج ٨ ص ٣٥٨ .

(٢) في زاد المسافر، ص ٥٣ . الهوى مصر الشهاب .

(٣) في النفع . ج ٦ ص ١٠٥ ، ومنذما وفي التكميلة فيعدما رقم ١٧٢١ . اعلام المرافق ج ٨ ص ٣٥٧ .

(٤) التكميلة رقم ١٧٢١ .

(٥) المصدر نفسه رقم ١٧٢١ . الدليل والتكميلة السفر ٥ ق ١ ص ٣٠ اعلام المرافق ج ٨ ص ٣٥٩ .

(٦) المصدر السابق السفر ٥ ق ١ ص ٣٠ هامش رقم ٢ . الفتن هير وارد بالمعنى بالامامة وافتقد ان عبد الملك المرافق تلقه من الجزم المفقود .

كتب أبو الحسن بن عياش أول رسائله عن الخليفة عبد المؤمن ابن علي بمراسله في ١٤ من شهر رجب عام ٥٥٤هـ (١) ووجهها حسب ما يبدو من خلال الرسالة إلى طيبة العدوة الاندلسية، ويهدف أبو الحسن من هذه الرسالة إشعار طيبة الاندلس بوصول كتابهم المبشر بانتصارهم على العدو بالعدوة الاندلسية وطلب منهم التوجّه إلى الله عزوجل بالدعاء والشكر مما منه عليهم من الانتصارات المتتابعة التي نالوها بفضل تقوتهم، واحلاصم، وختم رسالته ناصحا إياهم بالتراث في امداد الاحكام النهائية، فإذا طرأ عليهم أي طارئ فليتذكروا وليتشاوروا وليتتفقوا فيما بينهم على ما هو أجر بال المسلمين عامة، ولبيطاع الخليفة على قرارهم، قبل الشروع في تنفيذه وعلى الرغم من أن الرسالة في الأصل مبتورة ومختصرة على غير عادة الرسائل الموحدية، فإننا نعتقد أن الخليفة، يقصد التحفظ في إمداد احكام القتل، ومشاورة الخليفة قبل تنفيذ القرار، وقد كثرت احداث القتل في العدوة الاندلسية والمغاربية خلال حكم المرابطين لهما.

وكتب أبو الحسن بن عياش رسالته الثانية عن الامير يوسف بن عبد المؤمن وذلك قبل أن تقام بيعته النهائية عام ٥٦٣هـ ليلقب بسامير المؤمنين وجهها بذلك من الامير إلى السيد أبي سعيد ابن الخليفة عبد المؤمن، والشيخ أبي سعيد يخلف بن الحسن (٢)، من جماعة الخمسين، يخبرهم بأن الامير يوسف عزم على التوجّه إلى منطقة منهاجة لجهاد المرتدین فيها، غير أنه انفق مع مجموعة من الموحدین على أن يخرج الموحدون بمحبة الشیوخ والحفاظ لقتال قبیلة منهاجه، وذلك يوم السبت السابع عشر من شهر شعبان عام ٥٦٠هـ (٣) وفي تلك الفترة كانت الممالك النصرانية قد عاثت فساداً بمنطقة اشبيلية، فاتفق الشیوخ والطلبة على إرسال عسکر من الموحدین والعرب، على أن يقودهم السيد إسماعيل بن الخليفة عبد المؤمن، وذلك بعد عيد

(١) مجموع رسائل موحدية ص ٩٣ - ٩٥، الرسالة الثامنة محررة .

Voir, documents inédits d'histoire almohade p3 texte (٢)

arabe

Voir, UN Recueil de Lettre, officielle almohade, p 50 (٣)

الفطر رفقاً بالمسافرين، ومما جاء على لسان الأمير يوسف قوله "... قد كنا - أعزكم الله - على عزم الحركة مع الموحدين - اعانهم الله - إلى جهة المرتدين من صنهاجة - اخذهم الله - والتصميم في غزوهם والنهوض إليهم على الثقة بما عند الله لهذا الأمر العزيز من مفهوم التصر ومخمور الظهور على من غمض حقه وكفر نعمته ومد عن سبيله وخليمنا في ذلك النية المجردة لإقامة الله المقصورة على جهاد عدوه وحماية دينه وتظهير دعوته) ثم وقع الاتفاق بعد افادة المذاكرة وإدارتها وثبتات العزيمة مما على مشاهدة هذه الحركة المباركة أن يخرج فيها الموحدون بحملتهم صحبة أشياخهم وحافظهم واجمعوا على ذلك ... وقد كان أشياخ طيبة الموحدين - أعزهم الله - قبل هذا قد اذكروا في مشي أخينا اسماعيل - وفقه الله - إلى الشبيلية - حرسها الله - صحبة عسكر من الموحدين والعرب - وفرهم الله - ليكونوا بها مقيمين ... فاز شه الصوم فارجئناه إلى انقضائه تخفيفاً على المسافرين ورفقاهم ، فحين انقضى - قبله الله مما ومنكم - أتي التعوييل على ذلك . ونحن إن شاء الله ننفذه إثر هذه المكاتبنة بالعسكر المذكور من الموحدين والعرب (١) .

ووجه الخليفة يوسف رسالة إلى ابن مردنيش، يدعوه فيها للانضمام ، إلى حزب التوحيد ، واقتراح عليه أنه سيتولى المنصب الذي يرغب فيه لأن الخليفة لا يريد له إلا الخير، بدلاً من مساعدته للمسيحيين ، وتمتنى الخليفة يوسف أن تتوج المبادرة التي بدأها والده الخليفة يوسف (٢)، بانتصارات للجميع ، وفي المقطع الثاني من الرسالة ، أصبح أسلوب الخليفة عنيفاً حيث أخبره بإن الشيخ أبا حفص عمر الهمتاني من جماعة العشرة ، اتجه صحبة جيش من الموحدين إلى العدوة الاندلسية لغرض الجهاد ، ضد النصارى ، وغزو المسلمين الذين

(١) مجموع رسائل موحدية ، ص ١٣٩ - ١٤٠ . الرسالة الرابعة والعشرون .

(٢) المصدر نفسه من ص ٣٥ - ٣٧ . الرسالة العاشرة .

لم يتضمنوا بعد لحزب التوحيد، وقد أرسل الخليفة كتاباً لابن حفص
عمر الهمتاتي، فقبل كتابة هذه الرسالة حيث أطلعه بالقرار الذي
اتخذه بشأن ابن مردنتيش وطلب منه التوجه إلى شرق الأندلس وانتظار
كتابه الذي سيحسم القول في هذه القضية، ومن خلال هذه الرسالة اتفع
لنا أن أسلوب الخليفة يوسف في مخاطبة ابن بمردنتيش تميز بالعنف ثم
باللطف ثم اتخاذ الخليفة القرار النهائي ، وهو انتظار رد ابن
مردنتيش على الرسالة بالقبول أو بالرفض ليختير بدوره أبا حفص
عمر الهمتاتي عن الاجراءات الازمة ، وكتب أبو الحسن بن عياش على
لسان الخليفة يوسف " ... وقد كان سيدنا أمير المؤمنين - أيد الله
أمرهم - في القديم ومنذ زمن طويل ، خطبكم بهذه الدعوة وحملكم
فيها على منهج النصيحة ، ولم يكن بلغ الكتاب أجله ، ونحن لا نأمره
العليية مراجعون وللمدعاة إلى دعائم إليها داعون ، ولرأيه الجميل في
هداية الخلق مشيعون مشايرون فاقبلوها نصيحة تحرز لكم حظ النساء ،
وتوجب لكم رتبة الخامسة من الأولياء وتقتفي منكم في خير عمركم أفشل
المفاسد في معونة هذا الأمر واحسن الغباء ، وتجمع عليكم بهذا التلافي
الفائت في تلك الاوقات المافية والآباء وتكونوا على هذه الرتبة كمن
أجاب في أول النداء والله تعالى يعينكم على تقبل هذه الوصايا ...
وقد كان الشيخ الأجل أبو حفص - أعزه الله - تحرك في هذه السنة
بعساكر الموحدين - أعادهم الله - إلى الجزيرة الأندلسية - حماها
الله - بنية الجماد والفرزو ، فخاطبناه بما رأيناوه من هذه
المخاطبة إليكم أن يتذكّر ذلك الجانب، ولأن لا يعرّفه بقائه وان
يتجلّ عنده إلى سواء ريثما يمل كتابكم ، ويستعلم ما عندكم ، من
إجابة الدعاء والتلفت إليه فيكون بدار الجواب على حكم ذلك

(١) .

ولم تكن هذه الرسالة هي الاولى التي كتبها ابو الحسن بن عياش في شأن ابن مردنيش ولا الثانية بعد رسالة عبد المؤمن بن علي، بل اورد ابن صاحب الملاة رسالة له في الانتمارات وذلك اواسط ذي الحجة عام ٥٥٦هـ عن أبي حفص عمر وابي سعيد عثمان ابني الخليفة عبد المؤمن بن علي بشأن ابن مردنيش، قبل ان يلجم الى جزيرة مiyorقة، حيث استطاع الجيش الموحدى بمساعدة اخوانهم العرب شن معركة انتمراوا فيها عليه وعلى النصارى الذين انضموا اليه، وساعدوه، وفي هذه الرسالة قدم ابو الحسن بن عياش وصفا دقيقا لخروج الجيش للقاء ابن مردنيش، بشرق الاندلس، وذكر المراحل التي قطعها الجيش، ومروره بالمدن الاندلسية . وحصوله على غنائم كثيرة قبل ان يلتقي بابن مردنيش، الذي اضطر بعد انهزام جيشه امام الموحدين الى الهروب، والانعزal بجزيرة مiyorقة .

وهذه الرسالة التي وجهت بأمر من ابني الخليفة عبد المؤمن بظاهر مرسيه إلى الامير يوسف بمراكش يقول فيها ابو الحسن بن عياش (١) .. وفي خلال مقام تلك الايام بعثت خيل مباركة من الموحدين والعرب لشن الغارة في الميمنة والميسرة من تلك الاقطار والجهات، فاستاقوا من الغنائم ... عددا جما وسواثم كثيرة من الدواب وعشرات الالاف من الفئران فملأت الوادي، واحتملت على كريمتها الایادي ، ونقلب الموحدون فنعم لا تخن عدة تتناسق منها نعم فنعم والشكر لله على ما اولاه ... وهناك استتوقف ان الشقي ابن مردنيش، واصحابه من النصارى دمرهم الله قد خرج بحملته الذمية ... فلما كان يوم السابع من ذي الحجة حين الزوال استخار الله الموحدون على ان يأخذوا بيته وبين الثنائي التي تحول بينه وبين مرسيه، فتميزوا شعوبا وقبائل، ومدقوا ما عاهدوا الله عليه من اخلاص التوبة وامحاض النية، فرأى الاعداء ما هالهم واهلهم واحال حالهم هذا على امتداد شوكتهم، وكثرة عدتهم، وترددوا بسفح الجبل زهاء ثمانية آلاف فارس

اكثرهم ارغون وقفوا يتشارون ويتنازعون، ولم يجدوا حميداً عن الطريق التي ضمهم ولا منفذ إلا في الساقات التي حفت محيطة بهم وعمتهم ... فلما كان وقت الملاة اختار الله للموحدين أن ناشبواهم للقتال، وقد كثر الذكر والاهلال فزحفت العساكر إليهم ... واحتدمت الحرب وحمى الوطيس ... وانبرى الموحدون الأول من أهل تينمل وهنناشة، فصبروا صبر أمثالهم، وخولهم الله إقبالاً في اسقبالهم، واجفل الكفراة منهزمين، وولوا الادبار مدربين والسيف يأخذ منهم فوق ما يدع، وحزب الله يتقدم غالباً فيصرع ويضرع، وقتل رجال الشقي ومشاهيره ... ولاد الشقي الغليل، في العدد القليل إلى الأخبية التي اعدها للفرار لا للقرار .

وكتب أبو الحسن بن عياش رسالة على لسان الخليفة في الامر بالمعروف والذهي عن المذكر سيراً على مثال رسالة الفضول والجامعة لانواع الاوامر، ولكنها اختلفت عنهم في كونها تطرق الى موضوع واحد وهو الترتیث في إصدار حكم القتل على المتهمين حتى يطلع عليها الخليفة كما حملت هذه الرسالة العلامة السلطانية بخط يد الخليفة يوسف، وهي العلامة التي اتخذها الخلفاء الموحدون شعاراً لكتاباتهم، حيث يقول (١) ... من حفرة مراكش، حرسها الله ، والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى والعمل بطاعته والاستعانة به والتوكيل عليه ... وقد امر الله من امر الناس بطاعته ان يحكموا بالعدل ويفسعوا للعباد موازين القسط ... ولما كان الموحدين اعزهم الله شرقاً وغرباً، وبعداً وقرباً خطاباً يتساوى فيه جميعهم، ويتواءزى في العمل فيه كافتهم، بلا يحكمو في الدماء حكماً من تلقائهم ولا يهرقونما بباد، أو برأي ، من آرائهم، ولا يقدموا على سفكها بما يظهر إليهم، ويقرر فيما يرونـه لديهم، إلا بعد أن ترفع إليـنا النازلة على وجهـها، وتؤدي علىـها وتشـرح حـسبـ ما وقـعتـ عـلـيـهـ، وـتـنـتـهـيـ بـالـتـوـثـقـ وـالـبـيـانـ عـلـىـ مـاـ اـنـتـهـتـ إـلـيـهـ وـتـقـيـدـ بـالـشـهـودـ العـدـوـنـ المعـرـوـفـينـ فـيـ

موضعهم بالعدل والرفي الموجبين للقبول، وتكتب اقوال المظلومين وحجتهم واقرارهم واعترافهم وحجج الطالبين ومقالاتهم واستظهارهم في بيناتهم، معطي كل جانب حقه، موفي كل قائل قوله، فتكون مخاطبتكم - اعزكم الله - ومخاطبة من يتناوله هذا الكتاب، وتوجه إليه هذا القصد، خطاب من تحمل الشهادة ويؤدي فيها الأمانة على ما يجب من البيان الذي لا يعزوه التباين ولا يطمس وجهه اشكال، ويتوثقون في المظلومين بالدماء بسجنه وتنحهم ... واعلموا وفقكم الله واسعدكم - أن هذا الحكم عام فيسائر النوازل التي أطلقت السنة فيما القتل وسننه وحكمت به وشرعته كمن قتل نفسا واقر بالقتل، او شهد العدول عليه به، ومن بدل دينها وارتدى عنه، ومن اتى الفاحشة بعد الاحسان باعتراف او دليل او شهادة مقبولة وما خير الائمة فيه من قتل المحاربين والمساعدين في الأرض بالفساد والمتاولين أمر الله بالاستهزاء والعناد سواء سن ذلك كله او وقع فيه ضرب بشكله، فمجراه واحد"

يقول ابن صاحب الملاة انه في بداية عام ٥٦٤ هـ عم الامن في العدوة المغربية وانضم المتمردون لحزب التوحيد فكثرت الخبرات ورخصت الاسعار ووجه الخليفة يوسف وجده شطر العدوة الاندلسية لاغاثة المسلمين بها، بعد اعتداء النماري عليهم، وامر بضرب الطبول بحفرة مراكش واستعداد للعبور إلى العدوة الاندلسية لكن الموحدين اتفقوا على ان يكون الشيخ ابو حفص عمر الهناتي قائدا لهذه المعركة، وعلى اثرها امر الخليفة كاتبه، ابو الحسن بن عبياش بكتابة رسالة إلى ولة الاندلس غيرهم بقرار الخليفة بجواز الجيش للعدوة الاندلسية ومما ورد فيها (١) " وما زلنا وفقكم الله على اتمام العناية يتلكم الجزيرة مهدها الله والحرس على عنوها، والانتواء لذمرتها، والعمل على قصد ذلك بالمبادرة والمشاهدة، اشفاقا على استضام منها، جبرتها الامداء، وأبناؤها الاعقاء مجسمين ورومما وما قادرها به من

التكلف والتحريف والنتقش وفقر الافواه وكشر النقيوب والارصاد لفيض ما
فاض فيها من نور التوحيد وخفق ما نصب من اعلام هذا الامر ... لما
تولى الله هذه الجهات منتهية التمهيد، وبسط لها نعمة التسكين
والتوطيد، انعطف النظر إلى محل مشاره رسال سبيل الاعتناء إلى
قراره وتوجه حفل الاشتغال إلى الجزيرة - مهدها الله - ... رأينا
في اثناء ما فحاوله من مررور هذه الغزوة الميمونة المباشرة ان
نقدم ببين أيدينا عسيرا مباركا من الموحدين - أعادهم الله - صحبة
الشيخ الأجل أبي حفص - أعزه الله - يكون تقدمة لجواز جمهور
الموحدين ومؤذنا بما عزنا عليه - والله المستعان - من التحرك
بجملة أهل التوحيد والحمد لهذا العزو الميمون الذي جعلناه نصب
العين، وتجاه الخاطر !

فتتعاونوا مع إخوانكم الوافدين على بركة الله إليكم على جهاد
أعدائكم إلى أن يوافيكم إن شاء الله هذا العزم، ويلم بكم هذا
القصد ... وإذا طالعتم - وفقكم - هذه الانباء واستعلمتم ما في
ضمنها من البشائر وعنوانات الفتوح وأشار هذه القصود وحملتم ذلك
على الثقة بما وعد الله هذا الامر والتلتف إلى ما عوده، رايتموها
نعمى تحولتكم ورحمى انتظركم واتتكم وشرحتم لها صدوركم وعمرتم بها
احناءكم وشعلتكم بها مشاهديكم وسررورهم بها غايبكم وشاهدكم
واذ عتموها إذاعة تلجم صدور الاولياء وتحرج منها صدور الاعداد ويكون
للمؤمنين منها مطلع امل، وللكافر مطلع هول ووجل ".

لقد تعودوا الخلفاء الموحدون بعد فوزهم في كل معركة أن يبعثوا إلى الرعية رسالة يبشرونهم بفوز الجيش الموحدي، وانهزام العدو، مع ذكر بعض الفنائيم، التي ظفروا بها لكن هذه الرسالة انفردت عن كل رسائل الفتوحات والانتصارات ارسلت قبل بدء المعركة وقبل تحرك الجيش من حضرة مراكش، وهذا ما يؤكد عزيمة الخليفة يوسف، ونية في فوز جيشه وعدوته ظافرا .

خاتمة

لقد واجهت الدولة الموحدية مصاعب عدّة منذ بدايتها وحتى اثناء فترة الدعوة ، كان مصدرها أحياناً الكتلة المحمدية نفسها ، وبخاصة وإن الخلافة استمرت في يد بنى عبد المؤمن وسلالته من غير عربية المصادمة ، وكانت الفترات الانتقالية بين عهد الخليفة وآخر تشكل مناسبة لقيام شورات من قبل بعض القبائل في بداية عهد الخليفة ، أو قيام معارضة من قبل عائلة الخليفة أو بعض الأشياخ ، مما أدى إلى إعادة تنظيم وراثة الخلافة على أساس سليم بعد وفاة الخليفة المستنصر .

ونظراً لغرابة الأسرة المؤمنية الحاكمة عن الكتلة المحمدية وشعورها بعدم الارتباط ، فقد استقدمت جماعات كبيرة من قبيلة كومية لتعزيز نفوذ أسرة بنى عبد المؤمن ، كما نقلت جماعات من القبائل العربية من إفريقيا بهدف خلق توازن بين قبائل المغرب الأقصى والأوسط ، زيادة على استخدام القبائل العربية في الجهاد بالعدوة الاندلسية وإبعادها عن المغرب الأوسط والآدنى .

ونظراً لاعتماد الدولة منذ تأسيسها على عمدة المهدي بن تومرت ، فإننا نجد في أكثر الرسائل تصريحاً بعمدة المهدي ، وتسمى عبد المؤمن وغيره من الخلفاء بالخلفاء الراشدين كما نجد أن الرسائل الديوانية الموحدية تحمل صبغة التوحيد للتعبير عن مذهبهم في توحيد الله عزوجل ، كما ركزت الرسائل على الدعاية باعتبارها سلاحاً فعالاً لتفطير السلبيات ولرفع معنويات الرعية ، فتدعي أن إنتمار الجيش الموحدي في المعارك قضية طبيعية لأن القدر يتصرف لمصلحتهم لأنهم يدافعون عن الحق ومن هنا امكانهم أن ينتصروا حكام الدولة المرابطية بالكفر .

وقد استعمل الموحدون سلاحاً آخر إلى جانب السلاح السابق ، وهو الدعاية سواء أكانت تتعلق بتبني مبادئ المهدي في الازهان أم

باظهار او الحرص على تطبيق أصول الشريعة - القرآن والسنّة - وهم سياسة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كلما دعت الفرورة إلى ذلك ، عند توقي خليفة جديد السلطة او المرور بازمة سياسية او اجتماعية او اقتصادية .

وبعد ان كانت دعامة الدولة الموحدية ترتكز على مذهبها الإلحادي ، وعصبتها القبلية فإن الجانب المذهبى سيتحول شيئا فشيئا إلى الإطار الشكلي . وأما العمبية القبلية التي كان قوامها الصراع بين قبيلة ممدودة وقبيلة كومية ، فإن قوة القبيلة الثانية ستقل أهميتها تدريجيا ، وعلى العموم إذا كان جانب القوة العسكرية ، كأسان للدولة سينكسر في معركة العقاب ، فإن جانب القوة المذهبية كأسان للدولة كان يسير نحو الفنف إلى أن يوجه إليها الخليفة المأمونه الفربة القاضية بالتنكر لعممة المهدى . وبذا تراجع الموحدين عن الاندلس ، فوجه الخليفة محمد الناصر رسالة إلى الرعية يعتذر فيها عن هزيمته في العقاب بعد انتصار والده في الازك ، ودخلت الدولة الموحدية في حلقة فارغة ، أدت لنشوب مجموعة من المراumas بين الخلفاء والأمراء الفعاف ، والتي كانت السبب المباشر لزوال دولتهم التي دامت من عام ٥١٥ هـ إلى عام ٦٦٧ هـ .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً المخطوطات

- البلاسي : أبو القاسم أحمد بن محمد بن عبد الرحمن القضاوي ت ٥٦٥٧ ، مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل الخزانة الحسنية رقم ٦١٤٨.
- مخطوط الاسكوربیال رقم ٤٨٨ .
- مخطوط الاسكوربیال رقم ٥٣٨ .
- مخطوط جائزة الحسن الثاني ، الخزانة الحسنية الرباط رقم ٤٥٠٢ عام ١٩٨١ .
- مخطوط الخزانة الحسنية رقم ٤٧٥٢ .
- مخطوط المرقم المطربي ، Bibi univ lips no 7546

ثانياً، المهداد العربية

- ابن الأبار : - أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر السقافاعي
البلنسي ، ت ٥٦٨ هـ
- اعتاب الكتاب، تحق صالح الاشتراط ، دمشق ١٩٦١.
- تحفة القادر ، اعاد بناءه وعلق عليه احسان عباس
بيروت ١٩٨٦ .
- التكميلة لكتاب الصلة ، نشر عزت العطار
الحسيني ، القاهرة ١٩٥٦ م .
- التكميلة لكتاب الصلة ، ط مدريد ١٨٨٦ م
- الحلقة المسيرة ، تحق حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٦٣ م
- ابن الأثير : - أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن
عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ت ٦٣٠ هـ
- الكامل في التاريخ ، بيروت ١٩٧٨ م .
- ابن الأثير : - أبو الفتح فيء الدين فخر الله بن محمد بن محمد
بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ت ٦٣٧ هـ
- المثل المسائر في ادب الكاتب والشاعر ،
تحق ابو الفضل ابراهيم القاهر ، مصر ١٩٥٢ .
- ابراهيم مراد : - مختارات من الشعر المغربي والأندلسي لم يسبق
نشرها ، بيروت ١٩٨٦ م
- أحمد أمين : - ظهر الاسلام ، القاهرة ١٩٥٣ م
- احمد بن حنبل : - ابو عبدالله احمد بن محمد بن حنبل الشيباني -
مسند الإمام احمد بن حنبل ، بيروت ١٩٧٢
- ابن الأحمر : - أبو الوليد إسماعيل بن يوسف الخزرجي - مستودع
العلامة ، ومستبدع العلامة تحق محمد التركى التونسي ، ومحمد بن
تاویت التطوانی المغرب ١٩٦٢ م

- الإدريسي : - أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحسني، ت ٥٦٠ هـ

- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ط

OPVS GE OGRAPHICM NAPOLI ROMA

- ابن أبي اصبعية : - موفق الدين أبي العباس احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس ت ٥٨٨ هـ

- عيسون الإنبار في طبقات الاطباء تحق نزار رضا ببيروت ١٩٦٥ م

- اومن بن حجر : - ديوان اوسم بن حجر تحق محمد يوسف نجم ١٩٦٠ م

- البخاري : - ابو عبد الله محمد بن اسماعيل ت ٤٥٦ هـ - صحيح البخاري، تحق مصطفى ديب، بيروت ١٩٥١ م

- البكري : - ابو عبيد

- كتاب الأمثال، تحق احسان عباس، وعبد المجيد عابدين، بيروت ١٩٨٣ م

- البيدق

: - ابو بكر بن علي الصنهاجي

- اخبار المهدى بن تورت وبداية دولة الموحدين، تحق عبد الحميد حاجبات الجزائر ١٩٧٤ م

- ابن تومرت : - محمد، ت ٥٤٥ هـ

- اعز ما يطلب، تحق عمار طالبي، الجزائر ١٩٨٥ م

- ابو تمام

: - حبيب بن اوسى الطائي ت ٢٢١ هـ

- ديوان ابى تمام، فسيطه وشرحه شاهين عطية، ببيروت ١٩٨٧ م

- ابن جبير

: - محمد بن احمد بن جبير الكتاني الاندلسي البلنسي

ت ٦١٤

- رحلة ابن جبير، بيروت ١٩٨٨ م

جرير بن عطية بن حذيفة ، ت ٦٤٠ - .

- شرح ديوان جرير ، تاليف اسماعيل بن عبدالله الماوي ، بيروت ١٣٠٣ هـ

- الحميري : محمد بن عبد المنعم الحميري ، ت ق ٩ هـ

- الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحق احسان عباس ، بيروت ١٩٨٤ م

- صفة جزيرة الاندلس تحق بروفنتمان - بيروت

- الحذيلي : أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحذيلي ت ١٠٨٦ هـ

- شدرات الذهب في اخبار من الذهب ، القاهرة

١٣٠١ هـ

- ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن علي ت ٣٦٧ هـ

- صورة الارض د ت

- ابن الخطيب : لسان الدين أبو عبدالله محمد بن عبد الله بن احمد السليماني بن الخطيب ت ٧٧٦ هـ

- الإحاطة في اخبار غرناطة ، تحق محمد عبدالله عنان ، القاهرة ١٩٧٣ م

- الإحاطة ، نصوص جديدة لم تنشر ، تحق عبد السلام شعور ، المغرب ١٩٨٨

- رقم الحلول في نظم الدول ، تونس ١٣١٦ هـ

- ابن خلدون : عبد الرحمن محمد بن خلدون المغربي ت ٨٠٨ هـ

- مقدمة ابن خلدون ، بيروت د ت

- تاريخ ابن خلدون المسمى (كتاب العجائب) و ديوان المبدأ والخير في ايام العرب، والعجم، والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)،

بيروت ١٩٢٩ م

- ابن خلكان : - أبو العباس شمس الدين احمد بن ابي بكر بن خلكان ت ٦١٨ هـ
- وفيان الاعيان وآنباء أبناء الزمان تحق
إحسان عباس ، بيروت ١٩٧٨ م
- ابن ابي دينار : - ابو عبدالله بن محمد بن ابي القاسم القبرواني.
- المؤمن في أخبار افريقيا وتونس، تحق محمد
شمام ، تونس ١٩٦٧ م
- أبو داود : - سليمان بن الأشعب السجستاني الازدي ت ٢٧٥
- سنن ابي داود القاهرة ١٩٨٨
- الرعيني : - ابو الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني الاشبيلي
ت ٥٩٢ هـ
- برنامج شيوخ الرعيني، تحق ابراهيم شبوح،
دمشق ١٩٦٢ م
- ابن الزبير : - ابو جعفر احمد بن ابراهيم ت ٧٠٨
- صلة الملة ، تحق ليفي، بروفنصال ، الجزائر
١٩٣٧ م
- ابن ابي زرع : - ابو الحسن علي بن عبدالله ت ٦٣٦ هـ
- الانيس المطرب برسوخ القرطاس في أخبار ملوك
المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط ١٩٧٣ م
- الذخيرة السننية ، الرباط ١٩٧٢ م
- الزركشي : - ابو عبدالله محمد بن ابراهيم المعروف بالزركشي
- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحق
محمد صافور ، تونس ١٩٦٦ م
- الزمخشري : - جا الله ابو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن
عمر الخوارزمي ت ٥٣٨
- المستقى في امثال العرب، اعنى بتحقيقه
محمد بن عبد الرحمن خان، دائرة المعارف
العثمانية ١٩٦٢ م

- ابن سعيد المغربي: - علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد ،

ت ٦٨٥ هـ

- اختصار القدر المعلق في التاريخ المحلي، تحق

إبراهيم الأبياري، القاهرة ١٩٨٠

- كتاب الجغرافيا ، تحق إسماعيل العربي، بيروت

م ١٩٧٠

- المرقعات المطربيات القاهرة ١٢٨٦ هـ

بيروت ١٩٧٩ .

- المغرب في على المغرب، تحق شوفى فيف ،

القاهرة ١٩٨٠ م

- شهاب الدين الحلبي - أبو الثناء شهاب الدين محمود بن سليمان

(ت ٥٧٢٥ هـ)

- حسن التوسل إلى صناعة الترسل، تحق اكرم

عثمان يوسف، بغداد ١٩٨٠

- ابن صاحب الملة - أبو مروان عبد الملك بن محمد بن يحيى بن

إبراهيم الباقي (ت ٥٧٩٤ هـ) .

المن باللامامة - تاريخ بلاد المغرب والأندلس

في عهد الموحدين .

تحق عبد الهادي التازى ، بيروت ١٩٨٧ .

- أبو بحر صفوان بن ادريس التجيبي المرسي ت

٥٥٩٨

- زاد المسافر وغرة محييا الأدب المسافر ،

أعده وعلق عليه ، عبد القادر مداد بيروت ١٩٧٠ .

- أبو القاسم يه بن منجب بن سليمان الشهير
بالصيريقي .

- قانون ديوان الرسائل ، تحق علي بهجت

القاهرة ١٩٠٥ .

- الضبـ
- أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الفبي ن
٥٩٩ هـ .
- بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس ،
القاهرة ١٩٦٧ م.
- عبد الواحد المراكشي
محمد الدين أبو محمد عبد الواحد بن علي بن التجيني ت ٥٦٧ .
- المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، تحق
محمد سعيد العريان ، ومحمد العربي العلمي
القاهرة ١٩٤٩ م.
- ابن عذاري المراكشي
أبو العباس احمد بن محمد بن عذاري ،
البيان المغرب (قسم الموحدين) تحق
الاساتذة : محمد بن تاویت ، محمد ابراهيم
الكتاني ، محمد زنیبر ، عبد القادر زمانة
بیروت ١٩٨٥ م.
- ابن عبدوس
ابو عبدالله محمد بن عبدوس الكوفي ،
الوزراء والكتاب ، تحق مصطفى السقا
وابراهيم الابياري ، عبد الحفيظ شلبي القاهرة
١٩٨٠ م.

- ابن عبد الملك المراكشي - أبو عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي

ت ٥٧٠٣

- الذيل والتكميلة السفر الاول ق ١ ، ٢ ، ٣

تحق محمد بن شريفة بيروت د ت

- الذيل والتكميلة ، بقية السفر الرابع ،

تحق احسان عباس بيروت ، ١٩٦٤ م.

- الذيل والتكميلة ، السفر الخامس ق ١ ، ٢

، تحق احسان عباس بيروت د ت

- الذيل والتكميلة السفر السادس تحق احسان

Abbas ، بيروت ١٩٧٣ .

- الذيل والتكميلة السفر الثامن ق ١ ، ٢

تحق محمد بن شريفة الرباط ١٩٨٥ م.

- أبو الهلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن

سعيد ت ٥٣٩٥

- العسكري

- كتاب المذاهبين الكتابة ، والشعر تحق

ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٨١ م.

- أبو العباس أحمد بن احمد بن عبد الله

الغبريني ت ٥٧١٤

- الغبريني

- عنوان الدرائية فيمن عرف من العلماء

في المائة السابعة ببجاية ، تحق عادل

نويفن ، بيروت ١٩٦٩ م.

- أبو الفرج الأصفهاني

علي بن الحسين ت ٥٣٥٦ .

- كتاب الأغانى ، القاهرة ، ١٩٦٣ م.

- الفرزدق

- ديوان الفرزدق ، تحق همام بن غالب بن

صمعة بيروت ١٩٦٠ م.

- الفيتوري .
- رسائل ديوانية من سبعة في عهد العزفsi تحق محمد الحبيب الهيلة بالرباط ١٩٧٩م .
- أبو العباس احمد بن حسين بن علي بن الخطيب القسنطيني ت ٨١٠هـ .
- الفارسية في مبادي الدولة الحفصية تحق محمد الشاذلي التيفير ، وعبدالمجيد التركي تونس ١٩٦٨م .
- احمد بن محمد بن ابي القافية ت ٥١٠٢٥هـ .
- جذوة الاقتباس ، في ذكر من حل بمدينة فاس ، الرباط ١٩٧٣م و ١٩٧٤م .
- ابو علي حسن بن محمد بن عبد الملك بن يحيى الكتامي ، ت ٦٢٨هـ .
- نظم الجمان ، تحق محمود علي مكي ، جامعة محمد الخامس الرباط د ت
- ابو يعلى حمزة بن احمد بن علي بن محمد ت ٥٣٥٨هـ .
- ذيل تاريخ دمشق بيروت ١٩٠٨م .
- أبو العباس احمد بن علي بن احمد ت ٥٨٢١هـ .
- صبح الاعشى في صناعة الانشا ، بيروت ١٩٨٧م .
- ج ١ شرحة وعلق عليه وقابل نصوصه ، محمد حسن شمس الدين .
- ج ٢ صبح الاعشى في صناعة الانشا ، نبيل خالد الخطيب .
- ج ٦ صبح الاعشى في صناعة الانشا ، يوسف طويل
- ج ٧ صبح الاعشى في صناعة الانشا .
- ابن القند
- ابن المكتسي
- ابن القطان
- ابن القلنسى
- القلقشندى
- خلف الخافقي .

- الكلام

 - أبو بالقاسم محمد بن عبد الغفور الإشبيلي الاندلسي ، من اعلام ق ٦ هـ .
 - إحكام منعة الكلام ، بيروت ١٩٦٦ م .
 - أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني ت ٥٢٧٥ هـ .
 - سفن أبي ماجة ، تأليف محمد ناصر الدين الألباني بيروت ١٩٨٠ م .
 - الموطا تحق ، فؤاد عبد الباقي القاهرة ١٩٥١ م .
 - مالك بن أنس
 - المتن
 - أبو الطيب احمد بن الحسين ت ٣٥٤ هـ
 - ديوان أبي الطيب المتذبي بشرح أبي الباق العكبري المسمى بالتبیان في شرح الديوان ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقا ، وإبراهيم الباري وعبد الحفيظ شبّي بيروت ١٩٧٨ م .
 - كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار تحدّث سعد زغلول عبد الحميد الدار البيضاء ١٩٥٤ م .
 - كتاب رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية تحق بروفنصال ، الرباط ١٩٤١ م .
 - محمد جمل
 - محمد جمل
 - محمد بن عيسى
 - أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ت ٥٢٧٩ هـ
 - سنن الترمذى ، الجامع الصحيح ، تحق وشر احمد محمد شاكر بيروت د ت
 - محمد بن محمد
 - ابن مخلوف
 - شجرة النور الزكية في طبقات المالكية بيروت ١٣٤٩ هـ .

- عباس بن ابراهيم - المراكشي
- الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام
الرباط ١٩٧٤ .
- ابوالحسن مسلم بن الحاج القشيري النسابوري - مسلم
- ت ٥٢١٦ .
- صحيح مسلم بشرح النووي القاهرة د ت
- المفضل بن سلمة - ابو طالب المفضل بن سلمة بن عامر الكوفي
- كتاب الامثال ، تحق شالس انبروس استوري
القاهرة ١٩٨٢ .
- شهاب الدين احمد بن محمد المقرري التلمساني
المقري - ت ٤١٠٤١ .
- فتح الطيب من غصن الاندلس الرطيب تحق يوسف
الشيخ محمد البقاعي بيروت ١٩٨٦ .
- ابن مظفر - جمال الدين محمد بن مكرم ت ٧١١
- لسان العرب بيروت ١٩٦٨ .
- الميدانى - ابو الفضل احمد بن محمد بن احمد بن
ابراهيم النسابوري ت ٥١٨ .
- مجمع الامثال تحق ابو الفضل احمد بن محمد
بيروت ١٩٨٢ .
- الشامي - ابو العباس احمد بن خالد ت ١٣١٥
- الاسقماء الاخبار دول المغرب الاقصى تحق ،
ولدي المؤلف ، جعفر ومحمد الدار البيضاء
١٩٥٤ .
- النووي - شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب ، ت ٥٧٣٢
- تاریخ المغرب الاقصى في العصر الوسيط ، من
كتاب نهاية الارب في فنون الادب ، تحق مصطفى
ابو ضيف الرباط د ت .

- ياقوت الحموي - أبو عبدالله ياقوت الحموي ت ٥٦٢٦ .
- معجم الأدباء بيروت د ت .
- معجم البلدان بيروت ١٩٧٩ م .

ثالثاً المراجع العربية :

- أنجل جنزلي بلنسا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، تر حسين مؤمن القاهدة . ١٩٥٥ .
- الفردبل ، الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي من الفتح العربي إلى اليوم ، تر عبد الحميد بدوي بيروت ١٩٨١ .
- بدوي طبانه ، معجم البلاغة العربية ، جدة الرياض ١٩٨٨ .
- روخي ليتورنو ، حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر تر ، امين طيبي ، ليبية ، تونس ١٩٨٢ .
- حسن إبراهيم حسن ، التاريخ السياسي والديني والثقافي والاجتماعي القاهرة ١٩٦٧ .
- حسن جلاب ، الدولة الموحدية اثر العقيدة في الأدب مراكش ١٩٨٥ .
- سعد زغلول عبد الحميد ، محمد بن تومرت ، وحركة التجديد في المغرب والأندلس ، بيروت ١٩٧٢ .
- حسن السائح ، الحفارة الاسلامية في المغرب ، الدار البيضاء ١٩٨٦ .
- سلامة محمد سلمان ، دولة المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين ، دراسة سياسة وحضارية ، مكة المكرمة ١٩٨٥ .
- عادل نويهض ، معجم اعلام الجزائر ، بيروت ١٩٨٣ .
- عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب - العصر الاسلامي - بيروت ١٩٨٣ .
- عبد الهادي التازى ، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من اقدم العمور إلى اليوم - عهد الموحدين - المغرب ١٩٨٧ .
- عبدالله كنون ، النبوغ المغربي ، بيروت ١٩٦١ .
- عبدالله علام ، الدولة الموحدية بال المغرب في عهد عبد المؤمن بن علي القاهرة ١٩٧١ .
- ليفي بروفنسال ، الاسلام في المغرب والأندلس ، تر عبد الرحمن بدوي ١٩٨١ .
- ليفي بروفنسال ، الشرق الاسلامي والحفارة العربية ، تطوان ١٩٥١ .

- محمد عبدالله عنان ، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس القاهرة ، ١٩٦٤ .
- محمد ماهر حمادة ، الوثائق السياسية والأدارية - الأندلس وشمال إفريقيا - دمشق ١٩٨٠ .
- محمد المنوسي ، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين الرباط ١٩٧١ .
- محمد المنوسي ، ورقات من الحفارة المغربية في عصر بني مرين ، الرباط ١٩٧٩ .
- يوسف أشياع ، تاریخ الاندلس في عهد المرابطین والموهبدین القاهرة ١٩٥٨ .

رابعاً، دوريات عربية:

- أمين توفيق طيبي، جبل طارق معلم إسلامي عبد العمور الوسطى، مجلة تاريخ العرب والعالم، السنة ١٥ العدد ٥١ كانون الأول ١٩٨٥.
- حسين مؤنس، عقد بيعة بولالية العهد لأبي عبد الله محمدالمعروف بالخليفة الناصر، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد ١٢ العدد ٤ ديسمبر ١٩٥٠.
- حسين مؤنس، نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين ، مجلة العهد المصري للدراسات الإسلامية المجلد ٣ العدد ١ عام ١٩٥٣.
- سعد غراب ، حول احراق المرابطين لإحياء الغزالى، اعمال الملتقى الاول إسباني التونسي عام ١٩٧٩.
- عبد العزيز بن عبدالله ، تطور الفن في عهد الموحدين ، مجلة البينة السنة الاولى العدد ٩ يناير ١٩٦٣ .
- عبد العزيز بن عبدالله ، المرأة المراكشية في العقل الفكري، صحيفه معهد الدراسات الإسلامية .
- عبد الهادي التازى، المنشآت المصححة بال المغرب عبر التاريخ مجلة مجمع اللغة العربية الأردنى ، العدد ١٤٠١٣ السنة ٤ تموز، كانون الاول ١٩٨١ .
- عمار طالبى، رسالتان موحديتان، اشغال المؤتمر الاول ل بتاريخ المغرب العربي وحضارته ، مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية ، ١٩٦٩ .
- محمد بن عبدالله ، موقعة العقاب او هفاف تولوسا، مجلة تاريخ العرب والعالم السنة ١٥ العدد ٥٧ يوليو ١٩٨٣ .
- مولود قاسم نايت بلقاسم ، مجلة الثقافة ، العدد ٩٩ الجزائر عام ١٩٨٥ .

خامساً، مراجع أجنبية :

- Alfred bel, Les Banou ghanya poris 1903
- Charle andre julien, histoire de lafrique du Nord paris 1966 .
- Gaston deverdum, marrakech des origines A 1912 , edition technique Nord africaine Rabat 1959 .
- Jean brignon, histoire du Maroc paris 1967.
- Jean brignon, la berberie musulmane et lorion au moyen age paris.
- Jaque caille . la ville de rabat jusquau protectorat francais, paris.
- Rachid Bourouiba, ibn tumart 2er edition sned alger 1982 .
- Robert brunschvic, la berberie oriental sous les hafsidess des origines a la fin du 15 siecle t 2 paris 1947 .
- Levi provencal, documents inedit s dhistoire Almohade paris 1928.
- Levi provencal, islam doccident paris 1932.

سادساً، دوريات أجنبية :

- Alfred bel, contribution A l'etude des dirhems de l'époque almohade, Hesperis t 16, 1933.
- Anna mascarello, quelque aspects des activites italiennes dans le maghreb Medieval, revue d'histoire et de civilisation du maghreb, faculte de lettres d'Alger no 1 juillet 1968 .
- Eugene tisserant, gaston wiet une lettre de l'almohade murtada au pape innocent 4 , Hesperis t6, 1926 .
- G marcy, les phrases berbers des documents inédits d'histoire Almohades, Hesperis, T 14 , 1932.
- Henri Basset et henri terrasse, sanctuaire almohade, collection Hesperis, No5, 1932.
- Levi provencal, un recueil de lettres officiel almohade hesperis, T28, 1941.
- Louis di giacomo, une poetesse andalouse du temps des almohades, hafsa bint alhadj Ar-Rukuniya, Hesperis, t 34, 1947.
- Pierre de cenival, l'église chrétienne de marrakech au 13 siecle, Hesperis, 1 er trimestre, 1927.
- Rachid Bourouiba, la poésie à l'époque de abd Almumin, société historique algérienne revue d'histoire et de civilisation du maghreb, No. 11 juin 1974 sned, Alger.

ملف في باللغة العربية

لقد جاءت هذه الدراسة في أربعة فصول وخاتمة، وقد حاولت في الفصل الأول أن أكثُر الأحداث واربطها بالرسالة الديوانية الموحدية واقتصرت على فترة ابن تومرت وعبد المؤمن، ويُوسف والمنصور، وأعدت تشكيل القبائل الموحدية في الإطار الاجتماعي معتمداً على تصنيف، ابن تومرت وعلى الرسالة الثالثة عشرة في مجموعة بروفنصال *Provencal*، كما تطرق إلى ذكر سكان المغرب خلال القرن السادس ونصف السابع، نظراً لمشاركة البربر والعرب والغز، وهم الآتراك في الجهاد بالعدوة الاندلسية وهو ما تمثله بعض رسائل المن بإمامية ومجموعة بروفنصال *Provencal*، كما تناولت الجانب القهافي معتمداً على مخطوط الخزانة الحسنية وموضوع المرأة الموحدية معتمداً على بعض الاشارات الواردة في مخطوط العطاء الجزيء في كشف غطاء الترسيل، ومجموعة بروفنصال *Provencal*، وختنته بالجانب الحفاري الذي يمثله بيمارستان مراكش، ثم تحدثت عن تطور الحركة الفكرية الثقافية عند الموحدين واستشهدت ببعض الشخصيات التي كان لها الفضل في تطوير الحركة الفكرية الموحدية، كما حاولت أن ادعم الرأي بكثير من النصوص التي قمت بترجمتها من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية، أما الفصل الثاني فقد صفت فيه الرسائل الديوانية الموحدية إلى سبعة محاور، وهي: رسائل البيعة ورسائل التقاضي ورسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورسائل التوثيق، والمعاهدات ورسائل الجهاد، واستشهدت بمعظم النصوص المهمة في الرسالة التي لها صلة وثيقة بالموضوع فازلت بعض الالتباس عنها، كما ا匪ت إلى رسائل العدوتين بعض الرسائل التي تناولت موضوع العلاقات بين الموحدين وبعض الجمهوريات الإيطالية كبيشة وجنة وفاتيكان، كما حاولت هذه الدراسة أن تشمل الفترة الموحدية كلها في المغرب والأندلس من نشأة الدولة إلى سقوطها، وأما الدراسة الفنية لهذه الرسائل فقد جعلتها في الفصل

الثالث بعد دراسة معظم الرسائل، فدرست بنية الرسالة الديوانية الموحدية كما استخرجت بعض القضايا البلاغية التي تناولتها الرسالة الديوانية في عهد بنى عبد المؤمن، كما حاولت أن اركز على الرسائل المخطوطة لإعادة بناء الرسالة الديوانية الموحدية كما كتبت في الأصل، أما الفصل الرابع فقد قمت بترجمة لثلاثة من أشهر كتاب الرسالة الديوانية في العدويتين وأختصرت في الخاتمة كل نتائج الدراسة.

letter under the Mohad. However, I concentrated my research on the letters that were not studied before.

Afterwardks, I restructured the Diwani letter in comparison with the text by Al Qalqashandi . However, all hte emerging conclusions are still relative and not absolute.

Eventually, the fourth chapter was designated to study three distinguished authors of the Diwani letters in Al-Maghreb and Al-Andalus. The Conclusion revealed the main results of the study.

Moreover, I gave an outlook of the citizens in al-maghreb in the sixth century and the first half of the seventh century , that is because the Arabs and the Turks participated in Al-Jihad in Al-Andalus, This is revealed in the letters of Al-Mann Bilitmame and some of the provensal letters.

On the other hand, I stated the juridicial part depending on the manuscript No 4752 at Al-Hasaniyo library Ribat, Then I gave an idea about the " woman" topic under the mohad depending on " Makntout Al Ata' Aj Jazil Fi Kashf Ghita' Attarseel" No 6148 at Al-Hasaniya Library (Ribat).

Then I touched upon the luetural Development under Al-Mohad, . Stating some of the outstanding figures that actually contributed to such & dovement.

In Chapter two, I classified the Diwani Mohad letters into seven categories . Then I quoted some important relevant paragraphs in those letters. I tried to eliminate ambiguity therein. Moreover, I added some letters that focused on the relations between Al-Mohad Country and some of the Italian cities.

Nevertheless, I tried to cover the overall Mohad era in Al-Maghreb and Al-Andalus eversince the establishment of the country ftil it was defeated.

The technical part of this study was covered in its third chapter after studying all the Diwani letters. I studide the structure ofr the Diwani letter. Then I divided it into parts from which I concluded some issues dealt with in the Diwani

- e- Old Arabic Proverbs .
- f- Al-Eejaz waltnab
- h- Pronthetical sentences and sentences of Compliments.

2. Styles :

- a- Mursal
- b- Mutowazen
- c- Musjia
- d- Jinas
- e- Isdiwaj
- f- Tibaq
- g- Mugabala

3. The feelings and lipe circumstances of Muslims.

IV. Authors of Diwani letters:

- a- Abu Jafar Bin Atiyya
- b- Abu fadi Bin Mohshara
- c- Abu Al-Hasan Bin Ayyash

Within the political frame, at tried to highlight all the wents, some of which were related to the Diwani letters. However, due to the long duration of the Bane Abdul Muemen rule in Al-Maghreb and Al-Andalus , I limited my study to the rule of Ibn Tumort, Abdul Muemen, Yusuf and Al-Mansour.

As for the social frame, I tried to reestablish the Mohad tribes, categorization depending on the classification adopted by Ibn Tumart as well as the thirteenth fletter of provencal.

Abstract

The title of this study is "The Diwani letters diterature in Al-Maghreb and Al-Andalus Under the Mohad". It comprises an introduction, four chapters and conclusion.

In the introduction, I touched upon the main manuscripts and typed material that I used in this study. In addition, I stated the reason behind my choice of this subject as well as the obstacles and difficulties I faced throughout my preparing this study.

However, the four chapters focus on :

- I. The political, social and cultural domains of the study.
- II. Subjects of the" Diwani Letters".
 - a- Letters of allegiance pledge.
 - b- Credentials of prefects military chiefs and Judges.
fairness .
 - c- Letters of Command and probibited matters Interdiction .
 - d- Claim letters.
 - e- Letters of Tawqiat
 - f- Treaties .
 - g- Letters of the Holy war (Jihad)
- III. Technical and stylistic attributes of the diwani letters:
 1. a- Introduction, body and conclusion.
 - b- Iqtibas
 - c- Tadmeen Al-Ahadeeth
 - d- Variation of poetry and prose.

٢٩٨١٥٣

Higher Studies
Department of Arabic
University of Jordan

The Student

The Diwani Letters Literature in
Al Maghreb and - Andalus.

Presented, by

Mahmoud Mohamed Abd Arahmane Khiari

Supervised, Prof, DR

Abd EL Karim Khalifa

This Thesis was submitted in partial fulfillment
of the Requirements for the degree of master
of arts in arabic litterature at faculty of
graduate studies in Jordan University

1991

